ازدواجية الأصالة والتحديث

تكريم

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

منشورات جمعية رباط الفتح

الفهرس

1- كلمة الأستاذ **عبد العزيز بنعبد الله** يوم تدشين الخزانة المهداة من طرفه إلى جمعية رباط الفتح 7

2- كلمة جمعية رباط الفتح 9

3- تأملات أدبية في ضوء تكريم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 13

محمد علال سيناصر

4- كلمة **الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري**

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو) 23

5- كلمة الدكتور **عبد الكريم خليفة** 27

6- شهادة وإشادة 31

إبراهيم محمود جوب

7- عبد العزيز بنعبد الله ونشر التعريب في الوطن العربي 35

أحمد الأخضر غزال

8- تكريم الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز بنعبد الله 39

الحاج أحمد بنشقرون

9- معنى الحضارة فيما كتبه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 45

أحمد التوفيق

10- مساهمات الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في مسيرة التعريب بالمغرب وبالوطن العربي 49

الدكتور حمزة الكتاني

11- مع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في بعض الذكريات 59

محمد بن شقرون

12- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الرجل الموسوعي 71

محمد حجي

13- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله كما عرفته 75

عبد الخالق القباج

14- الحياة العلمية والثقافية للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 81

الدكتور أمل العلمي

15- شهادة في الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بمناسبة يوم تكريمه 89

قاسم الزهيري

16- منهجية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في توحيد المصطلح العلمي العربي 93

الدكتور علي القاسمي

17- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله «خادم العربية والإسلام» 103

محمد بلبشير الحسيني

18- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله عطاء متنوع 107

عبد الغفور الناصر

19- الأركان الثلاثية للتفكير عند الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 117

أحمد الفاسي الفهري

20- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله صاحب الرسالة العلمية 123

الدكتور عبد الحق المريني

21- ذكريات مع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله 129

أحمد زياد

22- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ومواجهة الدس والتحريف في التاريخ المغربي 135

عبد الكريم كريم

23- مع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في المركز الوطني للتعريب 139

أحمد الشاوني بنبعد الله

24- العلامة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله كيف عرفته وكيف تكونت بيني وبينه صداقة عميقة 145

عابد الوزاني

25- عبد العزيز بنعبد الله خريج مدرسة عبد الواحد بنعبد الله 151

عبد الرحيم بنعبد الله

26- العلامة الجليل عبد الواحد بنعبد الله والد الأستاذ المكرم 157

عبد الكريم كريم

27- تكريم قصيدة شعرية 161

إدريس بن الحسن العلمي

28- كلمة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في نهاية حفل الكريم 165

29- البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره في نهاية أعمال الندوة 171

30- الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله حياته نشاطه العلمي 175

كلمة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله يوم تدشين الخزانة المهداة من طرفه إلى جمعية رباط الفتح

سيدي ممثل معالي الوزير
أيها الإخوة والزملاء

يسعدني أن أقي اليوم بنذر كنت نذرته وأنا طالب في عنفوان الدراسة والنضال ضد الاستعمار، وهو أن أعمل على تجميع خزانة متعددة المشارب سأهديها إلى الشعب المغربي من خلال هيئة ثقافية أبى الله إلا أن تكون هي جمعية رباط الفتح الفتية النشيطة، والحافز على هذا النذر هو أنني كنت فقيرا مزجى البضاعة ومعي زملاء مثلي منعتهم فاقتهم من مواصلة الدراسة ولم يكن من السهل آنذاك الحصول على الكتاب الدراسي بالإضافة إلى أن الاستعمار كان حائلا منيعا للشباب المغربي الذي لم يقرر التمدرس آنذاك لأكثر من مائتي ألف (200.000) منه ولم يتوفر سوى القليل منهم على ذريعة الدؤوب على التعلم لبلوغ الأسلاك الجامعية العليا، ويكفي أن أؤكد أننا لم تكن في مدينة الرباط سوى بعض مآت بمدرسة (أبناء الأعيان)، بينما كان بالمدينة شباب موهوب أضاعه الاستعمار، وقد عرفت البعض منهم ممن انكبوا على الدراسة غير الرسمية، ينهلون من معين المعرفة في مختلف مجالس العلم بالمساجد، فكان ينقصهم أيضا الكتاب الرائد، بل وينقص شيوخهم وأساتذتهم بسبب ضغوط المستعمر الذي استهدف تفقير الشعب المغربي ماديا وروحيا، فشعرت آنذاك أن هذا الكتاب الذي تكونت عن طريقه أجيال من كبار علماء السلف – يوم كان العلم الصحيح يؤخذ من أفواه الرجال – هو الوسيلة الأولى لنشر المعرفة في

البادية المغربية اذ كانت كسائر بوادي العالم الإسلامي ثرية بالخزائن نجد اليوم أندر المصنفات وأغلاها بين رفوفها، كخزائن تمكروت والحمزاوية والدلائية والدرعية وغيرها من الخزائن المنبثة في فيافي الجبال والصحراء، فكانت الأمية محدودة بفضل ذلك إلى أواخرالقرن الثالث عشر الهجري، ويكفي دليلا أن ناحية أزاغار بالشمال لم تكد الأمية تصل فيها إلى خمسة في المائة بشهادة أجانب أمثال (موليرا) في كتابه «المغرب المجهول» وذلك بإدراج الفتيات والنساء، في حين وقع العكس إبان الاستعمار، فكادت نسبة الأمية تبلغ بهذهالمنطقة 95 في المائة بين الرجال ومائة في المائة بين النساء، وما قلناه في هذه المنطقة يمكن أن نقوله في المناطق الأخرى كمنطقة دكالة التي بلغت أعداد مدارسها المائتين يتدرج في بحبوحتها التلميذ والطالب من السلك الأول إلى أن يتخرج عالما وبجانبه خزانة حافلة تجمعت من تبرعات الشعب وأرياع الزكوات.

وإن زميلنا الأستاذ الجليل محمد علال سيناصر وزير الشؤون الثقافية الذي مكنه عمله باليونسكو من الاطلاع على المناهج التثقيفية الحديثة، ليعلم أشد العلم أن الكتاب لا يزال هو الرائد الأكبر للمعرفة، ولعله أقدر من غيره على تمثل الدور الذي تقوم به المكتبات المنبثة في كل القرى والدساكر في العالم المعاصر، إذ يستطيع الدعوة والعمل من أجل توفير الخزانات في كل حي من أحياء الحواضر، وفي مختلف أنحاء المراكز البدوية بالمغرب، مغرب الحسن الثاني الذي يضرب أروع المثل للعالم الإسلامي في تبني كل ما من شأنه أن يعزز الفكر العلمي والتكنولوجي بل والثقافة الأساسية والتكوين العام لدى كل مواطن، وما فتئ حفظه الله يدعو إلى توفير (قوافل الكتاب) عبر البوادي.

ونحن نرجو إلى جانب ذلك أن يبادر كل عالم بل كل مواطن يتوفر على مكتبة فيفكر فيما أصبح المواطنون في العالم المتمدن يفكرون فيه وهو أن يكون للشباب حظ فيما تأكله الأرضة من محتويات خزائنهم.

ولعل غدنا يكون أحسن حظا من يومنا والله الموفق والسلام.

* * *

كلمة جمعية رباط الفتح

بسم الله الرحمان الرحيم

معالي وزير الشؤون الثقافية،

سعادة والي صاحب الجلالة على الرباط وسلا،

السادة الأساتذة المحترمون،

سيداتي سادتي.

ليس بدعا أن تحتفي اليوم جمعية رباط الفتح بواحد من أبرز أعلام الرباط المعاصرين، فذاك تقليد ترسخ لدينا منذ التأسيس، وأخذنا على أنفسنا الالتفات إلى العلم ورجاله، وإلى الثقافة الوطنية وأهلها إيمانا منا أن هذا الوطن العزيز، ألف دوما الاحتفاء برجالاته ومفكريه، واعترافا بما يقدمه هؤلاء من عطاءات تشكل أسا رئيسا في مسار التنمية الشاملة التي ننشدها لبلدنا.

والعلم المحتفى به اليوم الأستاذ الجليل عبد العزيز بنعبد الله واحد من هؤلاء الأفذاذ الذين أنجبتهم مدينة الرباط، فكان ظهوره وصل قديم بحديث، ورد فرع إلى أصل.

غير أن هذا العالم الجليل لم يعد ملكا لمدينة الرباط، بل استطاع هذا الرجل بأبحاثه وكتاباته، أن يتجاوز حدود مدينته، بل حدود وطنه ويخترقها ليصل إلى آفاق عربية وإسلامية أوسع وأرحب، مركبه في ذلك دراساته في مختلف المجالات الثقافية الإسلامية، واجتهاداته لتطوير لغة الضاد، فبرّز في كل هذه المجالات.

والمتأمل لمؤلفات الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، يلحظ بجلاء، اطلاعه

الواسع والمتنوع والعميق في نفس الآن، وهي سمة قلما اجتمعت إلا للقليل.

وليس غريبا أن يكون هذا النبوغ حليف الأستاذ الجليل، فهو عالم ابن عالم، هو غصن من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، فوالده رحمه الله، لم يكن اسما غفلا بمدينة الرباط، بل كانت دروسه – وإلى عهد قريب – مثار الحديث في الأوساط العلمية، لما اتسمت به من جرأة وموضوعية علمية. فكان من الطبيعي أن يتشرب الابن هذا الشغف العلمي الذي تبلور عند الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، وتعمق أكثر عن طريق الانفتاح على ثقافات أخرى، أعطت لفكر المحتفى به هذا البعد الموسوعي، وهذا الطابع الشمولي والعلمي، المتسم بالعمق والإحاطة.

كل هذا بوأ الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، مكانة مرموقة في مجال الفكر والثقافة العربية المعاصرة، أهلته ليحتل مراتب أساسية في عدة هيئات وطنية وجهوية، ودولية فهو عضو في عدة مجامع علمية عربية، ومستشار لعدة مؤسسات علمية عربية وإسلامية، ناهيك عن أنشطته كعضو في العديد من المنظمات نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

– عضويته في منظمة حقوق الإنسان العالمية بواشنطن.

– عضويته في المجلس التنفيذي لاتحاد المترجمين الدولي بوارسو.

– عضويته في البنك العالمي للكلمات التابع لليونسكو.

هذا غيض من فيض، وحياة بهذا الخصب والاتساع، لا تسعف هذه الجلسة لسرد كل جوانبها، وحسبي أني أشرت إلى معالم إخالها تشكل الملامح الكبيرة لهذه الشخصية الفذة.

واليوم يأبى الأستاذ الجليل عبد العزيز بنعبد الله، إلا أن يسدي خدمة جليلة للباحثين، فقدم خزانته العلمية الحافلة والغنية، لجمعية رباط الفتح، لتكون بين يدي الطلاب والباحثين، ولعمري إن هذا العمل ليكشف عن شيم نبيلة، وغيرة علمية عالية، فهذه الخزانة هي حصيلة عمر كامل وحافل، بالبحث والتنقيب والجمع، وخلاصة عشرات الرحلات عبر مختلف أنحاء المعمور، كانت تبحث عن الجديد، وتقتنص النادر في مختلف خزانات العالم. كل ذلك يقدمه اليوم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هدية لجمعية رباط الفتح. وهنا لا تسعفني

الكلمات في التعبير عن الشكر والثناء.

وما تقوم به اليوم جمعية رباط الفتح من تكريم، ماهو إلا تعبير بسيط للتقدير الذي نكنه لهذا الرجل العالم، والباحث المقتدر، ونحن هنا لا نلقي الكلام جزافا، فنظرة إلى إنتاجه العلمي وحياته العملية، كفيلة بأن تضع الرجل في مكانة سامقة في دنيا الثقافة والفكر، ليس في حدودهما الوطنية بل في آفاقها الرحبة داخل دائرة العروبة والإسلام.

إن جمعية رباط الفتح إذ تضع هذه الخزانة الثمينة رهن إشارة الباحثين والمهتمين، لترجو أن تكون بادرة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله حافزا للآخرين، لتقديم ما يمكن تقديمه من كتب ومخطوطات، حفظا لتراث غني وأصيل، ودعما للبحث العلمي بهذا البلد. ورجاؤنا كبير أن تكون خزانة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، نواة لمركز بحث علمي، تؤسسه وتعمل على توسيعه جمعية رباط الفتح، تدعيما لمسيرة الفكر والثقافة، وشدا لعضد البحث العلمي بهذا الوطن، الذي شهد ويشهد في هذا البلد الأمين نموا وازدهارا، تحت رعاية أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني، أيده الله ونصره، وهو الذي ما فتئ يكلأ العلم والعلماء، ورجال الفكر والثقافة، بموفور رعايته، وسابغ أياديه. حفظ الله مولانا الإمام بما حفظ به الذكر الحكيم، وأبقاه ذخرا للعلم والعلماء، وأقر عينه بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير سيدي محمد، وصنوه السعيد المولى الرشيد، وسائر أفراد العائلة الملكية الشريفة، والله خير الحافظين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

تأملات أدبية في ضوء تكريم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

محمد علال سيناصر(*)

رباط الفتح تحتفي وتعترف، مشكورة، بأحد أبنائها، وتحتفل به وتلك عادتها فيما تعودت عليه:

فكلما سمح الزمان وبشرت «فتح» بفرد في الرجال منار
فرحت به فكأنه وكأنها نجم الهداية مقتدى للساري!

أجل، «رباط الفتح» في هذا الاحتفال، وفي هذا التكريم، تشجع العلم والعلماء، وتستزيد من المعرفة، وتوقظ لها الهمم، وتنهض الطموح، موضحة معالم الطريق لشعب يريد أن يتبوأ مقعد الصدق والعطاء في ملحمة الحضارة، وإلياذة الحداثة، فكأنها تذكر شعبنا قائلة:

وكن شعب الخصائص والمزايا ولا تك ضائعا بين البرايا
وكن كالنحل والدنيا الخلايا يمر بها ولا يمضي عقيما!

ويكتسي هذا التكريم وهذا الثناء في حق أخينا المحترم، وزميلنا المكرم وشيخ جيلنا، عبد العزيز بنعبد الله لا لأنه سبقنا إلى العلم، ولكن، لأنه كان شيخنا ومعلمنا ورائدنا في الشباب، «وليس شيخا كل من بلغ المشيبا»، وشاب الزمان وما شاب، ولا شابت مغانيه. رسالته اللغوية ستبقى فلقد رأى في اللغة

(*) وزير الشؤون الثقافية وعضو أكاديمية المملكة المغربية.

عصمة للوطن وظلا. وأتصوره يواصل ما جعلته على لسان حاله يوصي الجيل الصاعد بالمحافظة على العربية وبتعهدها وإثرائها فيقول مثلا، وكما قال أمير الشعراء:

وصن لغة يحق لها الصيان فخير مظاهر الأمم البيان
وكان الشعب ليس له لسان غريبا في مواطنه مضيما

وقد يضيف

وخذ لغة المعاصر فهي دنيا ولاتجعل لسان العصر نسيا
كما نقل الغراب فضل مشيا فما بلغ الجديد ولا القديما!

وبفصيح الدارجة: الجديد عنده جدة والقديم لا تفرط فيه.

لذلك اجتهاد أستاذنا في بناء اللغة الفنية بإحياء معاجمها المختلفة وتوظيفها في تعريب الفنون والعلوم المعاصرة.

وإن اهتم بذلك، وبصيانة منهاج التعريب المعاصر، فلم يستهن بتأمل مجالي الأدب، وتذوق مباهج الشعر، وتملي جميل المعاني ذلك، فيما أرى لأن الطبيعة الجميلة – التي تجعل من مدينة الرباط سلسلة من الأركان والمناظر الخضراء، الموروثة أصلا عما كان قديما من الحدائق المتعانقة الغناء – تجيز الاهتمام بالأدب وتجعلها فضلا عن خضرتها التي سارت بذكرها الركبان، مرتع الرقة والجمال، ومبعث البسمة والأمل، ومصدر البيان والسحر الحلال، بقدر ماهي موطن العمل الجاد، ومستزاد التحصيل في العلم والعرفان وهي في إحساس أخينا عبد العزيز الذي نشأ فيها، وكان محيطه مدينة:

شوارعها تميس بها غصون كسكرى الغيد مسن إذ سقينا

ومدينة الرباط هي أيضا التي أنجبت – قديما وحديثا – وجوها وكفاءات مشهودا لها بالتقدير والاعتبار في مجالات العلوم وما إليها من أصناف المعرفة، والبحث، والتدوين؛ كما أن أهلها قد تميزوا دوما بإخلاصهم للوطن، وتفانيهم في محبة العرش، ومنذ أن كانوا وهم متمسكون بالمحجة البيضاء التي ليلها كنهارها:

وجوه كالبدور تضيء ليلا وأخلاق تكاد تسيل لينا
فشمس الملك تطلع من ذراها تضيء بها الغياهب والدجونا

ومدينة الرباط الفيحاء هي التي أنجبت هذا الأخ الحبيب والعالم الأديب، والباحث الموفق: الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، وقد أتاحت لنا «جمعية رباط الفتح» - مشكورة جزيل الشكر - فرصة الحفاوة بتكريمه، والإشادة بمناقبه، والانتشاء بمحامده، والتنويه بعطائه، مثلما أتاحت لنا التأمل فيما أدعوه ب «عوالم الرباط».

أخي عبد العزيز،

إننا نسعد سعادة كبرى ونحن نرى الرباط تحتفي بك وتكرمك، ونسعد للرباط ذاتها لأنك، حقا وصدقا أكرمت الرباط، وشرفتها بعملك، وسيرتك، وعطائك الثقافي الغزير:

هنيئا للرباط وساكنيه لقد فزتم به فوزا مبينا

إنك يا أستاذ عبد العزيز محيط كل الإحاطة بما كتب حول الرباط، وبما دونه أدباء الرباط - وأنت بينهم علم - كما أنك محيط كل الإحاطة بأن الرباط - إلى جانب مدن أخرى - كانت سباقة لمعرفة المطبعة العصرية على أرضها. وأنت تعلم جيدا الشأن للمؤثر الذي كان، في أواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات، للمطبعة الوطنية القائمة إذ ذاك بدرب الفاسي، وكانت في ملك رباطيين مشهورين.

أجل، كانت لنا في البيت العائلي بوجدة خزانة كتب، وكنا، نحن الأولاد، نحظى بمطالعة بعض ذخائرها. وهكذا وقع بين يدي قديما كتاب كانت طباعته الأولى قد تمت سنة 1929 بالرباط في هذه المطبعة، والأديب مصنف هذا الكتاب كان هو أيضا من أدباء الرباط... وكان ذلك التأليف - كما قد يكون الأستاذ عبد العزيز قد أدرك وأدركتم جيدا معه - هو كتاب: «الأدب العربي في المغرب الأقصى» من تصنيف محمد بن العباس القباج، رحمه الله. والمزية الكبرى لهذا العمل أنه كان مخصصا في جزئيه لشعراء معاصرين، ومن خلاله وبفضله، تعرف جيل كامل على أدباء مغاربة جدد إذ ذاك، ومنهم أعلام من الرباط...

وقد سرني يا أخي عبد العزيز، ويسر غيري، أن أرى في قائمة العشرات من المؤلفات التي أصدرتها عنوانا يثير الاهتمام بما نحن فيه من التأملات الأدبية في ضوء تكريمك، وأنت أهل لمتوالى التكريم. هذا العنوان هو: «الشعر

والشعراء بالمغرب». الذي سيكون، كما يشير مختصر سيرتك الذاتية، في ثلاثة أجزاء مع مجلد رابع للنماذج والمنتقيات. وهذه أيضا مبادرة من بين مبادراتك في البحث والدراسة والتدوين. فشكرا جزيلا وهنيئا مريئا لك. ومؤكد أنك – في هذا المولود الفكري الذي كان يضاف إلى ما لك من الذرية الصالحة في عالم الكتابة والتدوين – لم تغفل عن ذكر الكثير من الشعراء والأدباء والاعلام الرباطيين الذين طالما كان أخوك، وهو بعد يافع في وجدة، يسمع بأسمائهم، كما كان والده يردد الثناء عليهم تقديرا وإعجابا. ويتحلى كتاب ابن العباس القباج بصور بعضهم، وفي طليعتهم: محمد بوجندار. ومحمد الجزولى، ومحمد ابن اليمني الناصري، ومحمد المكي الناصري – مد الله حياته – ومن قريض أحدهم، وهو الشاعر الرباطي الفحل: محمد الجزولي القصيدة الشهيرة:

رباط الفتح ماوى الفاتحينا بكعبته يطوف الناس حينا
إذا ذكرت بلاد الغرب أضحى الر باط مدار ذكر الذاكرينا
ولو نصبت مثالا كان منها مكان الرأس حين سما وصينا

وفي البيت الأخير صدى مدح علي بن جبلة لحميد الطوسي بقوله:

والناس جسم وإمام الهندي رأس وأنت العين في الرأس

مما يهنئنا أن قديم الشعر دائم الأثر على ما بعده. فكلكم يعرف

ولو أن مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لسعى إليك المنبر،

بيت صداه في غزل شاعر شاب: ولو أن إبليس يوما رآك لقبل عينيك ثم اهتدى وهذا يدل على فوائد استمرار التأدب بالكلاسيكيات.

والجزولى، وقوفا مع جانب آخر من تداعي الشعر، تساءل تساؤل أبي ماضي فقال:

تساءلت عني طول عمري فلم أفز برد جواب يرفع الحجب عن خدري

وهناك شاعر آخر من الرباط – وأنا متأكد من أن أستاذنا عبد العزيز يعرف شعره حق المعرفة – رأى في ذات يوم مطرا غزيرا ينزل من السماء على الرباط في عز فصل الربيع بينما الورود والأزهار تكسو مدينة شالة وما حواليها فقال:

إن هذا الربيع شيء عجيب تضحك الأرض من بكاء السماء

إنه محمد بن يحيى بلامينو، وقد عاش قبل هؤلاء، لأنه توفي أثناء الحرب العالمية الأولى.

على أن المرء، من أينما كان وأنى كان، لا يمكنه التحدث عن شعراء مدينة الرباط وأعلامها في القرن العشرين الميلادي الحالي دون الإشارة إلى المفاخر الفكرية والعلمية التي تجسمت، على سبيل المثال، في محمد المدني بن الحسني، وعبد الله الجراري وقبلهما ومعهما شيخ الجماعة محمد المكي البطاوي؛ هذا العالم الصالح والأديب الرقيق، صاحب الشرح الممتع على «أرجوزة الاتاي» للمسمى عبد السلام الأزموري... ولا أدري لماذا كثيرا ما يروي أدباء الرباط من شعره بيتا شعريا يبدو أنه إنما جاء على سبيل المتعة الأدبية وسليقة الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، وهو قوله:

لا أشرب الماء صرفا وهو مشترك بيني وبين كلاب الحي والبقر

وقد لا تكون له علاقة بما قد يظن ظان، لأن بعض الظن إثم وإنما حقيقة علاقته بالأتاي!

مجرد ذكر أسماء هؤلاء يحملنا على المزيد من التأمل وعلى الوقوف مليا على شعر شخصيات فذة منها شعر العالم السلفي الرباطي محمد المدني بن الحسنى الذي جمع، كصاحب بهجة المجالس وغيره من الأندلسيين، بين الفقه والأدب، وبين الشرع والشعر.

إن الثقافة الأصيلة التي توارثها الخلف عن السلف في المغرب قد عرفت ماكان يسمى بـ «المشاركة». وكان «العالم المشارك» أو «العلامة المشارك» مصطلحا ذا مفهوم مميز، ويعني «التبحر» و«التوسع» في كثير مما ندعوه اليوم بـ «التخصصات». ومن هذا القبيل، فإن علماء الفقه والأصول والتاريخ والجغرافيا والطب والطبيعة والفلسفة والرياضيات والمنطق وسواهم... كثيرا ما كانوا - وما يزالون - يتعاطون الشعر أيضا. إلا أن للنقد والنقاد في الآداب الأجنبية والأدب العربي آراء في هذا المجال كثيرا ما تتسم بالسلبية على اعتبار أن «كلا مهيأ لما خلق له». ونحن لسنا في حاجة إلى استنطاق ابن قتيبة أو ابن سلام الجمحي أو ابن رشيق... ومع ذلك فإن لصديقنا العلامة المرحوم الأستاذ عبد الله كنون نظرية إيجابية أفصح عنها في كتابه الممتع «أدب الفقهاء» حيث

يمكن لنا أن نقرأ عينية ابن سينا: «نزلت إليك من السماء الأرفع»

وبناء على هذا وذاك فإن نبغاء مدينة الرباط العلماء الذين قالوا شعرا وعرفهم العصر الحالي لم يكونوا بدعا عما أصلته الثقافة العربية الإسلامية. ويتساوى في هذه الحال محمد المدني بن الحسني، ومحمد بن مصطفى بوجندار، ومحمد بن عبد السلام السايح، وعبد الله بن العربي الوزاني، والتهامي بن المعطي الغربي، ومحمد بن يحيى بلامينو، ومحمد بن عبد الله ملين، بل وحتى الشيخ محمد المكي البطاوري... هذا كان شأن تلك الثقافة مشرقا ومغربا. وإني لأدعو المتأملين معي في هذه الجلسة التكريمية إلى تمعن بعض محتويات ديوان «ترجمان الأشواق» للشيخ الأكبر محيى الدين بن عربي الذي يقدره أخونا الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله قدره الأوفى. إن المتأملين سيدركون من خلال التأمل، بعض المرامي السامية التي تستبطنها أشعار العارفين، وفي تذوق أستاذنا عبد العزيز ما ينم عن نفس رقيقة قلما يتصورها من يقف عند أدبه الذائع الشائع:

يقول الشيخ الأكبر:

مرضي من مريضة الأجفان علاني بذكرها علاني
بأبي طفلة لعوب تهادى من بنات الخدور بين الغواني

وهذا فقيه الفقهاء وعالم العلماء صاحب «الشفا» القاضي عياض يقول في نوع من التغزل الاشاري الذي يعجب أستاذنا وقد يفتن به أدبه الخفي:

رأت قمر السماء فأذكرتني ليالي وصلها بالرقمتين
كلانا ناظر قمرا ولكن رأيت بعينها ورأت بعيني!

ويقول محمد بن مصطفى بوجندار الرباط:

يا ليلة أمرها عجيب بالرغم عن هجمة الرقيب
طالت وطابت وأسفرت عن حسن أنس وخير طيب
وكم جمال وكم كمال يعجز عن وصفه الأديب
في ليلة البدر قد تجلى ياليلة أمرها عجيب

ويقول الشيخ محمد المكي البطاوري:

وعاطاني المدامة دون نقل سوى رشفي لمبسمه الذكي

ويقول أبو حامد هذا في قصيدة أخرى:

أمير جمال إن شكوت صبابتي إليه غدا بالتيه للقلب كاويا

وللفقيه الشاعر التهامي بن المعطي الغربي الرباطي مقطوعات وقصائد في هذا الشأن، مثل قوله:

كل السيوف قواطع إن جردت وحسام لحظك قاطع في غمده

وغير ذلك من الأدب الشيق الذي لا يفي به إلا ملحن العدوتين الأستاذ عبد اللطيف بنمنصور. هذا ويبقى الأدب أدبا والشعر شعرا، وتظل مدينة الرباط هي تلك الحاضرة المتحضره التي احتضنت، إلى جانب العلماء والفقهاء والصالحين والأولياء، أدباء أفذاذا وشعراء أنجادا قد تفرغوا للشعر الأصيل، والقول المبتكر، والخيال الخصب، والتعبير البليغ، وفي مقدمتهم ذلك الشاعر الجوال الذي لوفاته سنة 1963 اهتزت الرباط من أقصاها إلى أقصاها، وأعني به، كما قد أدركتم دون شك، الشاعر أحمد الزبدي:

والغصن يرقص والنسيم معنبر والدوح تشدو فوقه الأطيار
والورد فاح بعرفه فتعطرت بعبيره الأنجاد والأغوار
وتخال نرجسه كعين خريدة زانت ذبول عيونها أشفار

إن هذه الأبيات المسبوكة أتقن سبك وأرقاه هي من قصيدة الشاعر أحمد الزبدي الشهيرة في التوسل بجاه النبي سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أما شعره الغزلي فإنه بدائع في بدائع، وعلى أدباء مدينة الرباط أن يتفضلوا بتجلية آثار هذا الشاعر العبقري المرموق، فإنهم على هذا أقدر وأطول مني باعا، فما أردت إلا التلميح على قدر المستطاع، وبدافع المحبة والإعجاب: المحبة للرباط والإعجاب بحضارتها.

وتحية تقدير وإكبار إلى العلماء والأدباء والشعراء، أحياء وأمواتا، من الذين لم ترد هنا إشارة إليهم، لأن هذه التأملات مجرد نثارات إشادة بالمدينة التي تكرم أحد أبنائها النبغاء... كلمات عن عبد العزيز وسعة اطلاعه ووطنيته وأدبه الذي لا يختصر والذي سيتحدث به ركبان هذا التكريم، وليس إحصاء أو تدقيقا، وإلا فلا يجوز أبدا جحود أولئك الفطاحل الذين أنجبتهم مدينة الرباط خلال هذا القرن ممن أدركهم أخونا الأستاذ الكبير عبد العزيز بنعبد الله أو

إنما سمع، مثلنا، بذكرهم. ولا يجوز أبدا في هذا المقام أن ننسى الشاعر الغيور الأستاذ الحاج عثمان جوريو - مد الله حياته وحفظه -، أو أن ننسى رفيقه الراحل الشاعر القباج.

ولنا أن نتساءل فيما بيننا بعد كل هذه التأملات وفي ختامها عن حالة الأدب والشعر بالرباط اليوم؟

أخي الأستاذ عبد العزيز

سيداتي سادتي

عندما نقول إن مدينة الرباط هي في جملة الحواضر المغربية القليلة السباقة إلى إقرار التعليم الحر العصري بين ربوعها بمبادرات وطنية صميمة،

وعندما نذكر بأنها إلى جانب ريادتها في احتضان المطبعة كانت كذلك رائدة في احتضان الصحافة الوطنية،

وعندما نثبت أن الجمعيات الرياضية العصرية التي نشأت في المغرب الحديث كانت - بشكل من الأشكال - انطلاقا من الرباط،

عندما نذكر كل ذلك وأكثر منه،

لا ننسى أبدا أن هذه الحاضرة التي أنجبت أخانا الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هي أيضا، بالنسبة لثوابت الثقافة الفنية الحديثة، محتضن حقيقي: للموسيقى المغربية، ومنها وفيها قامت نهضة الغناء الجديد، وهذا فضلا عن كونها المختزن الثري للطرب الأندلسي - الآلة - على مختلف ألوانه ومدارسه. وإلى اليوم، أكثر من أي وقت مضى، يعتز سكان وجدة بالتراث الغرناطي المحفوظ في الرباط وبالأنغام الغرناطية النقية التي يجيد تأديتها والحفاظ عليها فنانو الرباط...

أما فيما يرجع إلى شعر الملحون وطرب الملحون فيكفي هذه المدينة اعتزازا أنها أنجبت الشيخ أحمد الكندوز، والشيخ عثمان الزاكي، والشيخ المكي الريش، والشيخين: مصطفى العوفير ومحمد العوفير...

ولمدينة الرباط، وكما لا يخفى على أحد، نصيب موفور في نهضة المسرح المغربي، هذا المسرح الذي كان جزءا من الحركة الوطنية في التوعية والإيقاظ وسلامة الذوق الجميل. وفي مدينة الرباط ازدهرت أشكاله ونبغ زعماؤه رجالا

ونساء قبل الاستقلال وبعده. والكلام في هذا المجال يطول.

ومدينة الرباط مضرب المثل في المجالس الثقافية الخصوصية التي حرص الأدباء الأصلاء قديما وحديثا على تنظيمها في بيوتهم أسبوعيا أو أكثر من مرة في الأسبوع.

وأنت يا أخي الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله تعرف كل شيء في هذا المجال كما هو شأن ذوي الاختصاص والاطلاع والعارفين الذين نتشرف بوجودهم معنا في هذه الجلسة الصباحية، وصدق من قال: «لا يفتى ومالك في المدينة».

سيداتي سادتي

لقد أخذت من وقتكم الثمين وقتا، ومن برنامجكم المحدود حيزا، وجررتكم معي إلى هذه التأملات الأدبية المتناثرة التي أوحت بها المناسبة الطيبة، والمناسبة شرط كما يقول الفقهاء.

فشكرا جزيلا على تفضلكم بالإصغاء، وحفظ الله أخي الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، وحفظ مدينة الرباط وأهلها، وجازى سبحانه وتعالى «جمعية رباط الفتح» كل خير على تفضلها بتكريم الجديرين من رجالات المغرب الأفذاذ في شتى مجالات المعرفة والعلم والعمل، وإنها لمكرمة وجيهة من المكارم التي يسجلها بكل اعتزاز هذا العهد المبارك المزدهر بنهضة الآداب والعلوم والفنون، عهد جلالة الملك الحسن الثاني دام علاه، حسن المكارم مجدنا يبنيه للفوضى وقاية، ودامت أعلامه خفاقة في سماء النصر والتأييد، وحفظه الله في سمو ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد، وصنوه الأسعد مولاي رشيد، وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة.

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

كلمة معالي الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)

أصحاب المعالي مستشاري جلالة الملك
أصحاب المعالي الوزراء
أصحاب السعادة
حضرات السادة والسيدات
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،

أود في البداية أن أعبر عن سعادتي البالغة بحضور هذا الحفل الكريم الذي خصص لتكريم أحد أعلام المملكة المغربية في هذا العصر، هو العلامة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، وأن أشكر شكرا جزيلا وافرا «جمعية رباط الفتح» على دعوتها لي للمشاركة في هذه المناسبة باسمي وبالنيابة عن المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة التي تعرف للمحتفى به قدره ومكانته على صعيد الفكر والثقافة والعمل العلمي الدؤوب الذي خدم به الأمة وعقيدتها ولغتها وتاريخها وحضارتها.

والحقيقة أن احتفاء الجامعات والمنظمات والجمعيات في المغرب برجالات هذا البلد الذين لهم باع طويل في مختلف حقول النشاط الفكري والثقافي والأدبي، ليعبر أصدق التعبير عن سجايا الوفاء والاعتراف بالجميل لهؤلاء الرواد والإخلاص للقيم والمبادئ التي تشربوا بها، والتي لا يزالون يتمثلونها

ويعيشونها في حياتهم الحافلة بالحركة وبالعمل، كل في المجال الذي نبغ فيه، وفي الحقل الذي عرف به.

حضرات السادة:

لقد ازدهرت حركة الفكر والثقافة والعلم في ربوع المغرب ازدهارا مطردا طيلة العقود الأربعة الأخيرة؛ فانتعشت الحياة الأدبية والثقافية، وسرت في عروقها دماء نشيطة أكسبت العمل الفكري والأدبي والثقافي حيوية ونموا وإشعاعا.

ولقد كان الأستاذ الكبير عبد العزيز بنعبد الله أحد الرواد الذين مهدوا السبيل إلى هذه الحركة المباركة التي يتفيأ المغرب ظلالها، والتي يعتبر هذا الحفل ثمرة من ثمارها؛ فهو من الجيل الذي أسس النهضة الحديثة في هذه البلاد، ومن الذين أبلوا البلاء الحسن في بلورة الاتجاهات العربية الإسلامية لهذه النهضة، من خلال العمل الكبير الذي قام به على مستويات مختلفة يجمع بينها تأصيل تاريخ المغرب وحضارته، وخدمة اللغة العربية والثقافة الإسلامية، وهذه هي الميادين التي تفوق فيها عبد العزيز بنعبد الله ونبغ وبرز رائدا يتبوأ مكانه المتميز إلى جانب قادة الفكر والرأي، وأعلام الثقافة والأدب، وأرباب القلم في العالم العربي الإسلامي.

لقد توزع العمل الذي نهض به عبد العزيز بنعبد الله على ثلاثة محاور رئيسة، هي: البحث في تاريخ المغرب ثقافة وحضارة وأعلاما، ودراسة أصول اللغات مع التخصص فيما يمكن أن نطلق عليه الفقه الحضاري للغة العربية، والتأليف في الفكر الإسلامي ونشر مبادئه وقيمه. ويتفرع عن هذه المحاور اتجاهان اثنان: هما الاتجاه الموسوعي، والاتجاه المعجمي. فلقد كان منزع عبد العزيز بنعبد الله هو التنقيب في حضارة المغرب واستقصاء تاريخه، فهو أول من كتب في مظاهر الحضارة المغربية بالأسلوب العلمي الحديث، وبحث هذه الحضارة بحثا أكاديميا استوفى فيه شروط التأليف المنهجي. وكان اهتمامه منصبا على اللغة في حقولها المتشعبة تأصيلا وتحليلا، ومعالجة وتفصيلا. فهو بهذا الاعتبار مفكر موسوعي يمت بصلة قوية إلى جيل الموسوعيين الذين عرفتهم الثقافة العربية الإسلامية في مطالع هذا القرن، والذين يكاد عددهم يقل

في هذا العصر الذي تتسم فيه سبل العلم ومصادر المعرفة بطابع التخصص الدقيق. وهو إلى ذلك مفكر لغوي، إذ أن آثاره في هذا الحقل المعرفي تعلو فوق مستوى البحث في قضايا اللغة، إلى التفكير اللغوي العميق.

ويبدو هذا الطابع الموسوعي الواضح فيما أصدره عبد العزيز بنعبد الله من مؤلفات، وفي مقدمتها (الموسوعة المغربية) التي صدرت منها أجزاء، وكتاباه عن (مظاهر الحضارة المغربية)، و(معطيات الحضارة المغربية)، ودراساته حول (الفن المغربي في مختلف العصور)، و(التيارات الكبرى لحضارة المغرب)، و(تاريخ المغرب في دراسة مقارنة للنصوص العربية والأجنبية)، و(الطب والأطباء في المغرب)، و(تاريخ الفقه المالكي في المغرب)، و(تاريخ المغرب في العصر الحديث والفترة المعاصرة)، و(معجم الأصول العربية والأجنبية للعامية المغربية)، وكتب ودراسات أخرى تناول فيها الاتجاهات الثقافية واللغوية في المغرب، والفلسفة والأخلاق عن ابن الخطيب، والتطور في الإسلام. إلى جانب عشرات البحوث المعمقة والمبتكرة في مجالات فكرية وثقافية ولغوية وحضارية وتاريخية وإسلامية متنوعة، مما يشكل موسوعة جامعة ذات طابع مغربي عربي إسلامي.

ولقد أنجز عبد العزيز بنعبد الله على رأس المكتب الدائم لتنسيق التعريب زهاء عشرين عاما، أعمالا ثقافية ولغوية جليلة القدر تشهد له بالتفوق العالي في هذا الحقل من حقول الثقافة والمعرفةو حيث عمل على توسيع قاعدة انتشار اللغة العربية، وساهم في حركة التعريب، المساهمة الموفورة التي يشهد بها الجميع عربا وأجانب، وانصرف طيلة هذه الفترة إلى خدمة لغة الضاد خدمة تعلي من منزلته، وتشرف اسمه في عالم الفكر والثقافة. فهو من العلماء المجاهدين بالقلم الذين نصروا لغة القرآن وخدموها وكشفوا عن جواهرها وكنوزها، وأثبتوا صلاحيتها لمسايرة التطور، وأكدوا على قدرتها وحيويتها ومرونتها.

ولقد كان عبد العزيز بنعبد الله، من موقعه المسؤول في المكتب الدائم لتنسيق التعريب في الوطن العربي، من الأعمدة التي قامت عليها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. فهو من العلماء الأكفاء الذين ساهموا في دعم

هذه المنظمة العربية بجهودهم العلمية وبكفاءاتهم العالية، في نشر اللغة العربية ودعم وجودها ومد إشعاعها، وفي تطوير الثقافة العربية الإسلامية وتجديدها وإثرائها.

وإن العطاء الذي قدمه عبد العزيز بنعبد الله في هذا المجال لمن أكرم العطاءات وأجزلها، لأنه عزز حضور اللغة العربية في مختلف المحافل، وقربها من الأجيال الجديدة، ومهد لها السبيل إلى الحياة العامة والحركة المتفاعلة مع المجتمع.

حضرات السادة والسيدات:

إن هذا التكريم، هو في حقيقته ومضمونه، تكريم للفكر وللثقافة العربية الإسلامية، وللعطاء المتميز الذي قدمه الأستاذ الكبير عبد العزيز بنعبد الله، ليس للمغرب فحسب، ولكن للعالم العربي الإسلامي، لأنه عطاء أصيل، وغزير، جدير بكل تنويه وتقدير، وقمين بكل احتفاء وتكريم.

وأجدد الشكر لجمعية رباط الفتح على إتاحتها لي هذه الفرصة للحديث عن جانب من جوانب هذه الشخصية الغنية، التي هي مفخرة للمغرب وللعالم الإسلامي قاطبة.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

كلمة الدكتور عبد الكريم خليفة(*)

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد،

فقد بعثت إليكم رسالة بتاريخ 1413/5/13هـ الموافق 1992/11/9م، واعتذرت فيها عن عدم تمكني من المشاركة في هذا المهرجان الخير الذي تقيمونه تكريما للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، أحد الجلة من علمائنا في الوطن العربي. فإذا فاتني شرف المشاركة في هذا المهرجان الذي تكرمون فيه العلم والعمل الدؤوب في خدمة أمتنا ولغتها وتراثها العربي الإسلامي، من خلال تكريمكم المحتفى به، أرجو أن لا يفوتني شرف تحية جمعيتكم الغراء، رباط الفتح، وجهود المشاركين في هذه المناسبة الكريمة. ،تقديم أحر التهاني وعميق الاحترام إلى المحتفى به زميلنا العالم الجليل الأستاذ بنعبد الله حفظه الله وأسبغ عليه ثوب الصحة والعافية. ولاشك أن البحوث العلمية للمحتفى به، ستضيف جديدا إلى تاريخ الفكر والحياة الأدبية واللغوية وتغني الخزانة العربية المعاصرة. فحياته العلمية المديدة إن شاء الله حافلة ومتعددة الجوانب. ،إذا كانت مظاهر الحضارة المغربية ومعطياتها، كانت محور فكره وأدبه، فإن ما أنجزه من معجمات في مجالات العلم والحضارة والتقنيات الحديثة باللغة العربية، وقد أربا عددها على الأربعين معجما، قد أغنت اللغة العربية الحديثة، وشرعت الأبواب لوحدة لغة الحضارة والتقنيات الحديثة في الوطن العربي. وإن وحدة لغة التخاطب والتفاهم ووحدة لغة أصحاب المهن والحرف، ووحدة

(*) رئيس مجمع اللغة العربية الأردني، وعضو المجامع العربية الثلاثة، ورئيس الجامعة الأردنية سابقا.

ألفاظ الحضارة، مما يستعمله الإنسان العربي في العصر الحديث وعلى أبواب القرن الواحد والعشرين، لتكون ركنا أساسيا من أركان وحدة أمتنا العربية، وتقارب جماهير شعوبها في أقطارها المختلفة. ولا شك أن هذا العمل الكبير الذي أنجزه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، في هذا المضمار قد يدخل التاريخ باعتباره إحدى الصفحات المهمة في نهضة أمتنا العربية ووحدتها...

لقد حفظ القرآن الكريم اللغة العربية، وبالتالي حفظ وجود الأمة العربية. فالعربية أيها السادة لغة العروبة والإسلام، ولولا القرآن الكريم، دستور الإسلام لأصاب اللغة العربية ما أصاب اللغات الأخرى التي ماتت وبادت، أو ما أصاب اللغة اللاتينية على أحسن تقدير، إذ نشأت عنها الفرنسية والإسبانية والرومانية والإيطالية... ولأصاب الأمة العربية ما أصاب الأمم الأخرى التي فقدت هويتها واختلف في أنسجة أمم أخرى بحضارات مختلفة ولغات مختلفة.

فإذا كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف قد كفلا وجود اللغة العربية ووحدتها واستمرارها عبر القرون، وكفلا في العصر الحديث وحدة اللغة الأدبية في المجلات والصحف والدوريات والمنشورات، فإن وحدة اللغة الحضارية والتخاطب والتفاهم في مختلف الأقطار العربية لتكون قضية أساسية خطيرة تهدد وحدة الأمة إلى جانب قضية وحدة اللغة العلمية والحضارية والفنية، لتضع حكومات الأقطار العربية وجامعاتها ومؤسساتها العلمية وعلمائها، أمام مسؤولياتهم التاريخية في حياة هذه الأمة وفي حياة لغاتها العربية الخالدة بخلود القرآن الكريم.

وفي هذا الإطار التاريخي، نضع إنجازات العالم الجليل عبد العزيز بنعبد الله في مجال المعجمات الحضارية والتقنية، وأنه قد أضاف فكرا جديدا... وشرع الأبواب لطريق سابلة، إن شاء الله.

وكان إلى جانب هذه الإنجازات العلمية المهمة، يبذل الجهود المضنية على مستوى الوطن العربي في مختلف أقطارها، ومن خلال جهوده الخيرة رئيسا لمكتب تنسيق التعريب بالرباط، الذي أنشئ سنة 1962م بالرباط، وقد ترك عبد العزيز بنعبد الله بصمات مهمة على أعمال هذا المكتب، واستطاع أن يجعل فيه بعمله الدؤوب وبما وهبه الله من الفكر النير والشخصية المؤثرة، مؤسسة عربية،

تمتد خيوطها إلى المجامع اللغوية العربية والجامعات العربية والمؤسسات العلمية في جميع الوطن العربي. وكان لاتصالاته الشخصية ومحاضراته القيمة في زياراته الآثار الكبيرة في استثارة الهمم وتنسيق الجهود في خدمة العربية لغة العروبة والإسلام... وإن هذا الاتجاه الأصيل في فكر عبد العزيز بنعبد الله، وجهوده المتميزة في خدمة اللغة العربية، تنبع من فلسفة أصيلة، استطاع أن يكونها من خلال دراساته التاريخية والفكرية والحضارية. وقد عبر عن هذه الفلسفة العروبية في مناسبات علمية في مختلف المؤتمرات في المشرق العربي وفي مغربه... وجاءت كثير من أبحاثه تؤكد هذه الفلسفة وتكشف عن جذورها التاريخية... وقد جعل من هذا الفكر عنوانا صريحا لبعض مقالاته. وكانت «العروبة العريقة من المحيط إلى الخليج» تشغل بال عالمنا الجليل، وتكون محورا أساسيا في نشاطه الفكري واللغوي... وإن الدراسات اللغوية التي قام بها للعاميات في الخليج العربي، في الكويت والبحرين وقطر، والعامية في مصر وأقطار المغرب العربي وغيرها، لتصب جميعها في هذا الاتجاه العروبي الأصيل... وإن ما يضفي قيمة كبيرة على دراساته لتأصيل هذه العاميات في الأقطار العربية، بجذورها العربية الفصيحة، الدراسات التاريخية لمنابت القبائل والشعوب التي تكون الأمة العربية في أقطارها المختلفة من المغرب العربي إلى مشرقه... في منابتها اليمانية من حميرية وقحطانية ومنابتها العدنانية من مغربية وقيسية...

والعروبة التي طالما عبر عنها عبد العزيز بنعبد الله تحت عنوان «عروبة عريقة من المحيط إلى الخليج»، هي عروبة الأصول واللغة والانتماء العربي الإسلامي. فهي العروبة الأصيلة، بقيمها الإسلامية الإنسانية الرفيعة التي تساوي بين جميع الأجناس والألوان. فالناس سواسية كأسنان المشط، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى... فلا فرق بين أحمر وأسود وأصفر... وكلكم من آدم وآدم من تراب... والعربية لغة القرآن، إذ يقول سبحانه وتعالى: «نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين. بلسان عربي مبين»... ومن المأثور «العرب مادة الإسلام، ومن كره العرب فقد كره الإسلام... فهذه هي الخيوط الأصيلة التي تكون نسيج العروبة العريقة التي تمتد في وطننا العربي

الكبير من المحيط الأطلسي إلى الخليج العربي.

وفي ختام هذه الكلمة الموجزة، أبعث إلى حفلكم الكريم، باسمي واسم مجمع اللغة العربية الأردني أحد حصون العربية المنيعة إن شاء الله بأجمل التحيات وعميق الاحترام وإلى العالم الجليل المحتفى به الزميل الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أحر التهاني، مشفوعة بالدعاء إليه، سبحانه وتعالى، أن يحفظكم ويرعاكم.

ويطيب لي بهذه المناسبة الكريمة، أن أوجه الشكر الخالص والتحية الأخوية إلى جمعية «رباط الفتح» وإلى رئيسها الفاضل، على إقامة هذا المهرجان العلمي التكريمي. وإن «رباط الفتح»، الاسم الذي تحمله جمعيتكم الغراء، لهو اسم ميمون، يثير في نفسي مشاعر وأحاسيس عميقة وتستوحي كنهها من صفحات تاريخنا المجيد، وتقف حائرة ذاهلة أمام «المسجد الأقصى» و«قبة الصخرة المشرفة»، وشعار مجمع اللغة العربية الأردني، كما تلاحظون. وإن الواقف على الهضاب المجاورة لمجمعنا الأردني بعمان، ليشرف على فلسطين، وقد التهمها الغزاة الصهاينة، ويكاد يرى بالعين المجردة «بيت المقدس» و«المسجد الأقصى»... بل ويكاد يسمع أنين الجرحى ونواح الثكالى، واستغاثة الأسرى والمستضعفين، من نساء وأطفال وشيوخ، ولا من مغيث ولا من مجيب... والشعب الأعزل يقارع الغزاة الصهاينة، ويقابل نيران دباباتهم ومصفحاتهم وبنادقهم بالحجارة والصدور العارية... وأمتنا العربية الإسلامية مغلوبة على أمرها... وحسبنا الله ونعم الوكيل.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

شهادة وإشادة

إبراهيم محمود جوب(*)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

صاحب السعادة الأستاذ الفاضل عبد الكريم بناني: الرئيس المنتدب لجمعية رباط الفتح.

سعادة الأستاذ العلامة المحتفى به: عبد العزيز بنعبد الله: عضو أكاديمية المملكة المغربية.

فضيلة رئيس رابطة علماء المغرب: الشيخ المكي الناصري: عضو أكاديمية المملكة المغربية.

أيها الإخوة أيتها الأخوات:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد: فإنه ليسعدني أن أستهل هذه الكلمة المتواضعة بإزجاء شكر جزيل، وثناء عاطر، وامتنان صادق لسعادة الرئيس المنتدب لجمعية رباط الفتح الأستاذ عبد الكريم بناني الذي تفضل - مشكورا - باستدعائي لحضور هذا اليوم البهيج الأغر، والانخراط في سلك الإخوة المشاركين في هذا الاحتفال العلمي الخاص بتكريم علم من أعلام العلم والثقافة والفكر نحبه ونقدره جميعا

(*) الأمين العام لرابطة علماء المغرب والسنغال، وعضو المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي، وعضو مجمع اللغة العربية المراسل بالقاهرة.

لما يتحلى به من مواهب متميزة، وسيرة عطرة سوف نستمع - بإذن الله - إلى بعض فصولها من نخبة من عارفي فضله هم - ولا شك - أندى مني صوتا وأقوم قيلا، وأصلب - في هذا المجال - عودا وإني إذ أتشرف بالشهادة للمحتفى به صادقا، وبالإشادة بمكارمه عن علم فإنما أتحدث أصالة عن نفسي، ونيابة عن جميع أصدقاء العلامة بنعبد الله في السنغال المسلم، وخصوصا رجال العلم والثقافة الإسلامية والفكر والدعوة والتصوف السني، أولئك الذين يسعدون دائما بلقائه، والاستماع إليه، والقراءة له، والاقتباس منه والرواية عنه، والأنس به، والتعاون معه في ميدان الدعوة إلى الله، وتوعية الجماهير، ومعالجة مشكلات الحضارة . وذلك ضمن البعثات التي تتوجه إلى السنغال في كل عام مرة أو مرتين بتوجيه من أمير المؤمنين جلالة العاهل المفدى الحسن الثاني نصره الله تحت إشراف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: ولو أن مشتاقا تكلف فوق مافي وسعه لحمل كل واحد منهم عصى التسيار إلى رباط الفتح ليؤدوا معي واجب الشهادة والإشادة. وحيث تعذر ذلك بطبيعة الحال، فقد تعهدت بنقل تحاياهم مع صالح الدعوات. ولا غرو، فإن «ذمة المومنين واحدة يقوم بها أدناهم».

إن جمعية رباط الفتح التي عرفت بالجد والفعالية، قد حققت -مرة أخرى- إنجازا بالغ الأهمية بهذا التكريم الذي صادف محله بحق في شخص عالمنا الجليل، فبح بها، وواها لها. فما أروع أن نرى الكفاءات العالية والاعلام الموهوبين على بساط التكريم وهم أحياء يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله وهو لون من ألوان الوفاء ينطوي على دعوة للأجيال الصاعدة خصوصا؛ إلى ترسم خطى الناجحين، والتشبه بالصالحين، ويأليت الشاعر التونسي أبا القاسم الشابي يعيش اليوم في رباط الفتح ليشهد ما تندمل به جراح آلامه فهو القائل:

الناس لا ينصفون الحي بينهم حتى إذا توارى عنهم ندموا
حتى العباقرة الأفذاذ حيهم يلقى الشقاء، وتلقى مجدها الرمم

أيها السادة:

إنني أعرف العلامة عبد العزيز بنعبد الله في المغرب، وأعرفه أيضا في

السنغال. أما معرفتي به في المغرب فقد بدأت منذ سنيه الأولى في مكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، فقد استهواني أسلوبه العلمي في خدمة الدين، وحبه الشديد للغة القرآن الكريم، وعلى رغم ما بيننا من تفاوت، فأين الظالع من هبة الضليع، إلا أن العربية ربع عزتي. فمن تجند لخدمتها باقتدار أصفيته المودة، ووالیته صادقا. فانطوت السنون وأنا أتتبع إنتاجه، وأعشو إلى ناره، والتقط من حدائقه ورودا ورياحين، دون أن نلتقي في مكان.

ثم التقينا هنا في المغرب، ثم استقبلناه في السنغال ضمن وفود الصداقة والفكر والدعوة، وتألق نجمه في سماء البلاد، وتعددت مساهماته وأحاديثه وتعليقاته ومحاضراته. تارة بالعربية وتارة بالفرنسية، وهو حجة في كلتيهما، ومرة يلقي الحديث باللغتين مزجا جميلا، في ثقة وتواضع يطويان الزمن فلا يشعر الجمهور بمضي الوقت، *{ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظم}*.

ولو أن لي أن استنطق سجلات ثلاثين سنة وهي عمر معرفتي به، لاحتجت إلى كل ساعات هذا اليوم ولا أكاد أقضي بها لبانتي ألا إن المجالات الفكرية والثقافية التي أبدع فيها علامتنا متعددة متنوعة، شملت بحوث الحضارة والعلوم، سيما الحضارة المغربية التي يعد الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله جذيلها المحكك، إلى علوم الدين، وإلى الآداب وفقه اللغة، إلى المعاجم والمعلمات، إلى عطاءات رفيعة المستوى في مختلف الجامعات في العالم الإسلامي، وفي الغرب وفي الشرق الصفحات، مما يذكرني أحيانا بفكرة الإمام السيوطي في بعض مؤلفاته عن الزمن وطيه، أو تقول عن بركة الوقت عند الربانيين.

وبناء على هذا الاستبحار والاتساع أرى أن أكتفي بالإدلاء بشهادة تشيد بإيجابية رحلات المحتفى به إلى بلادنا خصوصا في العقد الأخير، فقد لاحظ المهتمون بالتربية الإسلامية، وتوعية الجماهير أن محاضرات العلامة بنعبد الله في المجامع والجامعة والزوايا أسهمت في تحرير كثير من الشباب المسلم من عقدة المعاصرة السطحية، حيث زرع الفكر الاستعماري لدى الكثيرين أن الإنسان المتحضر اليوم إما أن يتدين فيتخلف عن ركب الحضارة، أو يساير

العصر فيتحرر من «التراث» وهي معضلة تضجر منها أحد أعلام أسرة الشيخ ماء العينين رضي الله عنه. إلى أن قال:

فذوو الديانة لاثقافة عندهم وذوو الثقافة ناكبون عن الهدى

ومن قبله رأى المعري أنه:

اثنان أهل الأرض ذو عقل بلادين وآخر دين لا عقل له

فإذا بنا نستمع إلى العلامة عبد العزيز وهو مزدوج الثقافة، ثنائي اللغة بإتقان، فنرى فيها مسلما ربانيا، أشعريا مالكيا صوفيا سالكاو من أعلام التجانية العارفين، ثم أنه أستاذ جامعي ذو مستوى رفيع وعضو أكاديميات عربية وعالمية، ويلقى الاحتفاء والتكريم في مختلف الأوساط العلمية، له ثقافة وهدى وله عقل ودين، قرت عيون المصلحين المسلمين به أن مرج البحرين، وزالت حيرة المفتونين، إن شخصيته حجة على كل من كان يظن أن الصلاح والتدين مدعاة للإنزواء والسلبية وعلى الذين يحسبون أن المعاصرة انطلاق من قيد التراث وموجبة للانحراف عن سبيل المومنين. فعلامتنا نموذج حي للشخصية الإسلامية المتوازنة جمعت بعون الله بين الأصالة والمعاصرة في مسيرة ذات فعالية وتأثير في جو معطر بأريج الذكر والتسبيح والتقوى ومراقبة الحق سبحانه. أضف إلى ذلك كله وطنيته الواعية، وكفاحه المبكر، ومواقفه التي سجلها له ولرفاقه وأسرته تاريخ البطولة والجهاد في المغرب الحديث، سيما أيام الملحمة التي قادها بصدق وحسن بلاء فقيد العروبة والإسلام جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه، وقدس روحه وأجزل مثوبته ثم حمل رايتها، وضاعف فعاليتها ملك العلماء وعالم الملوك، جلالة الملك الحسن الثاني أيده الله بنصره وسدد خطاه، وأنجح مساعيه، وأبقى المغرب تحت قيادته منبرا عالميا لدعوة الخير وخدمة الإنسان، وصيانة القيم وتشجيعها. وأقر عينه بسمو ولي عهده المحبوب سيد محمد وبصنوه الأمير المجيد مولاي الرشيد وبسائر أفراد الأسرة العلوية الشريفة.

ووفق الجمعية لمزيد من الانجازات لصالح الإسلام والوطن والإنسانية، وأطال عمر العلامة المحتفى به حتى يستمر عطاؤه، ويدوم ارتقاؤه، وينال «البغية» والمرام في الدنيا والآخرة وما ذلك على الله بعزيز.

عبد العزيز بنعبد الله ونشر التعريب في الوطن العربي

أحمد الأخضر غزال(*)

عينان ملحاوان براقتان تحت حاجبين أوطفين في وجه سمح أنيس. فبريق العينين يتلألأ ذكاء وفطنة بينما وطف الحاجبين يظلل عمقا من المعرفة والدراية. هكذا بدا لي عبد العزيز بنعبد الله لما رأيته لأول مرة في مدرسة لحلو بالدار البيضاء وهو جالس في مكتبه ينصت إلي بينما شاهده يتلقلق في يد بيضاء مطاردا الأشباح السود.

قال: لقد تتبعت قضية تيسير الكتابة العربية من خلال أعمال مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وآمل أن تجد هذه المشكلة حلا مرضيا عسى أن ينبعث من المغرب وفقك الله.

فكانت أول كلمة تشجيع تلقيتها إثر رجوعي إلى المغرب سنة 1952 بعد انتهاء دراساتي الجامعية بالخارج فزادتني تلك الكلمة الطيبة حماسة وشجاعة على متابعة أبحاثي في هذا الميدان.

وحدث أن عين مديرا لإدارة التعليم العالي التي لم يكن لها وجود آنذاك وكنت «شاغرا» بعد إبعادي عن التربية الأساسية ومحاربة الأمية فطلب مني مساعدته على إنشاء هذه المديرية وكلفني بإحداث مصلحة التعليم العالي العصري بينما كلف الحاج أحمد بنشقرون بإحداث مصلحة التعليم العالي

(*) مدير معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، وعضو أكاديمية المملكة المغربية.

الأصلي، فوجدنا في عبد العزيز الرجل الناصح المتفهم الذي جعلنا وإلي يومنا هذا نتذكر تلك الأيام التي قضيناها معه في الوزارة المركزية بكثير من الارتياح والاطمئنان لاسيما وأن وزارة الشؤون الإسلامية والتعليم الأصلي التي ستنشأ عشر سنوات من بعد ستجد أرضية الانطلاق ممهدة واضحة المعالم بفضل أعماله. وحدث أن عقدنا المؤتمر الأول للتعريب في أحضان جامعة محمد الخامس وأشار إلينا المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه بإنشاء مكتب لتنسيق التعريب يكون مقره بالرباط. فتقدم الوفد المغربي بتوصية لإنشائه فصودق عليها.

وهكذا طلب مني وزير التربية الوطنية آنذاك المرحوم السيد عبد القادر بنجلون إنشاء المكتب المذكور وتعيين المسؤول عنه بالاختيار بين عبد العزيز بنعبد الله وشخصية أخرى، فاقترحت عليه عبد العزيز فكلفني الوزير بتحرير رسالة لترشيحه أمينا عاما للمكتب إلى الإدارة الثقافية التابعة للجامعة العربية هذا فحواها بعد التحية والإشارة إلى التوصية الخاصة بإنشاء المكتب: «يطيب لي أن أقترح على سيادتكم ترشيح الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أمينا عاما لمكتب تنسيق التعريب لما عهدناه فيه من مقدرة على حسن تسيير الشؤون الإدارية وتضلعه في اللغة العربية وواسع ثقافته وحميد أخلاقه وعمق إيمانه بقضايا العروبة والإسلام».

وحدث أن طلب مني عبد العزيز مساعدته على إنشاء مكتب التنسيق هذا فبادرت إلى تلبية رغبته. وطوال جلسات عمل في منزله وضعنا الخطوط العريضة لمُنَظَّم المكتب وبرامجه ومحتويات مجلته، وأذكر أن تحمسي ازداد نشاطا لمساعدة الأخ عبد العزيز عندما أخبرني بحلم أيقظه من نومه قال: «نمت وأنا مشغول البال بقضية التعريب متى سيتم في مراحل التعليم المختلفة وإذا بي أسمع صوتا يقول لي «متى تمكن زال اللكن» وهذا من باب النذيرة الميمونة التي تحققت اليوم فزال اللكن تماما والحمد لله إذ تحقق تعريب التعليم، وصار عبد العزيز يتمتع بفصاحة في اللسان، وقوة في الارتجال، وبداهة في الأفكار الشيء الذي يثير التعجب والإعجاب.

ولما انتظمت أمور المكتب وشرعنا في العمل معا بعد تسميته أمينا عاما

من طرف الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية وتعييني مستشارا عاما من طرف المجلس التنفيذي للمكتب، ثارت قضية تمويل المكتب وعقد المؤتمر الثاني للتعريب فبالنسبة إلى التمويل لم تزود الدول العربية المكتب بحصتها المالية حسب ما اتفق عليه في المؤتمر الأول، وذلك رغم مراسلات متكررة تذكر بالوعد وتطالب بذلك القدر المالي الهزيل الذي يكاد يكون رمزيا. فتأسفنا على عدم اكتراث العرب بأول جهاز عروبي في ميدان اللغة. وهنا لم نتفق على الخطة التي كان ينبغي اتخاذها للخروج من هذا المأزق. ففي ما يخصني تبين لي أن القضية اللغوية لا تحظى في وطننا العربي بأي اهتمام وأننا نقول كثيرا ونفعل قليلا. ولكن واقع الحال كان يقتضي مع ذلك في نظري الدعوة إلى عقد المؤتمر الثاني للتعريب. لأنه الهيئة العليا التي كان من المفروض أن يقدم إليها المكتب تقريره عن عدم تقدم أعماله بسبب عدم وفاء الدول العربية بعهودها. أما عبد العزيز فكان يرى أن متابعة الأشغال ولو بوسائل هزيلة من شأنها أن تؤدي إلى نتائج، وإن كانت قليلة، إلا أنها ستكون خيرا من لا شيء. وأخذ كل واحد منا طريقه. أنا طريق متابعة إنشاء المعهد، وعبد العزيز طريق الكفاح والمثابرة والجهود المضنية، فلم يستطع أن يعقد المؤتمر الثاني إلا في سنة 1973 (أكثر من عشر سنوات من بعد!). فقام وحده بأعمال عدة: مجرِّدا مقابلا واضعا مؤلفا عشرات المعاجم، عاقدا الندوات بعد الندوات، وشاهدا في الميدان اللغوي عددا عديدا من اللقاءات، محاضرا مخاطبا مناقشا مشهرا قضية التعريب والمصطلحات إلى حد أن صار العالم العربي ينتج من المعاجم في بضعة سنوات ما لم ينتجه طوال عقود وعقود. وكانت الفكرة السائدة في ذهنه، والتي كنا اتفقنا عليها وتعاهدنا ضمنيا على تحقيقها، هي التوحيد، توحيد المصطلحات التي أنتجتها القرائح العربية منذ عهد النهضة لذلك استمر في عقد مؤتمرات التعريب منذ سنة 1973 طارحا العديد من المعاجم للتوحيد فوحدت في المؤتمرات وصدرت في شأنها توصيات لتصبح موضع التطبيق في مختلف البلدان العربية. فالأستاذ عبد العزيز بنعبد الله قد أدى واجبه نحو الدفع بعملية التعريب في الوطن العربي التي كان هذا العالم يفتقر إلى الرجل الموهوب للقيام بها فكان عبد العزيز ذلك الرجل المنتظر.

تكريم الأستاذ الكبير
السيد عبد العزيز بنعبد الله

الحاج أحمد بنشقرون(*)

في فجر الاستقلال، وبعد فتح جامعة محمد الخامس بالرباط في سنة 1957، تعزز التعليم العالي، بالأستاذ الكبير، السيد عبد العزيز بنعبد الله، الذي نصب في مقر وزارة التربية الوطنية، رئيس قسم التعليم العالي والبحث العلمي، الذي كان يشمل التعليم الاسلامي العالي، وكنت يومئذ رئيس مصلحته، المشرفة على القرويين بفاس، وكلية ابن يوسف، بمراكش، ومعهد التعليم العالي بتطوان، ومعاهد أخرى، منبثة في جهات من المملكة. فاشتغل بالمهمة المنوطة به، اشتغال العالم، الخبير، والباحث المقتدر، وكان يعقد عدة اجتماعات مع ممثلي هذا القطاع من التعليم، بحثا عن كل ما يدخل عليه ازدهارا، وتنشيطا، ويقوم بزيارات لعين المكان لإلقاء محاضرات وخاصة في فاس ومراكش، وتطوان ويحبر دراسة تاريخية، حول ماضي القرويين، وحاضرها، وما ينوي أن يحققه فيها بالنسبة لمستقبلها، وفي الوقت نفسه، يعقد اجتماعات في مقر جامعة محمد الخامس، مع رئيسها إذ ذاك: العلامة الكبير، المرحوم بكرم الله تعالى، السيد محمد الفاسي، وكثيرا ما كانت تسفر هذه

(*) عضو أكاديمية المملكة المغربية، ورئيس رابطة علماء المغرب.

الاجتماعات الجادة عن خطط للعمل المثمر، الذي يجعل التعليم العالي، يقطع مراحل تذكر، فتشكر، وهكذا كانت أعمالها، وحركاته المنتجة، تتبلور من حسن، إلى أحسن، ولم تكن هذه الأعمال المستمرة الإدارية لتعوقه عن البحث، والتأليف، فاشتغل في دوامته الثقافية، بتأليف كتب بالعربية، والفرنسية والذي أعرفه عن أستاذنا الكبير، أنه ما كان يضيع لحظة من حياته الثمينة في غير طائل، بل كان لا يضع القلم، إلا ليحمل سبحته، التي يذكر الله فيها على صغر سنه، آناء الليل، وأطراف النهار، وليمتن علاقته بالله، في خلواته بسيدي العربي ابن السايح، وجلواته، في بيوت الله الأخرى، ومشاركتي أيها الإخوة في حفل تكريمه هذا، ستكون مركزة حول كتابه: «مظاهر الحضارة المغربية» ففي عام 1957 أصدر الأستاذ الجليل، السيد عبد العزيز بنعبد الله، كتابه القيم، الذي قال في حقه معالي الوزير: أن عيبه أحسنيته، وسماه «مظاهر الحضارة المغربية».

فكان أبرز مظهر نال حظا وافرا من التقدير، حيث اعتبر المد الإسلامي في المغرب من خلال جامع القرويين، الذي بنته فاطمة الفهرية عام 245هـ كأقدم جامعة في الدنيا، مازالت معلمة المعالم إلى اليوم بفضل أمير المومنين وحامي حمى الوطن والدين، جلالة الملك المعظم، الحسن الثاني نصره الله، الذي أيده ورفقه، لهذا العمل الصالح وغيره.

لقد لقنت هذه الجامعة الأجيال، تلو الأجيال، منذ إثنى عشر قرنا، تعلم الإسلام، وهو في هذه البلاد الدعامة الكبرى، والعروة الوثقى، التي ربطت بين العرب، والبربر، وبين مختلف الطبقات الاجتماعية، وشتى الأقاليم، من الكويرة إلى طنجة، عبر العصور.

وقد جلس الملوك المرابطون، والموحدون، والمرينيون، على أريكة العرش وهم برابرة، فكان أول عمل قام به الملثمون هو كما يقول ابن أبي زرع، رد أحكام البلاد إلى القضاة، وإسقاط مادون الأحكان الشرعية. (ج 2 ص: 37). بل بعدم القطع في أي أمر دون مشاورة الفقهاء الذين هم ممثلو الشريعة. «المعجب لعبد الواحد المراكشي ص: 120».

وقد كانت الفكرة الإسلامية، هي العامل القوي. كما يعترف بذلك

المؤرخون الغربيون، في بناء صرح الإمبراطورية المغربية، التي امتدت من السودان إلى برقة بالأندلس، ككتلة أولى للمغرب العربي منذ ألف عام، وقد لمح إلى ذلك (طراس) في تاريخ المغرب، حيث أبرز دور الإسلام في خلق الكيان المغربي، وبث الروح الوثابة في النفوس والتمسك بالشريعة، وقد حلل أستاذنا الكبير الباحث المقتدر السيد عبد العزيز بنعبد الله في كتابه القيم هذا، العوامل الخلاقة، للمظاهر المثلى، للحضارة المغربية، ومنها لغة القرآن، التي ظلت ركيزة جامعة القرويين. فكان في ذلك سر نجاحها حيث زودت القارة الإفريقية بأعظم جهابذتها، لا في العلوم الإسلامية وحدها. بل في مختلف أصناف العلوم، التي تبنتها جامعة القرويين وقد أكد الاستاذ «أوبان» في كتابه (مغرب اليوم): أن الإسلام حمل معه عاملا ثمينا، للوحدة العربية، هو لغة الدين، ولغة الحضارة، وقد أكد هذا المؤرخ في مكان آخر من كتابه، ما كتبه من قبل، ملاحظا أنه لا يوجد سوى رابطتين، يمكنهما جمع أشتات هذه الذرات المتناثرة، أهمها رابطة الدين، النابعة من العقيدة الإسلامية.

وقد وصف الأستاذ الكبير السيد عبد العزيز بنعبد الله المحتفى به في كتابه القيم في لوحات فياضة بالإشعاع الحضاري، كيف تغلغلت لغة القرآن، في أعرق مداشر الأطلس، والريف مما حدا مؤرخين أمثال (روبير مونطاني) إلى الاندهاش أمام هذه الفورة العارمة من انسياق الشعب المغربي، كوحدة متراصة مع المد الإسلامي.

إن هذه المظاهر التي بلغت في الواقع سويداء القلوب، لم تكن مجرد مظاهر، بل كانت حقائق راسخة في صميم الحياة المغربية، مما كيف الحضارة المغربية في أعرق جوانبها، وأعمق جنباتها.

هذا ومنذ صدور هذا الكتاب القيم، شعر المغفور له، صاحب الجلالة سيدي محمد الخامس قدس الله روحه، وصاحب السمو الملكي آنذاك ولي العهد المحبوب، صاحب الجلالة الحسن الثاني نصره الله، بقيمة هذا الكتاب وبعد تأثيره في الوسط الإسلامي، فتفضلا بالتعبير عن عمق إعجابهما، في رسائل ملكية أميرية نشرت في ذيول الكتاب، الموضوع للمدارس الثانوية.

وقد أعقب هذا الكتاب: كتابان آخران باللغة العربية هما: «معلمة الفقه

المالكي» التي صدرت ببيروت عام 1403هـ-1983م. ومعلمة المفسرين والمحدثين، التي قامت بنشرها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض، عاصمة المملكة عام 1405هـ-1985م وقد أكد الأستاذ الكبير في هذين الكتابين، مدى عمق الفكر الإسلامي، في هذه الديار، التي نفحتها جامعة القرويين بفاس، يفيض من أفذاذ رجالاتها، الذين لم يتركوا فجا من فجاج المعرفة إلا سلكوه سلوك المتمكن الواعي الرصين.

ولم ينس الأستاذ الكبير أن هناك في القارة الإقريقية عامة والمغرب خاصة بل وبقية العالم الإسلامي، ملايين وملايين من الشباب الذين لم تتح لهم دراسة اللغة العربية، بحكم الاستعمار الغاشم، فصنف مجموعة كتب أخرى، باللغة الفرنسية، كان أولها كتاب «أضواء على الإسلام» أو «الإسلام في ينابيعه» طبع أربع مرات، ووزع مجانا في العالم. وقد جمع فيه التعاريف النبوية الأصيلة للإسلام، والإيمان، مستقاة من ستة عشر مصنفا في الحديث، ما بين صحاح وسنن ومسانيد، أعطت صورة عن حقيقة الفكر الإسلامي، المجرد عن الإسرائليات، التي شوهته، وزيفت أصوله، فكان للكتاب أثره في أوروبا نفسها، حيث نقلت مجلة «المسلمون» في أحد أعدادها، صورة شخص بلجيكي، يحمل الكتاب بين يديه، ويقول: «بفضل هذا الكتاب، اعتنقت أنا وزملائي في بلجيكا هذا الدين الذي عرفناه من هذا الكتاب على حقيقته».

هكذا أيها السادة، نكون قد ألقينا نظرة عابرة، على كتاب أستاذنا الكبير: «مظاهر الحضارة المغربية»، عرفنا منها، وبها بعض ما يمتاز به هذا الباحث المغربي الإسلامي الكبير، الذي نقوم اليوم بتكريمه والاحتفاء به، وبما أكرمه الله به من معارف جمة، ومعاني رصينة ويتجلى ذلك في مقدمة ما يمتاز به العباقرة والحذاق، من خلال ما سطروه في الأوراق، وما نالوه من الملك الخلاق، من صوفية ممعنة في التعلق بالله تعالى، نرجو الله أن ينفع به، وبقلمه، وعلمه، وكتاباته الإسلامية، وغيرها بأكثر من لغة، جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها في ظل ملك العلماء، وعالم الملوك أمير المؤمنين، وحامي حمى الوطن والدين جلالة الملك المعظم الحسن الثاني، الذي يحفظه الله تعالى بالحفظ الأبدي الذي حفظ به كتابه، ويقر عينيه بولي عهده صاحب السمو الملكي الأمير

الجليل سيدي محمد، وصنوه صاحب السمو الملكي الأمير الرشيد مولاي رشيد، والأسرة الملكية الكريمة بما حفظ به الذكر الحكيم والسلام.

* * *

معنى الحضارة
فيما كتبه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

أحمد التوفيق(*)

حضرات العلماء الأفاضل أيها السادة أيتها السيدات،(1)

إن الموضوع الذي اقترحته لا يمكن أن يلقى ارتجالا والزمن لا يسمح بقراءته، ولذلك سأعطي فكرة سريعة عنه، وفي البداية أتقدم بالشكر الجزيل لجمعية رباط الفتح التي شرفتني بالمشاركة في هذا الحفل التكريمي لأستاذي عبد العزيز بنعبد الله، فإذا لم يكن في اللائحة بأسماء المتدخلين تلميذ اصطلاحي جلس أمام عبد العزيز بنعبد الله فأنا هذا التلميذ، وقد يكون هذا من اليمن والصدفة والقدر المقدر لتكتمل صورة ماتريده هذه الجمعية من الإحاطة الممكنة بفضائل الأستاذ ومن تتبع آثاره، ومن آثار الأستاذ، تلاميذه الذين يمشون على الأرض وينقلون بعض روحانيته وبعض علمه إلى خلفهم خلفا عن سلف بعد هذا أذكر أنني أعرف عبد العزيز بنعبد الله وأنا في باديتي مسقط رأسي في ناحية مراكش، عرفته من خلال كتابه في الجغرافية الذي صدر في الأيام الأولى للاستقلال (جغرافية المغرب)، وأذكر لكم نكتة قد لا تزيل من هيبة هذا الموقف، ولا تخل بالروحانية المسيطرة عليه، وهو أنني وأنا أتهجأ في المدرسة الابتدائية وأقرأ هذا الكتاب. أذكر أنني من بين المعلومات

(*) مدير معهد الدراسات الإفريقية سابقا، محافظ الخزانة العامة بالرباط حاليا.

(1) استخرجه من التسجيل مصطفى الجوهري.

الاقتصادية التي قرأتها، أن عدد الحمير في المغرب سبعة ملايين، وأذكر الحمير لأنها مذكورة في القرآن الكريم من باب المنفعة والزينة، فرجعت إلى والدي رحمه الله أستفسره كيف عرف هؤلاء عدد هذه الدواب؟ فقال: «إن الفرنسيين قد فرضوا الضرائب على الأشياء غير الشرعية التي لا تؤدى عنها الضرائب ومن بينها الحمير فلذلك يحسبون في كل عام ما تملكه من الحمير والبغال وغيرها. فحل لي ذلك المشكل، ومرت السنون والتحقت بكلية الآداب جامعة الرباط سنة 1964، ووجدت هذا الرجل الذي قرأت كتابه في الصبا أمامي محاضرا في الحضارة الإسلامية فاكتشفت فيه الرجل الموسوعي حقا، فتعلمت منه علما كثيرا وتقنيات من بينها، لأول مرة كما تعلمها زملائي، تقنية الجذاذة العلمية فهو رجل ذو جذاذات، ومن لا يعرف هذه التقنية عند الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله قد لا يستطيع أن يتتبع تحليلاته وترتيباته في كتبه، وكان الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في درسه للحضارة يركز على مدينة فاس، وأختصر بأن أقول، إن البدويين من أمثالي قد تضايقوا بذلك التركيز غاية التضايق، ولما اقترحت علي جمعية رباط الفتح أن أشارك في هذا الحفل عادت بي الذكريات ومشاغلي العلمية لتلتقي في هذه النقطة. ولأتساءل بعد انشغالات وانصرافات إلى أمور أخرى هل كان مفهوم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله للحضارة مرتبطا بالمدن؟ وهو من المفاهيم التي ينطلق منها المتفلسفون بالحضارة، وهل تركيزه على مدينة فاس كان في الحقيقة منطلقا من هذا المسعى أو المقاربة العلمية كما يقال الآن؟ لما رجعت مرة أخرى إلى قواميس الحضارة من هذا المنطلق وجدت أن الفلاسفة أو أن المتناولين للكلمة وهي كلمة إشكالية، يعرف إشكاليتها المشتغلون بالتاريخ وبفلسفة التاريخ وجدت أنهم باختصار يقولون: إن الحضارة، كلمة الحصارة، مفهوم الحضارة، نشأ في سياق استعماري، أي من طرف الذين يصنفون الناس إلى متحضرين وغير متحضرين، وبالتالي فإن هذا التصنيف مرتبط بادعاء وجود رسالة عند المستعمر، ورجعت إلى قواميس اللغة العربية فلم أجد للحضارة هذا المعنى المفهومي، وإنما وجدت أن الكلمة والمادة موجودة، وأن الحِصارة والحَضارة على قول الأصمعي هي الإقامة بالحضر، ورجعت إلى دائرة المعارف الإسلامية التي

تنشئها وتخرجها المؤسسة الاستشراقية فوجدت أنها لم تدرج كلمة حضارة لأن العرب بمفهومها لا توجد عندهم هذه الكلمة، وربما وجد عندهم العمران كما عند ابن خلدون، وفي الحقيقة فإن الكلمة ترجمت إلى عدة لغات ككلمة مفهومية وفي كل لغة حملت منحى معينا، فهي في العربية مضطرة إلى أن تحمل من صيغتها الدلالية وحقلها الدلالي ارتباطا بالمدينة التي هي الإقامة بالحضارة والحاضرة، بيد أن الذين يحاولون أن يكونوا علميين بعد التجربة الاستعمارية وبموازاة لها عند الانجلوسكسونيين الذين يوثرون استعمال كلمة (كلشر) وهؤلاء ولاسيما الانثربولوجيون يحاولون أن يزيلوا هذا المعنى الترتيبي القدحي عن مفهوم الحضارة ويقولون إن لكل شعب حقا في أن تكون له حضارة، وأن مفهوم الحضارة ليس مفهوما ترتيبيا، وإنما هو مفهوم تصنيفي بمعنى صب الاهتمام والتركيز على العلاقة بين الحضارات وعلى المميزات للمكونات الحضارية بدل أن نقول أن نركز على ذلك المفهوم الذي ينظر إلى التقدم على أنه حطي ويجعل بعض الناس أكثر تحضرا من غيرهم. بعدما رجعت إلى كتاب الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي صدر في طبعته الأولى بعنوان (مظاهر الحضارة المغربية) ترجمة (la civilisations) وهذه تنطبق تماما مع التناول الغربي للكلمة، وفي طبعته الثالثة التي أعتمدها صدر معطيات، ولم أفهم لحد الآن لماذا استعاض الأستاذ بالكلمة الأوفق الأولى عن الكلمة الثانية، وإن كان قد حافظ في الفهرست على تقسيم الأبواب إلى مظاهر، لأن المظاهر في نظري أوفق لهذا المصطلح من كلمة المعطيات، عندما رجعت إلى هذا الكتاب أبحث عن مفهوم الأستاذ للحضارة وجدت أن الأستاذ كان مسكونا بهاجس وأن هذا الهاجس هو هاجس الوحدة، وهاجس الإسلام، هاجس الوحدة العربية داخل الإسلام، وأن مفهومه للحضارة بمثابة نقطة في وسط دوائر مركزية، وأن الدائرة التي تلي هذه النقطة هي دائرة العروبة وإن كانت هذه الدائرة في الحقيقة تستجيب لمثالية الأستاذ أكثر مما تستجيب لواقعية الشرق نفسه، ووجدت أن الأستاذ يركز في تحليله للحضارة المغربية على مشرقيتها وإن تتبعنا هذا الهم أيضا وجدنا أن هذا التركيز عنده على مشرقية الحضارة المغربية لا يستند إلى بحث أكاديمي بقدر ما يستند إلى هم نضالي، ولذلك

باختصار وحتى لا أطيل فإن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله من خلال دراسة مفهوم الحضارة عنده، وترتبط به أشياء لا حصر لها تفسرها الكلمة التقديمية للأستاذ علال الفاسي لهذا الكتاب، الذي يرى أنه في المشروع النضالي لمواجهة الاستعمار، فإذا كانت كلمة الحضارة قد – نشأت لم يقل الأستاذ هذا ولكن فهمت منه هذا – فإذا كان مفهوم الحضارة قد نشأ في السياق الاستعماري، فإن مفهوم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله للحضارة قد نشأ في السياق المضاد للواقع الاستعماري ومع ذلك فإننا نجده يتحدث عن الرسالة، رسالة الحضارة المغربية مثلا في إفريقيا، وفي حوض البحر المتوسط، هل يشبه كلامه في الحديث عن الرسالة كلمة الحديث عن الرسالة الاستعمارية في مفهوم الحضارة العربية؟ هنا نقف على إشكالات لا يمكن أن نحصرها أو نتتبعها في هذا الوقت الضيق، ولكن مع ذلك ألقي في الأخير تساؤلا: هل تجاوزنا بعد ثلاثين سنة من الحديث ومن البحث الأكاديمي في المغرب، ومن الحضارة المغربية، وفي تاريخ المغرب، هل تجاوزنا مفهوم عبد العزيز بنعبد الله؟ الجواب بالنسبة لي: لا! لماذا؟ لأننا وإن كنا نميل إلى التاريخ الاجتماعي الذي يستبعد مفهوم الحضارة تماما من التناول ويركز على الفروق بين الفئات لا بين الأجناس، فإن حرص عبد العزيز بنعبد الله على الوحدة التي جعلته عن قصد كما يصرح في الصفحة الأربعين من الجزء الأول من كتابه أنه يجمع بين البربر والعرب عن قصد، طيلة أطروحاته وموضوعاته في كتابه فإن هذه القصدية، هي قصدية نضالية، إديولوجية سليمة، فلذلك فالرجل هو أولا مناضل ومجاهد، وهو ثانيا باحث، ولحد الآن فإنه لا يمكن أن نقول إننا تجاوزنا جميع الظروف التي تجعل من باحثينا باحثين خلص غير مناضلين، وحتى إذا جاز هذا نظريا، ذلك لأن مشكلة الوحدة، وحدتنا مازالت قائمة ينبغي تعضيدها، ولأن مشكلة علاقتنا بالغرب ما تزال تحتاج إلى إظهار الهوية وترسيخها وتركيزها، إلي غير ذلك من الإشكالات التي لا نستطيع معها أن نتجاوز هذا المفهوم النضالي للحديث عن الحضارة في المغرب. وشكرا، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

* * *

مساهمات الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في مسيرة التعريب بالمغرب وبالوطن العربي

الدكتور حمزة الكتاني(*)

أن تدعو جمعية رباط الفتح لتكريم علم من أعلام مدينة الرباط وأن نتكلم بنفس المناسبة عن مسيرة التعريب ببلادنا وبالوطن العربي، لعمري، إنها لمنقبة فريدة من نوعها، لتميزها بالجمع بين الحسنيين:

أولهما: التذكير بقضية مصيرية في حياة أمتنا العربية ألا وهي قضية التعريب.

وثانيهما: التعريف بأهم الرجالات والجماعات والمؤسسات التي ساهمت منذ بداية القرن الماضي في مسيرة التعريب بالمغرب وبالوطن العربي.

والمحتفل به اليوم، أخونا العالم، الأستاذ، والأديب سيدي عبد العزيز بنعبد الله، من هؤلاء الأفذاذ، البررة، الذين وهبوا زهرة حياتهم على مدى عدة عقود لخدمة هذه القضية المصيرية، فكان بحق رائدا من روادها إلى جانب ثلة مختارة من العلماء والباحثين.

فما عسانا الآن نقدمه بإيجاز، في هذا الجمع الكريم عن قضية التعريب؟ قبل أن نخلص إلى المساهمة في تكريم أخينا وصديقنا المحتفل به اليوم من طرف جميعتنا الغراء، جمعية رباط الفتح.

(*) أستاذ التعليم العالي بجامعة محمد الخامس، مدير الأبحاث بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب، وزير البريد والمواصلات حاليا.

إن مسيرة التعريب، أيها السادة والسيدات، مرتبطة ارتباطا عضويا بموضوع النهوض باللغة العربية، لتكون اللغة المعبرة عن نمو وتقدم أمة عربية بكاملها، في كل الميادين العلمية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وكل الميادين الأخرى المتعلقة بحياة شعب مرتبط بحضارته، قديمها وحديثها، أو بتعبير أوضح، إن هذه المسيرة مرتبطة في عصرنا الحاضر بمدى تجاوزنا لمشاكل اللغة العربية تجاه مقتضيات التقدم العلمي والتكنولوجي وبمدى تمكننا من الأدوات والمنهجيات المعتمدة في إيجاد حلول جذرية لما يعوق لغتنا العربية ومسيرتها حتى تصبح لغة تكنولوجية تساعد على تقدمها، وتكون أداة نمونا وتطورنا.[1]

فلن نتكلم إذن، في هذه العجالة، عن اللغة العربية ومجدها، وعن عبقريتها وشمولها، وعن بلاغتها وروعتها في التعبير عن الإعجاز القرآني اللغوي، كما قال تعالى في سورة الشعراء: «وإنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين، على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربي مبين»[2]، ولكن نتكلم عن انتشارها في أرجاء المعمور بفضل الإسلام والمسلمين، وحفظها بواسطة القرآن الكريم.

كذلك لن نتعرض إلى نهضتها في القرون الوسطى بفضل تنوع وسائلها وإمكانياتها الكبيرة المتمثلة في عمليات الاشتقاق، والنحت والتضمين والقياس إلى التوليد والاقتراض والمجاز والتعريب[3].

ولكننا سنذكر بصفة عابرة برواد النهضة الحديثة، أولئك الذين ظهرت آثارهم مع العقد الثاني للقرن التاسع عشر، أي مباشرة بعد دخول نابوليون لمصر، واحتكاك المشرق العربي مع الحضارة الأوروبية في بداية القرن العشرين، كأمثال رفاعة الطهطاوي بأرض الكنانة، وأساتذة أول كلية للطب

---

(1) انظر ما كتبه الأخضر غزال حول مشاكل اللغة العربية تجاه مقتضيات التقدم العلمي والتكنولوجي (مشروع راب مارس 1985).

(2) الآيات 192 إلى 195 من سورة الشعراء.

(3) انظر ما كتبه الأستاذ أحمد العايد: اللغة العربية: ماهي وكيف تنهض بها؟ بمجلة الفكر التونسية السنة 15 عدد 10 يوليوز 1970 ص 43-64.

بمصر سنة 1826م، وأول كلية للطب بدمشق سنة 1919، والمجمعيين بكل من المجمع العربي بدمشق (سنة 1919) ومجمع اللغة العربية بالقاهرة (سنة 1934)، والمجمع العلمي ببغداد (سنة 1947)، وعدد آخر من الصفوة المختارة المناضلة، موزعة في كل الأقطار العربية من مشرقها إلى مغربها حيث ساهمت جميعها بقسط كبير، بواسطة كتاباتها ودراساتها في الصحافة والمجلات، وتأليف الكتب وإنجاز القواميس والمعاجم.

وساهم المغرب في هذه الحركة المباركة والاستعمار الفرنسي جاثم على أرضه بواسطة قادته ورجالاته المخلصين.

فلقد جدد جلالة المغفور له محمد الخامس بطنجة سنة 1947 تشبث المغاربة بهويتهم العربية على مرأى ومسمع من العالم، وأنشئت المدارس الحرة للتعليم باللغة العربية منذ العشرينات من هذا القرن.

وفي السنوات الأولى من الاستقلال، أي بعد انتهاء عهد الحجر والحماية وبزوغ عهد الحرية والاستقلال، وبالضبط في سنة 1957، صدر الأمر المولوي بإنشاء لجنة ملكية عليا للنظر في أمور التعليم والتعريب.

كما أمر جلالة الملك محمد الخامس، طيب الله ثراه، بإصدار مرسوم يقضي بإحداث معهد الدراسات والأبحاث للتعريب وذلك بتاريخ 14 يناير من عام 1960.

ويتضمن هذا المرسوم سبعة فصول هامة، يشرح فيها أهدافه الفصل الأول منه، وهذا نصه:

«يهدف المعهد إلى وضع لغة العمل العربية، وإحصاء المفردات الأساسية لاستعمالها في التعليم، واقتباس المفردات الموحدة في العالم العربي، والمعدة لوضع الكتب المدرسية، وإحصاء العبارات التقنية الغير الموحدة وتسهيل توحيدها بالاتصال مع المعاهد العلمية بالعالم العربي، وإحصاء العبارات التقنية التي ليس لها مقابل في اللغة العربية والعمل على إحداثه، والمساهمة في نهضة الأدب العربي العلمي والشعبي، وتقديم عبارات اللغة التقنية الموحدة لجميع المنظمات العربية والخصوصية، وكذا لكل شخص يرغب في معرفتها، وأخيرا إنجاز وتوجيه الأشغال التي قد تظهر ضرورية لتعريب التعليم والبحث» انتهى

الفصل الأول من هذا المرسوم.

وقد كان للأستاذ أحمد الأخضر غزال شرف القيام بمهمة إدارة هذا المعهد منذ ذلك التاريخ إلى الآن مع انقطاع لعدة سنين إثر قيامه بمهام أخرى بجامعة محمد الخامس ووزارة الثقافة صحبة العلامة الجليل الوزير محمد الفاسي رحمة الله عليه.

وجاءت مبادرة أخرى مواكبة لإنشاء معهد التعريب، تمثلت في استدعاء عدد كبير من أقطاب اللغة العربية بالعالم العربي ليشاركوا في المؤتمر الأول للتعريب[4] والذي عقد بمدينة الرباط في أبريل من عام 1961 بعد الوفاة المفاجئة لجلالة الملك محمد الخامس قدس الله روحه وذلك إثر نشاط مكثف للجنة الثقافية التابعة للجامعة العربية والتي أعدت توصية، وافق عليها مجلس الجامعة العربية تنص على عقد حلقة دراسية لتنسيق حركة التعريب والترجمة، وإنشاء شعب وطنية للتعريب في الأقطار العربية وذلك في شهر يناير من نفس عام 1961.

فكان المغرب هو السباق إلى احتضان هذه المبادرة، بعد ثلاثة أشهر من صدور التوصية بها. وانطلقت مسيرة التعريب المنظمة بعد انعقاد المؤتمر الأول للتعريب ذلك المؤتمر الذي قرر إنشاء المكتب الدائم للتعريب بمدينة الرباط عاصمة المملكة المغربية وذلك بهدف النهوض بوظيفة تنسيق جهود الوطن العربي في ميدان التعريب.

وإن اختيار الرباط مقرا لمكتب تنسيق التعريب نابع من حس قومي بأولوية وحاجة منطقة المغرب العربي آنذاك إلى دعم التعريب في محيطها، للتغلب على ما خلقه الاستعمار من استلاب لغوي.[5]

وكان الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أول مدير لهذا المكتب حيث قضى به حوالي ربع القرن من حياته الزاخرة بالعطاءات والإنتاجات والأبحاث.

منذ ذلك التاريخ، أي في بداية الستينات، ومنذ أكثر من ثلاثة عقود،

---

(4) انظر العرض الذي قدمه الدكتور عبد الهادي التازي إلى ندوة اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية بالرباط بتاريخ 60-30 نونبر 1984 حول حركة التعريب في المغرب.

(5) انظر مجلة اللسان العربي عدد 4 يونيو 1964.

خطت مسيرة التعريب ببلادنا عن طريق معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، وفي باقي أرجاء العالم العربي عن طريق مكتب تنسيق التعريب، خطوات مركزة، اتسمت في مجملها بالجدية والفعالية وحسن التدبير.

وإلى هذا الحد، أجد نفسي مرتاحا في الدخول مباشرة إلى صلب الموضوع الذي نحن بصدده، والمتعلق بتكريم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله. فأعرف به من خلال أعماله وهو مدير لمكتب تنسيق التعريب بالعالم العربي، حيث تفرغ تفرغا كاملا منذ سنة 1962 لهاته المهمة التنسيقية على المستوى العربي. وما أصعبها من مهمة منذ الانطلاقة الأولى!

لقد كتب الكثيرون عن أعمال هاته المؤسسة العربية وما أنجزه فيها مديرها، بل وحضرت عنها أبحاث ودراسات عما حققته خلال عقدين من الزمن نال بها أصحابها شهادة الدكتوراه وغيرها لقيمة هاته الدراسات ونتائجها وأصالتها.

ولن أبالغ في القول كذلك إذا أكدت في هذا المقام على أن سر نجاح مهمة ما يكمن بالخصوص في قيمة الشخص المسندة إليه هاته المهمة، والمجموعة الفاضلة التي تكون إلى جانبه. ويصدق هذا القول على الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، عندما قام بمهمته أحسن قيام وهو مدير عام لمكتب تنسيق التعريب لسنين عديدة.[6]

إن تكوينه ودراسته أهلته عن جدارة للقيام بهذه المهمة الخطيرة، فهو الحاصل على الباكالوريا منذ سنة 1943 وعلى الإجازتين في الآداب والحقوق سنة 1946، والدارس للعلوم الإسلامية على يد كبار علماء المغرب، والأستاذ بكلية الآداب بجامعة محمد الخامس بالرباط، بالإضافة إلى كونه من النخبة القليلة التي عملت وجدت وكدت في تكوينها فنهلت من مناهل العلم عن طريق اللغة العربية في المرحلة الأولى من التكوين، وباللغة العربية والفرنسية في المراحل الأخرى من تكوينه العالي، مما أتاح له مجالا فسيحا ليكون ذا تكوين

---

(6) عندما أنشئ المكتب كان تابعا للجنة الثقافية، إحدى لجان الجامعة العربية، وألحق بعد ذلك بأجهزتها المتخصصة رسميا سنة 1962 قبل أن يصير مؤسسة تابعة للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (الالكسو) سنة 1972.

مزدوج تعرف من خلاله على مكونات حضارته العربية والإسلامية وكذلك على حضارة الغرب، قديمها وحديثها، باللغة الفرنسية، مما أهله لأن يكون ذا ثقافة موسوعية انعكست بشكل واضح على ما ألفه وكتبه في عدة فنون وتخصصات.

فلا عجب إذن أن تعد آثار هذا العالم النبيل بالعشرات في مختلف ضروب العلم والمعرفة، حيث تزخر المكتبات المغربية والعربية بمؤلفاته التي فاقت العشرين كتابا حول مظاهر الحضارة المغربية ومعطياتها، وحول الفكر الإسلامي ومقتضيات القرن العشرين كمنهج جديد للدعوة الإسلامية، باللغتين العربية والفرنسية، وأكثر من أربعين معجما حول الحضارة والتكنولوجيا والعلم، بثلاث لغات (عربي - فرنسي - إنجليزي) دون أن نغفل العديد من المقالات في كثير من المجلات الناطقة بالعربية أو اللغات الأجنبية.

هذا هو عالمنا الفذ بكثير من الإيجاز - فماذا بعد هذا عن عمله في مكتب تنسيق التعريب؟ أي منذ التحضير لإنشائه إلى الأهداف التي كان يجب أن يعمل من أجلها هذا المكتب، وحتى تحديد المنهجية اللازم اتباعها لإنجاح مهمته، مرورا بالمهام الأخرى الموكلة إليه من أجل تحقيقها إلى أن تتوج بإصدارات وإنجازات تعكس مدى نجاح المهمة والأشواط الباقية في مخطط مسار أهدافه.

فلنتعرض إذن إلى هذه العناوين بكثير من الإيجاز، حتى لا يمل المستمع أو القارئ لهذه السطور.

ولنبدأ أولا بالأهداف العامة التي اقترحها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله كوظيفة للمؤسسة وهي تتعلق كما هو مثبوت في وثائقها:

أولا: بتنسيق المشتت من مبذول الجهود في إيجاد المقابل العربي للمصطلح الحديث في مختلف فروع المعرفة وتحقيق توحيده.

ثانيا: بترسيخ التوسع في إعادة إحلال اللغة العربية مكانتها الواجبة والمشرفة في المناهج والتلقين لمختلف مراتب وحقول وشعب التكوين العلمي والتقني والمهني.

ثالثا: بالإسهام في النشر والتعريف بجهود الباحثين في تحديث اللغة العربية علميا وحضاريا، وتأكيد حضورها المتطور.

ولقد بلور أستاذنا إنجاز هاته الأهداف في خمس مراحل:

أولها: يتعلق بإعلان مشاريع معجمية، يتابع التخطيط لها زمنا ومستوى.

وثانيها: باعتماد المادة المصطلحية الصادرة عن قطاعات الاختصاص، مصدرا أساسيا في إعداد مشروع كل معجم، والتعاون الكلي أو الجزئي مع الجهات المعنية والمسؤولة ما أمكن خلال مراحل الإعداد.

أما ثالثها: فبالتعاقد مع خبراء مختصين في مادة كل معجم لإعداد ورقة عمل مشروعه ومراجعتها.

ورابعها: بعقد ندوات خبراء لدراستها.

وخامسها: بتقديم مشاريع المعاجم أخيرا، في صورتها النهائية إلى مؤتمرات التعريب لإقرار توحيد مصطلحاتها.

وبناء على هاته الأهداف اقترح الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله منهجية[7] تطبيقية، مواكبة لما سبق ذكره، لتنفيذ إنجاز المشروعات المعجمية، كمنهجية أساسية للمكتب، بالإضافة إلى مهام أخرى:

- كتقديم المشورة والدعم التقني للقطاعات العامة والخاصة الراغبة في التعريب داخل الوطن العربي وخارجه.

- والحضور والإسهام في الندوات والمؤتمرات واللقاءات والمعارض المرتبطة باختصاصاته.

- وربط صلة التعاون والتنسيق مع كافة الجهات المهتمة بقضايا التعريب والترجمة وخدمة اللغة العربية داخل الوطن العربي وخارجه.

وهكذا توج المكتب أعماله، تحت إشراف عالمنا، بإنجاز إصدارات غزيرة ومنتظمة تجلت في إصدار:

- مجلة «اللسان العربي»، وهي نصف سنوية تعنى بنشر الأبحاث اللغوية وقضايا الترجمة والتعريب، ومشروعات معجمية ومصطلحية.

- والمعاجم الموحدة والمصادق على مصطلحاتها (بالعربية والفرنسية والإنجليزية) في مؤتمرات التعريب.

---

(7) انظر ندوة توحيد منهجيات المصطلح العربي، مجلة اللسان العربي ج 18 سنة 1980 ص: 175-178.

ومن خلال مجلة اللسان العربي، والتي وصلت الآن إلى عددها السادس والثلاثين (دجنبر 1992)[8]، يمكن للمهتم بقضايا التعريب أن يلمس عن قرب مدى تجاوب علمائنا وفعالياتنا بالعالم العربي مع مسيرة التعريب والأشواط التي قطعتها البلاد العربية في هذا الميدان.

إنها حصيلة إيجابية، لا يمكن للناقد أو المحلل إلا أن يقدرها حق قدرها، ويضع المشرفين عليها في المكان اللائق بهم، ويمجد أعمالهم ويعتبرهم القدوة الصالحة للأجيال اللاحقة.

إن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، هو من هؤلاء القلائل الأفذاذ الذين وهبوا أنفسهم لقضية التعريب، فلقد اجتهد حفظه الله، اجتهاد المخلصين، ودخل معارك علمية قاسية، برهن فيها عن نضالية مثالية، واعتبر بحق أن اختلاف العلماء رحمة، وأن البقاء للأصلح من أفكارهم واجتهاداتهم.

وبالفعل تابع النقاد كل ما اجتهد عالمنا في إصداره من مشاريع معجمية، وكل ما اقترح من منهجيات لضبط المصطلحات، فسارع إخوان له في نفس الاختصاص داخل المغرب وخارجه إلى تقديم البديل لمنهجياته، ولقح أو كتب آخرون ما بدا لهم أنه قد غفل عن الاتيان به. والنتيجة كانت ولله الحمد إيجابية، وبفضلها ندخل الآن في مرحلة جديدة من مسيرة التعريب، وهي تعيش عقدها الرابع، انطلاقا من انعقاد أول مؤتمر للتعريب في بداية الستينات هاته المرحلة التي تتسم باستعمال مكثف لآليات تكنولوجية متطورة.

وما استعمال المعلوميات، والعتاد المعلومياتي المتطور في تبادل المعطيات عن بعد بواسطة مراكز البحوث اللغوية، أو بنوك المعطيات المتخصصة في عصرنا هذا عصر التفجر المعرفي والعلمي إلا الوجه الآخر المتقدم لما ينتظر مسيرة التعريب وهي تتأهب لدخول القرن المقبل.

فبمثل باحثين وعلماء أجلاء من طينة أخينا الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

---

(8) حتى سنة 1983، وهي السنة التي انتهت فيها مهمة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله كمدير عام لمكتب تنسيق التعريب، صدر من مجلة اللسان العربي 23 عدد، انظر المقال الصادر بنفس المجلة حول إنجازات مكتب تنسيق التعريب بالعدد 34 الصادر سنة 1991 بمناسبة مرور ثلاثين سنة على إنشاء المكتب من الصفحة 189 إلى الصفحة 256.

ندخل القرن الواحد والعشرين، ونحن مسلحون بإيمانهم، وصبرهم وقوة عزيمتهم وتفانيهم لجعل مشعل موكب التعريب يسير إلى الأمام لخدمة لغتنا العربية لغة القرآن الكريم.

ونقول في الأخير للأستاذ الجليل سيدي عبد العزيز بنعبد الله طوبى لك، وبارك الله في أعمالك، وأطال في عمرك، وأنعم عليك بالصحة والعافية حتى تحقق ما تصبو إليه من عزة لوطنك المغربي ولأمتك العربية ورفعة للغة الضاد، لغة ديننا الحنيف. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

* * *

مع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في بعض الذكريات

الدكتور محمد ابن شقرون(*)

تعتبر هذه المناسبات الثمينة التي تتيح لنا مثل هذه اللقاءات، ونفتخر بها كلما سمحت الظروف بالتواجد والتحاور وتجديد العهد والذكريات، وتبادل الأفكار ومناقشة المواقف وغير ذلك، حول موضوع أو قضية أو ظاهرة أو حول شخصية ثقافية أو عليمة أو وطنية تستحق هذا الوقوف والتقدير والإجلال ويسعدني بالمناسبة نفسها أن أساهم بكلمة وجيزة في هذا الحفل الكريم الذي تقدمه جمعية رباط الفتح تكريما لأحد الاعلام المغاربة. إن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي نحتفي به اليوم معروف معرفة كافية، معروف بكتاباته ومؤلفاته وأفكاره ونشاطه المتنوع المتميز. لذلك رأيت من المفيد أن أتناول جانبا خاصا من جوانب شخصيته الغنية، ذلك الجانب الذي لم يحظ بما يجب أن يحظى به ويتعلق الأمر بتجربة ذاتية تمثلت في العلاقة التي كانت تربطني به أيام الطلب الأولى.

أعرف الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله منذ فجر الاستقلال أعرفه أولا معرفة الطالب للأستاذ، المعترف بفضله والمقدر لعطائه وإخلاصه وتفانيه في أداء واجبه العلمي والتربوي في كل وقت وحين وفي كل مؤسسة كانت جامعية أو غير جامعية، في كل مرحلة من مراحل الدراسة العليا التي قطعناها معه

(*) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط.

ونحن طلبة قلة لا يتجاوز عددنا آذاك تسعة أو عشرة، نفيض نشاطا وحزما وعزما ورغبة وإرادة، نقبل بكامل الشوق والاهتمام على دروسه المنتظمة المفيدة والممتعة في نفس الوقت، وعلى محاضراته المتنوعة وأحاديثه المختلفة الكتابية والشفوية.

كما أعرفه منذ مدة طويلة معرفة زميل وصديق أكن له كامل الاعتبار والاحترام، وكامل المودة والامتنان، كيف لا وقد ترك فينا آثارا حميدة، وشكل في أنفسنا صورا ذهنية خاصة، وذكريات ثابتة خالدة، والذكريات الراسخة المصاحبة لشخصية الفرد طول حياته المكثفة لسلوكه وتلازمه مع بيئته ومجتمعه هي حقيقة من حقائق علم النفس الاجتماعي الثابتة بالحجة والتجربة، والأدلة العملية المادية هي التي تعمل عملها في إطار الوحدة والانسجام تحرك الوجدان وتثير العواطف وتغذي العقل وتنمي الفكر وتدعو دوما إلى اليقظة والعمل الدؤوب وتولد الطاقة الضرورية الدافعة إلى الصمود والصبر ومجابهة الأحداث ومقاومة المعوقات والسلبيات.

أذكر كذلك وأذكر غيره من سلوك أستاذنا ومواقفه وأعترف له به مقرا له بذلك النوع الراقي من الإيحاء والتأثير المباشر وغير المباشر، وتلك الصيغ التي يفتعلها ويدبرها بكل وعي وإدراك لمداها ومراميها ومقاصدها وبغيرها من الصيغ التي قد تخفى عنه ولا تخضع لإرادته وتحكمه وسيطرته فيكون لها مع ذلك نفس المفعول ونفس النتيجة: إيقاظ الهمم وشحذ الأذهان وتنوير العقول وتقويم السلوك وتكوين الشخصية القوية المرنة والمتزنة الأصيلة الخلاقة المبدعة القادرة على تحمل المسؤولية والاستمرار في أداء الرسالة الدينية والدنيوية. وذلك هو أعلى مثل تستهدفه علوم التربية الصحيحة، وتسعى إلى تحقيقه بجميع الوسائل السليمة المستجيبة لمقاصد الشريعة الإسلامية.

يكفي أستاذنا فخرا أن يصطبغ بهذه الصبغة الثمينة وينتسب إلى هذه الطائفة من الأساتذة الجلة الذين تعتز بهم بيئتنا ونباهي بها في مستويات مختلفة داخل البلاد وخارجها، فتقر لهم بالفضل وتعترف بالخير وجميل الصنع ونبل الغاية.

تلك هي شهادتي وشهادة غيري ممن تتلمذوا له أو قرؤوا عليه أو سمعوا

أو أجاز لهم أو اتصلوا به اتصالا منتظما أو منقطعا أو غير ذلك من أساليب تحمل الرواية.

إنه أستاذ مادة الحضارة المغربية، عرف بها وعرفت به منذ السنوات الأولى من الاستقلال كما أسلفنا، فتعلق بها تعلقا شديدا أدى إلى التخصص والتعمق والتألق وتأكيد الذات والاتجاه وتشبته توضحه معالمه والسير على هديه. ظهرت بوادر هذا التخصص في مستوى الكتابة في أول مؤلف ألفه في الموضوع وهو مظاهر الحضارة المغربية الصادر سنة 1957 وهو الأول من نوعه في تلك الظروف كما سيمر بنا.

أما في مستوى الجامعة وأقصد به الناحية التعليمية الصرفة، الدروس الملقاة والمحاضرات المنظمة والأحاديث المتنوعة، ما يملى وما يلقى على الطلبة وغير الطلبة من المستمعين والمسفيدين من الباحثين وغيرهم، فقد برهن أستاذ الحضارة المغربية عن امتلاكه لمادته وقدرته وكفاءته، وتشبعه بروحها والوعي برسالتها واكتساب الملكة الضرورية في موضوعها كما أوصى بذلك ابن خلدون صاحب مذهب الملكات في مقدمته، رغم أن ابن خلدون هذا لم يعن في غالب الأحيان إلا بالناحية الشكلية المبنية على الممارسة الفعلية والتكرار والإعادة، والقدرة الناتجة عن الاستظهار والسهولة واليسر في الاستدلال بهذا الاستظهار عند الحاجة، والتسلح به تسلحا آليا والتوسل به توسلا يكاد يكون مستمرا في الزمن والمكان، وسنرى إلى أي حد أثر المؤرخ الكبير في الشخصية المحتفى بها الآن والمهم أننا نحن الطلبة قد شعرنا بذلك واقتنعنا به ولمسناه في أستاذنا وخبرناه وزدنا إيمانا بحبه هذا وإخلاصه وحسن استعداده وكامل إيجابيته، وتفرغه التام لمادته، للعطاء بكل سخاء والإفادة بدون انقطاع مهما اختلفت المستويات، ومهما تعقدت الأسئلة وتشعبت. نراه ينطلق انطلاقا ويقبل إقبالا في يسر وشغف على الإلقاء والمخاطبة، والمساءلة والمحاورة سرها عن تلقائية وبينة شاعرا بلذة فائقة متجاوبا مستجيبا متعاطفا متفهما، حاملا على بذل الجهد للتغلب على الصعاب والعقبات، مقدرا الظروف والأحداث ومراعيا المستويات الفكرية والاجتماعية والفروق الفردية والحالات النفسية والاستعدادات العقلية والانتماءات الجغرافية مسهلا ميسرا مبشرا راعيا حاميا في إطار تأدية

الرسالة التربوية السامية لفائدة الطبقة الناشئة. كما لا يهدأ له بال ولا تطمئن له نفس وإلا بعد أن يتأكد من سلامة التبليغ وقوة الاقتناع وجدوى الطريقة المتبعة وإبراز النتائج المرجوة ورضى الطلبة واستحسانهم ومدى تجاوبهم معه. إذ ذاك فقط تكمل الفائدة ويتحقق المبتغى المتبادل وتشتد العلاقة الثقافية وتقوى أواصر المحبة والاعتراف بالفضل لذوي الفضل.

والحقيقة أنه بعمله هذا كان يغزو القلوب والعقول ويجلب ويستميل ويستقطب حوله كثيرا من الطلبة المنتظمين وغير المنتظمين والباحثين وسائر المهتمين بشؤون الحضارة المغربية إذ كانوا يجدون فيه القدوة المثلى والأداة الخصبة والمعلومات الغزيرة المتنوعة.

ذلك أن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بمؤهلاته الفطرية والمكتسبة يعتبر نموذجا من نماذج هذه الحضارة بمفهومها الشامل والمتنوع التي يسعى إلى التعريف بها.

يمثل تمثيلا واسعا ويجسمها تجسيما نظريا وعمليا كتابيا وشفويا إنه خير مثال وأصدقه أستاذ الحضارة الناطق باسمها والمتحدث في شؤونها والمترجم لمظاهرها والمومن بمبادئها وأصولها ولمعبر عن مراميها ومقاصدها في السفر والحدر مهما كانت الظروف والملابسات المحيطة به وبطلبته وسائر مخاطبيه الراغبين في معرفة أفكاره وآرائه وموقفه حول قضية تاريخية أو ظاهرة معينة من ظواهر الحضارة المغربية المطروحة أو المدروسة. يمثلها بانحداره من أسرة علمية عريقة، وبما ورثه عن هذه الأسرة من قدرات وطاقات ومواهب وصفات وملكات ومدركات وذكاء ونبوغ فكري وسلوك اجتماعي وبما نشأ عليه من تربية محافظة بناءة وتكوين سليم.

يمثلها بثقافته العربية الإسلامية الأصيلة وبثقافته الغربية المتينة، بتشبته بالكتاب والسنة، بحفظه القرآن الكريم حفظا تاما كما أذكره حفيظا ذكيا واعيا يساعده عند الحاجة على الاستشهاد بآية من آياته للتدليل والبرهنة والإقناع والدفاع عن موقف الإسلام من ظاهرة حضارية طارئة دخيلة، أو صادرة عن البيئة المغربية وباطلاعه الواسع على علوم الحديث وتمكنه من مصطلحه ومعرفة درايته وروايته وتمييز صحيحه وحسنه وضعيفه وشروط تحمله وإسناده عندما

تدعو الضرورة إلى التخريج أو الجرح أو التعديل لدى دراسته نص من النصوص الثقافية المستثمرة في موضوع من مواضيع المقررة.

يمثلها أيضا بإيمانه القوي بورعه، بتقواه في السراء والضراء، وفي السر والعلانية، وبعقيدته الأشعرية الراسخة بمذهبيته المالكية الرصينة المنفتحة على المذاهب الأخرى الصامدة وغير الصامدة الداعية إلى الاجتهاد في إطار الأصالة والحداثة ومراعاة المقومات والثوابت المميزة، بصوفيته السنية المتجلية المتزنة الباعثة على العلم والعمل والصبر والمصابرة والجهد والمجاهدة واعتصامه بمقاصد الشريعة الإسلامية وتمييزه بين ضرورياتها وحاجياتها وتحسباتها ومراعاة ترتيبها ومراتبها لدى الحكم على صلاحية أو فساد سلوك حضاري معين، نعرضه عليه بقصد معرفة رأيه وحكمه واستدلاله بالأدلة الشرعية الأصيلة الموضوعية، أو عند الاقتضاء بالأدلة الذاتية منتقلا بين القياس ومظاهره وأشكاله وصيغه ودرجاته وبين الاستحسان والاستصلاح والاستصحاب داعيا إلى التمييز بين مستويات النصوص الحضارية المقدمة للتحليل والمناقشة من حيث الموضوع ومن حيث المنهجية مثيرا الانتباه إلى الفصل والوصل بين النصوص الفردية والنقلية والإخبارية الانتوغرافية والانتولوجية والوصفية والتحليلية والنقدية والتنظيرية والمذهبية كل ذلك في إظهار الوحدة والانسجام والتكامل والترابط رغم مظاهر التعدد والتنوع وبذلك على الدهرين والماديين والعلمانيين والملحدين وعلى ذوي الأهواء والملل والنحل مهما كانت أصولهم ومبادؤهم وألوانهم ومشاربهم بالحضارة المغربية حضارة عربية إسلامية واضحة الأسس والمعالم، بينة الأهداف لا تقبل التحريف والاختزال و لا التشتت ولا التصدع ولا التفريط في جانب ضد جانب آخر.

يحتم هذه الحضارة أيضا بأفكاره الواضحة المنفتحة على المجتمعات الإسلامية مهما تباعدت أطرافها وعلى المجتمعات الأجنبية مهما اختلفت مبادئها وتعددت ثقافاتها ومعتقداتها.

يجسمها أيضا بطبعه الهادئ المتزن بسلوكه السوي بأقواله وأفعاله وحركاته وإشاراته بتقاليده وعاداته بعباراته الوجيزة المختصرة المهذبة رغم ميلها إلى الشدة في ظروف معينة بكلمات الطيبة الهادئة، المقنعة والمشجعة

الباعثة على الاطمئنان والتفاؤل والإقبال علي مجابهة المشاكل وحل المعضلات والاستمرار في الصمود والصبر وعلى حب المادة المدروسة.

كما يمثلها بتميز لباسه وظرافة تعامله وأناقة مظهره وعذوبة ألفاظه ورقة عشرته رغم الشدة التي يظهرها في عملية التنقيط وتقدير الجهود وتقويم الفروض ففي هذه الظروف يصعب الموقف ويستبيد الجرح وينعدم التساهل ويبرز الجد والحزم واتخاد الإجراءات الضرورية القاضية على التهاون في آداء الواجب والرامية إلى إقامة التوازن وتقوية الروابط الانسانية الثقافية المبنية على الاحترام المتبادل والتعاطف المشترك. صفات فطرية فكرية وعقلية وخلقية، تضاف إليها صفات إرادية عملية اجتماعية تتمثل في حسن الاستعداد والقدرة على التفهم والتفاهم مع الغير، والرغبة الأكيدة الملحة في الاختلاط والاتصال المباشر بهذا الغير، بسائر الطبقات والشرائح الاجتماعية مهما اختلفت أصولها ومصادرها وجذورها ومهما تباينت مستوياتها الثقافية ومراتبها الاجتماعية ومداخليها المادية ومهما كانت متواضعة وبسيطة، فقيرة وغنية، ومهما تباعدت أفكارها وأنماط عيشها وسكنها وملبسها، لا يأنف ولا يتقهر ولا ينتظم، لا يستكبر ولا يستصغر.

بهذه المؤهلات وبغيرها يقتحم الميدان، ميدان العلم والتجربة ويخوض غماره بكل ما أوتى من فهم وعزم وجلد وقوة ملاحظة وحصافة رأي، غايته في ذلك تحقيق مشاريعه الدراسية الحضارية بالوقوف في الميدان وعين المكان كما يقال، لرصد الظاهرة الحضارية المقصودة والاقتراب منها وتحديدها داخل إطارها المادي والاجتماعي والثقافي، مع مراعاة النسبية وتواجد العناصر والعوامل المرتبطة بها في نفس الإطار ليربط حاضرها بماضيها أو العكس ليكشف عن حقيقتها وعلة وجودها أو اندثارها، وكأني به يتجول عبر المدن المغربية والمآثر التاريخية، فيقف على المعالم الفنية الثراتية و السلوكية الحالية والصيغ الثقافية الناطقة المتحركة والشواهد الاجتماعية الماثلة القائمة الدالة على غيرها والمترجمة لنماذج مادية وروحية يجد فيها ضالته مستخلصا مستنتجا ما يمكن استنتاجه لفائدة الدرس الحضاري وإغنائه وتعميق الوعي به ونشره وتعميمه وإبراز محاسنه المادية والروحية.

وكأني به في رباط الفتح متجول داخل أسوارها ودروبها وأزقتها ومنازلها ودورها وأسواقها، للوقوف على مبانيها ومشاهدها ومتاحفها وعلى معطيات كبيرة من حضارتها المادية والروحية.

وكثيرا ما حدثنا عن رحلاته المختلفة إلى مدينة فاس بفضل الاطلاع والتأمل والملاحظة والتأكد من أقوال المؤرخين وغير المؤرخين من المسافرين والمتجولين أو بصفة خاصة من أحكام المستعربين والمستشرقين في موضوع ظاهرة معينة واردة في نص من النصوص التي بين أيدينا فيجعلنا نعيد معه فترة حضارية حية ناطقة مفيدة وممتعة، وكأن الأمر يتعلق بالحاضر وبالماضي، وذلك بفضل طريقته وأسلوب عرضه وتقديمه والطابع الخاص الذي يضفيه على مقدماته وملاحظاته ومقارناته. كم من مرة عشنا معه في عصر بني مرين مع أبي سعيد عثمان ومع أبى الحسن على ومع ابنه أبي عنان يتجول داخل مدارسهم، ونتأمل الجهود العظيمة المبذولة لتفحص هذه التحف الفنية والعلمية الراهنة الزاخرة لفائدة الطلبة ولفائدة الحضارة المغربية بصفة عامة.

كم من مرة نقلنا إلى دار ابن خلدون ودار ابن مرزوق ودار ابن الخطيب وكأننا في حوار مع هؤلاء الثلاثة الكبار المتنافسين في اكتساب الجاه والسلطة الزمنية والثقافية وفي الميادين العلمية والأدبية والاجتماعية فخلدوا بعملهم هذا وبسلوكهم آثارا باقية ماثلة شاهدة إلى يومنا على ما بلغه المغرب في عصرهم من إشعاع ثقافي في الداخل والخارج، وعلى ما بلغته حضارته من مكانة راقية أصيلة.

يحارب التقليد بمفهومه الشرعي ومفهومه المنهجي، يحارب الدروس الجامدة الشكلية المبينة على الحروف والألفاظ والسرد المجرد ونقل الآراء والأقوال المختلفة والروايات المتنوعة بقصد الحشو والجمع وحشر أكثر ما يمكن من المعلومات والتفاصيل والجزئيات المرتبطة بالموضوع، أذكر ذلك وأعترف به ولن أنساه.

أذكر بالمناسبة أنه كان يلجأ إلى عملية اختيار وانتقاء دقيق يختار من الظواهر ظاهرة تكتسي صبغة خاصة لانطباعها بطابع القوة والحيوية وارتباطها بالبيئة المغربية الحالية أو بالظروف الاجتماعية والسياسية الطاغية.

يتخذها مثالا تتوفر فيه شروط النموذجية فيقدمها في إطارها الحقيقي الواقعي مسلطا عليها الأضواء الضرورية عن طريق الحوار والمساءلة والمناقشة التي كان يسمح بها داخل الفصل في حدود الجد والمسؤولية وتشجيع المبادرة واستقلال الفكر وبناء الشخصية.

ولا يخفى ما لهذه الطريقة من أهمية قصوى في تكوين الطلبة من الناحية المنهجية ومن الناحية العلمية على السواء، فهم يعيشون مع الأستاذ ويتعايشون متتبعين خطواته ومدركين برامجه ومخططاته وأهدافه؛ يحسون كامل الإحساس بهمومه ومعاناته ويحرصون كل الحرص على الاقتداء به و على هديه في بحوثهم وإنجاز أعمالهم وتحقيق مشاريعهم الآتية والآجلة، والأستاذ يتحمل مسؤولية كبيرة خطيرة في نوع التكوين والتثقيف وصياغة الشخصية الناشئة، فهو مسؤول إلى حد كبير عن حظوظ النجاح وأسباب الفشل بالنسبة لمستقبل الطلبة. كم من طالب ذكي ذي إرادة قوية ومؤهلات خصبة ممتازة فر من الدرس وانسحب مبكرا من ميدان التحصيل والمعرفة. كم من طالب ذي مستوى عقلي متواضع استطاع الصمود والصبر ومغالبة المعوقات يشق طريقه كما يقال وأصبح عضوا هائلا ناجحا فأسباب التكوين السليم والتشجيع والفلاح أو التنشيط والاحباط والفشل راجعة بالدرجة الأولى إلى شخصية المكون وثقافته ومعاملته ومنهجيته مهما اختلفت المذاهب والمدارس النفسية والتربوية والاجتماعية، لأن الأمر يتعلق بحقيقة أثبتتها الخبرة الذاتية والموضوعية والتجربة الميدانية.

فأستاذنا كان يتمثل هذه المبادئ ويحسم هذه الخصائص وهذه الخصال والحق يقال كان ينقل إلينا تجربته ويطلعنا على المراحل التي مر بها وهو يحضر درس الحضارة جاعلا منا أعضاء مساهمين مشاركين مشاركة فعالة في تجسيد العملية وفي بناء البحث والعرض وذلك ما تتطلبه التربية الحديثة وما يقتضيه علم النفس الاجتماعي التعليمي.

فالحضارة وسيلة وغاية تربطهما علاقة وثيقة جدلية تجمع بين الأسباب والمسببات، والحضارة وحدة كاملة شاملة تتكون من وحدات متعددة ومتنوعة تبدو وكأنها منفردة منعزلة مستقلة في الزمن والمكان نظرا لقيمة كل منها

وللصنعة الحادة التي تكتسيها في بعض الظروف وفي بعض المجتمعات وحسب التيارات الناشئة والمعتقدات الطارئة والصيغ الثقافية الناتجة عن الحركات الانتشارية أو الحركات التطورية أو الاستلابية أو غيرها من عوامل الربط والتأثر والتداخل المدبر أو المفاجئ ومن المعلوم أو الوحدات المومإ إليها قد تتكامل وتسير سيرا فنيا في تناسق وانسجام قد تتباين وتتصادم لتتلاحق فيما بعد وتتلاقى مرة أخرى في خط واحد مستمر نسبيا وقد تصبح الغاية وسيلة والعكس بالعكس.

ومعنى ذلك أن الظاهرة الحضارية هي في حد ذاتها كانت تنشأ وتنمو وتتطور وتزدهر وتعتريها بما يعتري غيرها من عوامل الضعف والتدهور والانهيار قد تختفي نهائيا وقد تجمد وتخمد إلى أن تسمح لها ظروف معينة بالانتعاش والظهور مرة أخرى قوية بارزة في القاعدة أو في القمة، متنازلة أو متصاعدة حسب البيآت والمجتمعات والظروف والملابسات أو حسب ما أصبح معروفا باسم الحداثة والأصالة ولا شك أن أستاذنا كان واعيا كل الوعي بهذه القوانين التصورية الاجتماعية وكان يحسب لها حسابها ويضعها في الميزان لدى تحضير الدروس والمحاضرات.

ذلك أنه كثيرا ما يثير الانتباه بصفة خاصة إلى العوامل المتدخلة في تكوين الظاهرة المفهومية، عوامل سياسية واجتماعية واقتصادية وروحية وبين كل منها متتبعا أمامنا تطور التفاعل بالرجوع ثم بترصد الحاضر المستقبل.

والنتيجة الحتمية المستخلصة هي إدراك حقيقة الظاهرة الحضارية ظاهرها وباطنها وأبعادها الزمنية والمكانية واكتساب المنهجية الضرورية لدراسة هذه الظاهرة التي لم تعد لغزا أو معجزة بالنسبة للباحث المتمرن الذي أصبح مدرك كيف يمكننا التحكم فيها، في تكوينها وخلقها وتطويرها أو القضاء عليها بوسائل علمية متى أردنا ومتى أحكمنا التخطيط وشرعنا المشاريع البناءة الهادفة.

نعم قد يلجأ الأستاذ إلى النقول والاقتباس والاستشهاد وبسط أقوال الباحثين المهتمين بشؤون الحضارة الغربية الإسلامية بصفة عامة والحضارة المغربية بوجه أخص وأعني بهم المستعربين والمستشرقين والإتنوغرافيين

والاتنولوجيين والرحالة والسفراء والتجار والمغامرين والسياح والمتجولين قد يروي عنهم بعض أفكارهم وآرائهم بشأن هذه الظاهرة أو تلك وهو الدارس الكبير من مؤلفاتهم والخبير بعقليتهم وذهنيتهم والمتمكن من لغتهم نعم قد ينقل هذه الأقوال نقلا وقد يترجمها ترجمة أمينة تفسيرية على ترجمة شكلية تضحي بالمعنى والفكرة ولا تبالي بالاسلوب والصياغة الفنية.

ما أكثر هؤلاء وأولائك الذين تظاهروا بحبهم للبيئة المغربية فلجؤوا إليها ليستفيدوا من خيراتها وينعموا بنعمها فتناولوا حضارتها بالوصف والتحليل والنقد الجارح وأنها لو عليها بالهمز واللمز والنبز. فكان لابد من مدافع خبير أمين يحمي الدار يدخص الأقوال الزائفة والأحكام الجاهزة المشوهة بالحجج العلمية والأدلة المستمدة من التراث نفسه ومن المعطيات البيئية المدروسة.

وخير مثال على ذلك هو موقفه الصريح الذي نلمسه ونقرأه في كتاب مظاهر الحضارة المغربية أو غيره مما كتب وألف لقد ناقش هؤلاء وأولئك مناقشة موضوعية رزينة وجادلهم بالتي هي أحسن ودعاهم إلى كلمة سواء كما حملنا نحن الطلبة على أن نتسلح بنفس السلاح ونتوسل بنفس الوسائل، أوغيرها لتنمية ملكة الملاحظة والتحليل وملكة النقد البريئ لمعرفة كيفية الاستفادة من كتابة الأجانب المنصفين وغير المنصفين واستثمار أقوالهم وأوصافهم مهما كانت بدائية معرضة قد يخطئ الكاتب المنصف الحسن النية وقد يصيب المضلل العازم على تحريف الحقيقة وبث البلبلة.

فكتابة هؤلاء المستشرقين والمستعمرين ليست كلها كاذبة زائفة ضارة خارجة لا ترجى منها أي خير والباحث المدرك لحقائق الحضارة وفلسفتها والخبير بشؤون البيئة المغربية عبر الملاحظات التاريخية يستطيع ولا ريب في ذلك أن يصرح من قرائته المختلفة لهذه النصوص الأجنبية بنتائج وفوائد معينة. ويقطع النظر على هذه الكتابات المشبوهة التضليلية هناك مؤلفات لا تحتاج إلى التدليل على فائدتها بالنسبة للباحث في شؤون الحضارة أو في غيرها فهي ناطقة بجهود مؤلفيها العلمية الفكرية وغير الفكرية مثال واحد منها هو معجم ألفاظ الحديث النبوي الشريف لصاحبه Winsirck بمساهمة لفيف من المستشرقين.

يكفينا مثالا على ذلك تلك الردود التي أوردها لدى دراسته مؤلف الباحث الفرنسي gautier. تاريخ المغرب وعاداته وأعرافه وتلك الجملة الجدلية العلمية التي قام بها ضد ما كتبه Louis Brunot في مؤلفه مدخل إلى دراسة اللهجة العربية المغربية. وLouis Brunot هذا معروف كما نعلم بدراساته الكثيرة حول البيئة المغربية ومظاهرها المتنوعة الاجتماعية والأخلاقية والثقافية واللغوية والتربوية ولقد سبق له أن تقلد عدة مناصب سامية في إدارة المعارف والفنون الجميلة في عهد الحماية الفرنسية مكنته من الاطلاع الواسع على معطيات الحضارة المغربية وعلى الحياة اليومية العملية وله مواقف عنصرية واستعمارية وآراء مغرضة فند كثيرا منها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله شفويا وكتابيا.

ولقد كان لهذه الردود التي أشرنا إليها صداها الإيجابي في كثير من البحوث الأجنبية التي عكست على صفحاتها مواقف أستاذنا ونظرياته ونوع الدفاع الذي يقوم به ضد المعتدين الآثمين، مما يشهد له مرة أخرى بإشعاع ثقافي متميز خارج البيئة المغربية في الأوساط التي كانت تهتم بالإنتاج المغربي في الميدان الثقافي والعلمي آنذاك.

ففي هذا المستوى أيضا ونظرا لضيق الوقت أذكر مثالا واحدا يدل على غيره من الأمثلة الكثيرة والمتنوعة في الموضوع نفسه ولقد استقيته من كتاب المستشرق الفرنسي Andre Adam: الببليوغرافية المغربية فقيه يجد القارئ صدى هذه المعركة القلمية التي دارت بين أستاذ الحضارة المغربية وبين Louis Brunot وفيه نجد أيضا بصريح العبارة، تقديرا واعترافا وتنويها بما كتبه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله حول لغة القرآن واللهجة المغربية وحول مقارنة اللهجة الحضرية الرباطية ولهجة قبائل زعير باللهجات الريفية في الجزيرة العربية.

وقس على ذلك كتابات هنري طراس H. Terrasse وشارل طراس Charles Terrasse ووليام مارسي Wiliam Marçais وجورج مارسي Georges Macçais وهنري باسي H. Basset وروني باسي René Basset تجد ولاشك استشهادات واقتباسات ونقول مختلفة فيما يردده الأستاذ بنعبد الله في محاضراته وفي مؤلفاته يوردها بأمانة ونزاهة بقصد التوضيح والتأكيد لكن

أيضا بقصد النقد العلمي وتحريا للدقة في الوصف والتحليل وإقامة الحجة والانتصار للحق والحقيقة ودحض الباطل وفضح المؤامرات الاستعمارية.

وبهذه المناسبة أتذكر بكامل الدقة عناية المرحوم بعفو الله الأستاذ الوطني الكبير المجاهد أحمد بلا فريج وإعجابه بموقف بنعبد الله في كتاباته المختلفة في عهد الحماية وكثيرا ما لفت نظري في مناسبات عدة إلى شجاعة الرجل وغيرته الوطنية.

كم قوم وكم صحح الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله وكم دافع عن أصالة الحضارة المغربية وكم بذل من جهود للتعريف بها بشتى الوسائل وفي جميع المستويات ولا زال مستمرا في رسالته حفظه الله وأدام توفيق وشكرا لجمعية رباط الفتح التي نظمت الاحتفاء به (الحمد لله الذي هذانا لهذا وماكنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
الرجل الموسوعي

محمد حجي(*)

كنت أنوي التحدث عن فكرة الموسوعية عند الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله من خلال الحديث عن معلمة المغرب؛ وهي الموسوعة الأولى من نوعها في العالم العربي، نقوم اليوم بإعدادها ونشرها والتي للأستاذ المحتفى به عبد العزيز بنعبد الله إسهام بين في خلق فكرتها والسعي الحثيث في تحقيقها، منذ نحو ثلث قرن. ويشارك الآن مشاركة فعالة في تحرير موادها. لكن بعد إطلاعي على اللائحة الطويلة للمشاركين والزمن المحدود والمحدد عدلت عن التصميم الأول إلى نهج جديد لمداخلة مختصرة تشير إشارات خاطفة إلى موسوعية الأستاذ في أربع مراحل ستكون «معلمة المغرب» آخرها.

تبتدئ المرحلة الأولى في الثلاثينات والأربعينات حين تعرفت على كتابات الأستاذ وأنا مازلت في مرحلة الطلب في الجرائد الوطنية، والدوريات الأدبية والعلمية في زمرة الكتاب الرواد الذين انكببنا على القراءة والإنشاء والتفكير فيما كانوا ينشرون من مقالات وأبحاث ومساجلات، أمثال الأستاذ محمد الفاسي، وعبد الله كنون وأبي بكر زنيبر وسعيد حجي ومحمد أبا حنيني وعبد

(*) أستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط وعميدها سابقا.

الهادي الشرايبي – رحمهم الله – والهاشمي والفيلالي، وقاسم الزهيري وأحمد زياد والصديق بن العربي وآخرين أطال الله حياتهم ومتعهم بالعافية. كان معظم هؤلاء يكتبون في موضوعات محددة تحصلوا فيها من أدب أو تاريخ أو اجتماع أو فقه أو سياسة لكن الأستاذ بنعبد الله كان يكتب في كل تلك الموضوعات: تتناول مقالاته كذلك التصوف والمتصوفة، والطب والأطباء واللغة واللغويين، والشعر والشعراء، والموسيقى والموسيقيين، وبكلمة واحدة كل ما يتعلق بالحضارة المغربية بشريا وعمرانيا وفنيا ماضيا وحاضرا. فكنا نعده لذلك طليعة الموسوعيين في بلادنا.

وتأتي المرحلة الثانية حين بدأت أهتم بالشهادات والدرجات الجامعية، وأسعى كسائر الدراسين الساعين إلى توسيع ثقافتهم عموديا من إجازة إلى دبلوم تبريز، إلى الدكتوراه. عرفت حينئذ الأستاذ بنعبد الله بدعا من الجامعيين يوسع دائرة الثقافة أفقيا من إجازات في اللغة والآداب والفقه والقانون كان همه منصبا على أن يفتح نوافذ عديدة على العلوم، ويدخل ميادين المعرفة من أبوابها المتفرقة، دون اعتبار للألقاب والدرجات على أن تبقى مسألة التعمق في كل مادة موكولة إلى اجتهاده الشخصي وممارسته العلمية. وقد انعكس هذا التكوين الموسوعي بالفعل على دروسه ومحاضراته وتآليفه.

وفي المرحلة الثالثة عرفت نمطا آخر من موسوعية الأستاذ حين أصبحت أستاذا للتاريخ بكلية الآداب وأبادر إلى القول إن الأستاذ كان عضو اللجنة العلمية التي أشرفت على مباراة التحاق مجموعة من الأساتذة في مختلف التخصصات بالجامعة، كنت من بينهم. وهي سنة ابتدعها الأستاذ م.ع الحبابي حين أصبح عميدا للكلية. ولما توسعت شعبة التاريخ بمن التحق بها من أساتذة مغاربة وأجانب، وإقبال الطلاب عليها وأحدثت أقسام داخل الشعبة للتاريخ القديم، والوسيط والحديث والمعاصر أبى الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله تحت تأثير موسوعيته إلا أن تبقى محاضراته شاملة لكل العصور منذ ماقبل التاريخ إلى أيام الناس هذه وفضل في النهاية الانسحاب على أن يتقيد بفترة محددة.

وتتعلق المرحلة الرابعة بمعلمة المغرب. وترجع بدايتها إلى سنة 1962 عقب استقلال الجزائر. ما كادت أخطار المغرب العربي تستكمل تحريرها حتى

بادر قادة الفكر فيها تعزيزا لمشاريع التعاون والتكامل المعلق عنها آنذاك إلى التخطيط لكتابة موسوعة مغاربية مجزأة في المرحلة الأولى، بحيث يقوم كل من المغرب والجزائر وتونس وليبيا إلى إعداد معلمته المحلية بوسائله الخاصة على أن تجمع بعد ذلك معلمة واحدة في أفق كتابة موسوعة عربية وإسلامية عامة شاملة. وتكونت بالفعل «هيئة موسوعة المغرب العربي» برعاية المكتب الدائم للتعريب الذي كان تحت إدارة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله وبعد جلسات عمل عقدت بالرباط برآسة المرحوم الأستاذ علال الفاسي أصدرت الهيئة الجزء الأول من فهرس القسم الخاص بالمغرب الأقصى حرف «أ» ثم جرت أحداث سياسية جعلت الهمم تفتر أما الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فإنه استمر بمفرده وفيا لفكرة الموسوعة عاملا لها بكل جهد، غير متهيب من هذا المشروع الضخم الذي تنوء بحمله العصبة أو لو القوة. ويبقى وحده يهيئ مواد الموسوعة في جذاذات لا أدري كم بلغ عددها ولكن الذي أعرف أنها كانت تغطي معظم أرضية مكتبه الفسيح في المكتب الدائم للتعريب ولم تقف موسوعيته عند حد التكشيف والتركيب والتبويب بل حاول بمفرده كذلك أن يشرك الناس فيما جمع وألف فنشر الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية حرف الهمزة وملحقيها عن المدن والقبائل والصحراء.

فإلى الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله يرجع الفضل في حمل جذوة فكرة الموسوعة طوال عقود من السنين قبل أن تتبناها الجمعية المغربية، وتجعل من بين أهدافها الثلاثة إصدار «معلمة المغرب» قاموس مرتب على حروف الهجاء يحيط بالمعارف المتعلقة بمختلف الجوانب التاريخية والبشرية والحضارية للمغرب الأقصى في حدوده الحالية، من أقصى العصور إلى الوقت الحاضر.

يشارك الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في تحرير معلمة المغرب بجانب أزيد من 200 من الأساتذة الجامعيين والمهندسين وحملة الشهادات العليا من مختلف التخصصات والتقنيات. وهي بحق شاهد على ما وصلت إليه الثقافة بالمغرب في مطلع ق 15 العقد الأخير من ق 20. صدر منها لحد الآن أربعة أجزاء وسيصدر 5 و6 في أوائل السنة القادمة 93 ويقدر أن يستمر صدورها بمعدل جزئين في السنة إلى أن تنتهي أجزاؤها العشرون في سنة 1999.

تعتز «معلمة المغرب» بالإسهامات التي أنجزها لها في مواد إفريقيا والأسطول المغربي والبحرية المغربية وما ينجزه حاليا عن الطريقة التجانية والشيخ أحمد التجاني، وما سيحرره استقبالا للتعريف بالرباط وسلا وشالة وغيرها من حواضر المغرب القائمة والمندثرة.

* * *

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله كما عرفته

عبد الخالق القباج(*)

بسم الله الرحمن الرحيم
حضرة السيد الرئيس
حضرة الأستاذ الجليل المكرم
حضرات السيدات والسادة الأفاضل

أستهل كلمتي بتوجيه خالص الشكر وصادق الثناء إلى جمعية «رباط الفتح» على إقامتها لهذا التكريم المستحق لسماحة الأستاذ العالم السيد عبد العزيز بنعبد الله، ضمن عملها الدؤوب على إبراز مظاهر الثقافة المغربية ومساهمة الأعلام من رجالنا في بسط إشعاعها، داخل البلاد وخارجها، سواء كان ذلك بلغتها أو بلغات أخرى.

التحق الطفل عبد العزيز بالكتاب حيث أتم حفظ القرآن الكريم ومتون العلوم الإسلامية، ثم اندرج في سلك مدرسة لأبناء الأعيان في أكتوبر 1932 وعمره لا يتجاوز عشر سنين. وقد بدأ في هذه السن المبكرة يأخذ العلم عن رجالات العاصمة، فحصل على الشهادة الابتدائية عام 1937، وتأهل للدخول في إعدادية حي الليمون، وبعدها بثانوية «غورو» حيث أخذ نفسه بدراسة اللغة اللاتينية، فأنهى في ثلاثة أشهر البرامج المقررة لثلاث سنوات في هذه المادة

(*) سفير صاحب الجلالة سابقا في ألمانيا والاتحاد السوفياتي وفلندا وكوريا.

التي تفوق فيها.

وما أن ارتقى إلى السنة الخامسة حتى قرر الاعتكاف على الدراسة في البيت، ثم تقدم حرا إلى شهادة الباكالوريا فنالها بتفوق وتبريز في الفلسفة عام 1943.

وكان يتابع في نفس الوقت دراسة التفسير على الشيخ أبي شعيب الدكالي، والأدب والأصول على العلامة محمد المدني بن الحسني صباحا. ثم الحديث مساء والمنطق وتحفة ابن عاصم على الفقيه الرندة. والفقه والقضاء على الفقيه عبد الرحمن الشفشاوني، والنحو على الفقيه محمد العوينة، إلى جانب ما تلقاه عن والده العلامة عبد الواحد بنعبد الله في مختلف العلوم الإسلامية.

ثم التحق الأستاذ عبد العزيز بمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط مسجلا في جامعة الجزائر للتخصص في القانون والآداب، فأصبح أول شاب رباطي حصل على الإجازة في الحقوق. ونذكر في هذه المناسبة بأن المرحوم أستاذنا الحاج أحمد بلا فريج كان أول رباطي فاز بالإجازة في الآداب عام 1932، أي السنة التي التحق فيها الأستاذ عبد العزيز بالمدرسة الابتدائية. وما كاد ينهي دراسته الجامعية حتى طلب منه المقيم العام Erik Labonne في مأدبة غداء أقامها على شرفه أن يلتحق بالإدارة المغربية كمسؤول، على أن يقدم إليه طلبا مكتوبا لذلك، فأجابه على الفور، بعد الشكر، بأنه سبق أن رفع التماسا في الموضوع إلى صاحب الجلالة والمهابة محمد الخامس رئيس الدولة الشرعي.

وبطلب من المرحوم الزعيم الأستاذ علال الفاسي أصبح الأستاذ عبد العزيز المحرر الأول لجريدة «العلم» لدى تأسيسها في نفس السنة حيث اشتغل طوال ثلاث سنوات أصبح بعدها مسؤولا عن القسم الثقافي بجريدة «الاستقلال» التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، حيث برز بتعقيباته المشهورة على الأستاذ طراس H. Terrasse الذي كان يدس في كتابه حول تاريخ المغرب للتفرقة بين العرب والبربر. وقد جمعت تلك المقالات في كتابه «التيارات الكبرى للحضارة المغربية» Les Grands Courants de la Civilisation du Maghreb الذي قدم له الزعيم علال الفاسي في ديباجة نوه فيها بجهود الأستاذ. وهذا الكتاب لأهميته موجود بخزانة الكونغرس الأمريكي، وبخزانة «لنين» بموسكو،

وكذلك بخزانات الجمهوريات الإسلاميةالسوفياتية وبخزانة جامعة «بون» أيضا.

وأذكر أن أستاذي الجليل الحاج أحمد بلا فريج قال إن العمل الثقافي الذي يقوم به الأستاذ بنعبد الله لا يقل أهميته عن العمل السياسي الذي تنهض به الحركة الوطنية.

وبعد ذلك اختير الأستاذ عبد العزيز مديرا لمدرسة عبد الكريم الحلو، وهي معهد للتعليم الحر بالدار البيضاء، حيث واصل رسالته لتربية الأجيال إلى نهاية عام 1955.

ولما بزغت شمس الاستقلال أصبح الأستاذ أول مدير لديوان وزارة الأوقاف التي أسندت إلى العالم الجليل المرحوم المختار السوسي. وكنا نجتمع نحن مديري الدواوين الوزارية ثلاث مرات كل أسبوع لحل المشاكل التي تعترض سير الوزارات الناشئة عند تأسيس الحكومة الأولى، فكنا نقضي في ذلك طرفا من الليل.

ثم التحق الأستاذ لبضعة شهور بديوان وزارة الفلاحة، قبل أن يصبح أول مدير مغربي للمحافظة العقارية والمصالح الطوبوغرافية.

وقد انطلق الأستاذ منذ خمس وأربعين سنة في التأليف وأصدر كتاب «جغرافية المغرب» الذي كان باكورة مؤلفاته التي يناهز عددها الآن مئة كتاب، أي بمعدل يربو عن الكتابين في السنة الواحدة، مع إصدار أربعين معجما بثلاث لغات وإعداد ثلاثين مخطوطا منها خمس قصص تاريخية باسم «شقراء الريف» على نسق قصص جرجي زيدان.

وعند الرجوع إلى بداية هذه الفترة المديدة نلاحظ أن الأستاذ كان يعمل في دأب وهدوء ضمن الحركة الوطنية في لجنة عليا لشؤون الاقتصاد مؤلفة من الحاج عمر بن عبد الجليل، وعبد الكريم بن جلون، والمهدي بن بركة، وعبد الرحيم بوعبيد ومحمد الأغزاوي، اختير الأستاذ عبد العزيز مقررا بها.

وتلاحقت مسؤولياته بعد الاستقلال فتولى مديرية التعليم العالي والبحث العلمي مع الإشراف المشترك على معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، والإدارة العامة لمكتب تنسيق التعريب في العالم العربي التابع لجامعة الدول العربية، بالإضافة إلى الأستاذية بكلية الآداب ودار الحديث الحسنية وجامعة القرويين

والمدرسة الإدارية الوطنية.

وآنذاك تفضل صاحب الجلالة محمد الخامس طيب الله ثراه فعين الأستاذ عبد العزيز عضوا بالمجلس الوطني الاستشاري الذي كان أول برلمان بعد الاستقلال.

وإلى جانب هذا النشاط المتدفق في الداخل شرع الأستاذ منذ عام 1966 يساهم في المؤتمرات الدولية، فكان فاتحة ذلك المؤتمر الدولي لعلماء الاجتماع الذي انعقد بإشراف اليونسكو في هامبورغ، حيث ألقى محاضرة حول «علم الاجتماع في مناهج الفقه الإسلامي»، ثم توالت المؤتمرات الإسلامية والإسلامية المسيحية، فشارك في بغداد وبيروت واسطانبول حول توحيد الأهلة ومرتين في قرطبة، وكذلك في دير Senanque بناحية ليون بفرنسا، ثم في تونس حيث انتظم مؤتمر إسلامي مسيحي حول التخطيط العائلي بإشراف الوزير الأول محمد مزالي، فألقى الأستاذ محاضرة باللغتين باسم الوفود الإسلامية كافة، تلتها محاضرة في بروكسيل حول «الروابط الوثيقة بين الإسلام والمسيحية» بحضرة ولي عهد بلجيكا وحكومتها وأعضاء السلك الدبلوماسي المعتمد لديها، اقتبل الأستاذ عقبها من طرف جلالة الملك Baudoin.

وتخللت تلك الفترة سلسلة متصلة من المحاضرات في نحو عشرين جامعة بثلاث قارات انتقل فيها الأستاذ من الصين إلى الباكتسان، ثم إلى حواضر دول الخليج فالسودان وغينيا والسينغال، فضلا عن طرابلس وتونس وقفصة وسوسة والقيروان والجزائر العاصمة، لينطلق بعد ذلك إلى أوروبا، حيث حاضر في جامعة «هالى» بألمانيا الشرقية، ثم في Collège de France، كما ألقى محاضرة حول «الربط القار» بمدريد. وانتهى به المطاف إلى القارة الأمريكية، مبتدئا بمونريال وكيبيك بكندا، ثم بالمقر الدائم لمنظمة الأمم المتحدة، قبل المشاركة في مؤتمر دولي حول «مناهج التاريخ» بعاصمة المكسيك، رئيسا لإحدى لجانه.

ولما أحس بالحاجة إلى الراحة من هذا الجهد المتصل قصد عاصمة ألمانيا الاتحادية، حيث سعدت لأيام برفقته وحديثه الأخاذ الجامع. ومع ذلك ألقى محاضرة حول «مستقبل اللغة العربية» في جمع غفير من المختصين كان

في مقدمتهم السفراء العرب.

وقد تفضل صاحب الجلالة محمد الخامس قدس الله روحه، مرة أخرى، فعينه عضوا في الوفد المغربي لدى هيئة الأمم المتحدة عام 1960 برئاسة صاحب السمو الملكي ولي العهد آنذاك، جلالة الحسن الثاني حفظه الله، وحضور المرحوم الأستاذ إدريس المحمدي وزير الشؤون الخارجية. ولما كان الأستاذ بنعبد الله خبيرا بشؤون الصحراء قام بإعداد «الكتاب الأبيض» باللغة الفرنسية، ترجم آنذاك إلى العربية ولغات دولية أخرى.

ثم عام الأستاذ عبد العزيز عام 1967 إلى إلقاء سلسلة جديدة من المحاضرات في معهد البحوث والدراسات العربية بالقاهرة، صدر إثرها كتابان له بإشراف ذلك المعهد، كان أولهما عام 1969 بعنوان «تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث»، جدد طبعه ببيروت، والثاني بعنوان «التعريب ومستقبل اللغة العربية»، بعد ذلك بست سنوات،

وتلاحقت منذ أوائل السبعينات زياراته للجمهوريات الإسلامية بالاتحاد السوفياتي، أسهم خلالها بإلقاء محاضرة حول «الاشتراكية الإسلامية من خلال القرآن والحديث» في أكاديمية العلوم بموسكو، ثم بمحاضرة في تبليسي عاصمة جمهورية جورجيا «حول وحدة اللغات العالمية». كما شارك في مؤتمر بنوك الكلمة في موسكو التي زارها مرة خامسة بصفته عضوا في جمعية الصداقة المغربية السوفياتية صحبة الأستاذ المرحوم محمد الفاسي.

وبأمر من صاحب الجلالة أيده الله توجه الأستاذ بنعبد الله عام 1975 إلى «لاهاي» لحضور مداولات المحكمة الدولية حول قضية الصحراء، فقدم عن الأمر الشريف عرضا بالفرنسية حول استفسار القاضي البريطاني عن المذهب المالكي ومدى انتشاره بالصحراء، مقارنا بما هو عليه الأمر في المغرب، وعما إذا كان متبعا بالجزائر والصحراء الشرقية أيضا. فاتضح للمحكمة على ضوء ذلك العرض أن المغرب وصحراءه كتلة متراصة موحدة المذهب.

وكان ذلك العرض قد حظي بموافقة صاحب الجلالة لدى اقتباله للوفد غداة سيره إلى العاصمة الهولندية المقر الدائم لمحكمة العدل الدولية.

وقد ألف الأستاذ المكرم عام 1977 كتابا بالفرنسية بعنوان «الحقيقة حول

الصحراء» بإشراف دار النشر هورفاط Horvath بمنطقة روان Roanne.

وبمناسبة احتفال العالم الإسلامي بمستهل القرن الخامس عشر الهجري اختار المدير العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي الأستاذ عبد العزيز ممثلا شخصيا له ومبعوثا لدى أصحاب الجلالة والفخامة ملوك ورؤساء الدول الإسلامية، فقام الأستاذ بجولات في بعض العواصم الإسلامية لهذه الغاية، مشرفا على عدد من الاحتفالات. وقد أحرز الأستاذ جائزة المغرب الكبرى للاستحقاق عام 1989.

هذا غيض من فيض أحببت الإسهام به في هذا الحفل التكريمي البهيج، مدفوعا بروح الإنصاف والتقدير لعالمنا الجليل أطال الله عمره وأعانه على مواصلة مهمته السامية، وبالرغبة في استنهاض همم الشباب للسير على منواله واقتفاء أثره في خدمة الدين والوطن والثقافة بمدلولها الواسع الأشمل.

وأود أن أختم هذا الوصف الوجيز بالإشارة إلى أن الأستاذ ما فتئ يمارس في استمرارية وتحمل تجميع ما وقع عليه نظره في آلاف الكتب التي قرأها باللغات في مختلف مجالات المعرفة والحضارة فصب ذلك كله في جذاذات fiches يبلغ عددها اليوم ربع مليون يعمل على تخزينها في الحاسوب ليهديها إلى الشعب المغربي عن طريق جمعيتنا «رباط الفتح».

كما آبى إلا أن أشير إلى مجال برز فيه الأستاذ بالرغم عن انشغالاته في البحوث العلمية وهو مجال الشعر حيث نظم قصائد شتى نقتطف من إحداها وصفا لروائع الربيع جاء فيها:

النور بدد ما اعتكر — لما بدا ضوء القمر
متسعرا في ومضة — حمراء تقذف بالشرر
متغبشا في صفوه — كالعين مازجها حور
والأرض في جنباتها — عرف الربيع قد انتشر
والنفس نبع فيضها — فتزاحمت فيها الفكر

وفي الختام أجدد الشكر لجمعية «رباط الفتح» وللسيد رئيسها المنتدب على إقامة هذا الحفل الذي عاد بالفائدة الجلى على جميع الحاضرين من خلال العروض والدراسات القيمة على مسامع السادة الكرام، وشكرا.

* * *

الحياة العلمية والثقافية
للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

الدكتور أمل العلمي(*)

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير المرسلين وبعد.

حضرة الرئيس حضرات الأساتذة الأفاضل سيداتي سادتي.

اسمحوا لي بادئ ذي بدء أن أشكر جمعية رباط الفتح لإتاحتها لي فرصة المشاركة في هذا المهرجان التكريمي لأستاذنا عبد العزيز بنعبد الله.

فهذه الدعوة الكريمة الموجهة باسم رئيس الجمعية الموقرة من أخينا الفاضل والكريم السيد عبد الكريم بناني وهو كذلك كريم اسما ومسمى إذ تكرم علي بشرف المشاركة بإلقاء هذه الكلمة وهو شرف وأي شرف فكيف للتلميذ أن يتحدث عن أستاذه ومن أين يبدأ هذا الحديث.

فاسمحوا لي حيرتي لأننا في المؤتمرات العلمية يطلب منا أن نركز تدخلنا وحديثنا في عشر دقائق. فهل بالإمكان في هذه العجالة الحديث عن الأستاذ وهو بحق مدرسة فكرية إسلامية عربية وصوفية، علمية، لغوية تاريخية، فقهية، كفاحية ووطنية، صحفية وغيرها، نموذجية، فريدة في مثل عصرنا. تشد إليها الرحال فينهل الطلبة والجامعيون والأساتذة من معينها ويجدون ضالتهم

(*) دكتور مختص في الأمراض العصبية وخاصة الرأسية.

المنشودة عند أستاذنا لطول باع علمه ومشاركته في كل مجالات المعرفة.

لطالما حدثني والدي وأنا طفل عن أستاذنا وإعجابه الكبير به وبنبوغه وعصاميته وعن منهجيته الموسوعية في البحث والتصنيف وأنا لا أتجاوز آنذاك العاشرة من عمري... فعرفني والدي عليه في بداية الستينات وكأني به يريدني أن أحذو حذوه في ازدواجية الثقافة بين الأصالة والمعاصرة وأن أستفيد منه.

لقد أصبح نادرا وغريبا في عصرنا أن نطلق لفظ مشاركة على عالم أو رجل فكر إذ تشعبت دروب المعرفة وطبع الجفاف الروحي تقدم العلم والتكنولوجيا. فهل يا ترى العلم ينحصر كما هو في عرف الغرب واصطلاحه على الجانب المادي من الحياة غافلا القيم والأخلاق والتربية الروحية؟

كلا، ثم كلا... فالشخصية العلمية أو الأدبية التي تنقصها التربية الروحية تكون كالجسد الميت الذي لا يتفاعل مع محيطه ولا يؤثر فيه.

وشخصية أستاذنا تصبو عكس ذلك إلى هذا التكامل الروحي والمادي، (فمن لا ينفعك لحظه لا ينفعك لفظه على حد قول رجال التصوف). من هذا المنطلق أستاذنا جمع بين علوم الدين والتصوف واللغة فهو يكتب ويحاضر باللغتين العربية والفرنسية على مستوى عال والسادة الكرام تابعوه على شاشة التلفزة وفي برنامج الفكر الإسلامي باللغة الفرنسية واستمتعوا بحديثه في عدة حلقات... ونجده لا ينفك متنقلا من مؤتمر إلى مؤتمر ومن بلد إلى بلد للمشاركة مثلا في اللقاءات الإسلامية المسيحية، أو في الندوات العلمية واللغوية إلى غير ذلك، وكم يسعده ارتجال الحديث حيث يطلب من مستمعيه تحديد موضوع المحاضرة ساعتها. فكانت توجه له الدعوات من أقطاب المعمور فيلبي ما يستطيع تلبيته وينوب عنه أحيانا ويعتذر أحيانا أخرى لكثرة أشغاله.

وأنا شخصيا نبت عنه بالمشاركة في مؤتمر الطب الإسلامي الثاني الذي انعقد بالكويت سنة 1981. ومع أنه لم يتمكن من حضور أشغال المؤتمر أبى إلا أن يوجه نص بحثه مكتوبا. وكانت هذه عادته دائما وما زالت.

حدثني والدي أنهما عندما كانا في مهمة تعريبية بقطر زارا المعهد الذي يشرف عليه الدكتور يوسف القرضاوي الذي استقبل بحفاوة كبيرة أستاذنا الفاضل. ولما دار الحديث بينهما أعجب الدكتور القرضاوي بسعة علم الأستاذ

ولا سيما عندما أطلعه على بعض الحقائق العلمية التي لم يكن الدكتور ملما بها فألح هذا الأخير على أستاذنا بإلقاء محاضرة على طلبة المعهد فاعتذر الأستاذ في بادئ الأمر لضيق الوقت إذ كان على أهبة السفر عشية ذلك اليوم ولكن أمام إلحاح الدكتور ونزولا عند رغبته قبل أستاذنا إلقاء المحاضرة ارتجالا بالإجابة على أسئلة الطلبة. فكان لهذه المحاضرة وقع كبير في نفس الطلبة وزادوا إعجابا وتقديرا للأستاذ.

لا أريد هنا تقييم الإنتاج الفكري والأدبي الغزير لأستاذنا وعلى أي لن أجرؤ على ذلك. وأكتفي (بعد استئذان أستاذنا) أن أتناول جانبا من حياته كما واكبتها منذ ما يزيد عن ثلاثين سنة وما انطبع في نفسي وتصوري عن شخصيته الفذة ونشاطه المتواصل في مجال التعريب والدعوة الإسلامية.

تعرفت عليه عن كثب ورافقته بصحبة والدي في عدة رحلات بالمغرب وخارجه. وكانت أسرة والدي ملازمة لأسرة الأستاذ طوال هذه السنوات. فكان نشاط مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي يخطط له ويبرمج له لا فحسب أوقات العمل المتواصل بمقر المكتب بالرباط حيث كما يديره أستاذنا منذ تأسيسه، بل كذلك ببيت أستاذنا أوقات راحته وأيام العطل أو في بيت والدي. وكنت أحضر معهما اجتماعاتهما المتواصلة التي لا تعرف لا كللا ولا مللا. وأتابع بشغف حديثهما وربما أتطفل أحيانا فأبدي رأيي حول المواضيع التي تناقش وتطرح. وكان يجري الحديث طوال ساعات من النهار والليل لا ينقطع إلا بحلول أوقات الصلاة أو الذكر. فيشحن الجو الروحاني تلك الجلسات والاجتماعات. وتسمو الأفكار وتقتات من قدسية حلقات الذكر وبركاته.

فلا عجب أن يتجلى هذا فيسمو بمشاريع وإنجازات الأستاذ لتعانق سموه الروحي والمعنوي، تطل علينا شامخة في عمل جبار معجز عملاق يبهر الجميع ولا يسع المرء إلا أن يطأطئ رأسه إجلالا واحتراما...

فهذه مجلة «اللسان العربي» تشهد على ما أقول. لقد كتب لي أن أشاهد ميلادها وأطوار نموها حتى آلت لما هي عليه من مكانة عالمية، خدمت اللغة العربية في عصر تنكر أبناء الضاد للغتهم وجفت الأقلام وخرست الألسن ورطنت ولحنت أخرى... وأقف هنا لأسجل للتاريخ أن طاقم المجلة، وقائده

وجيشه معالم يكن سوى الأستاذ ولوحده يحرر المقالات ويؤلف المعاجم وينشر ويصحح وينتقي الأبحاث التي تنشر من وفرة لا نظير لها كانت تفد على المكتب الدائم للتعريب من شتى أقطار العالم ومن مختلف الأمصار. ونقدر أكثر هذا المجهود وهذه المثابرة إذا علمنا أن كل عدد من أعداد المجلة والتي ناهزت الثلاثين آنذاك، كان يمثل لوحده مجلدات ضخمة.

للأستاذ فراسة المؤمن الرباني الذي يرى بنور الله ويقدر لكل عمل أو مشروع وزنه الخاص وأبعاده. فأبى إلا أن يكلف والدي أن يفد في زيارة خاصة لقبر رسول الله(ص) بمشروع المجلة ويبتهل إلى الله ويستمد العون ويقول ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى...

فهذا هو السر وهذا هو القبس المحمدي حيث يشحن أستاذنا عبقريته فيتمثل فيه الحديث القدسي:

ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي عليها ولئن استعاذني لأعيذنه... إلخ الحديث...

ولا بد لي هنا أن أجرؤ من جديد بتحليل جانب آخر من شخصية الأستاذ الصوفية والتي تطبع حياته وأعماله ألا وهي مراقبته الحق عز وجل باستمرار وتعلقه الدائم بالله سبحانه وتعالى في سره وعلانيته، فلا يفتر عن الذكر ولا يقدم على أي عمل مهما صغر شأنه إلا ويستخير الحق سبحانه وتعالى فيه وربما يختلط فهم هذا على البعض لعدم فهمهم الصحيح لأدب الاستخارة كما يفهمها الأستاذ ويحث عليها امتثالا لقول رسول الله(ص): «من شقوة ابن آدم تركه الاستخارة». فكان ومازال يوكل أموره لله في استخارته. فمن يكون هذا شأنه ولسان حاله يقول حسبي الله ونعم الوكيل، ما كان لله أن يخذله فلا يكله لنفسه ولكن يتولاه ناصرا ومعينا، ملهما ومنيرا...

إني أتحدث عن الأستاذ بعفوية تامة وحسبي في ذلك ما تجمعني به من أخوة صادقة في الله وما تربطني به من علاقة روحية فكأني بالمدد، يقذف بقلمي ويعبر عن بعض مشاعري بدون أي عناء في انتقاء الألفاظ أو تنسيق للكلمات أو التعابير فأرخيت العنان أكتب ولا أبالي لترتيب الأفكار أو معالجة

تسلسل الأحداث حسب ترتيبها الزمني.

ولضيق الوقت فليس لي أن أتحدث عن منجزاته الكبرى في التعريب بعد أن تعرض لذلك غيري من الأساتذة الكرام ذوي خبرة بالموضوع وأكتفي بالقول علي سبيل التذكير في هذا الصدد أنه أثرى المكتبة اللغوية العربية باثنين وثلاثين معجما للمصطلحات في جميع مجالات المعرفة ثلاثية المداخل (عربية فرنسية وإنجليزية).

ولم يترك نشاطه التعريبي في السنوات الأخيرة إلا ليكرس جهده في مجال الدعوة الإسلامية وخدمة قضية الإسلام والمسلمين، ألا وهي بيت المقدس الشريف وإحدى القبلتين وثالث الحرمين.

فأسند إليه أمير المؤمنين وحامي الملة والدين مهمة الإشراف العلمي والأدبي على تحرير مجلة تكون لسان القضية الفلسطينية باللغة الفرنسية: فأنشأ مجلة «القدس» وأشرف منذ البداية على تحرير أعدادها ففسح المجال للأقلام الإسلامية ولم نتقاعس في واجب المشاركة أنا ووالدي وبعض إخوتي فجاءت متميزة بثوبها الخاص. وتناولت مواضيعها الفكر الإسلامي وعالجت تحديات العصر.

ولم يكتف الأستاذ بمهمة التحرير، بل واصل وما زال يواصل المجهود التقني من تصحيح أعداد المجلة عند طبعها ونشرها. فتجده يحرر مقالات المجلة وينشر بعضها باسمه ويستعير أسماء وألقابا مثل أبو فارس لنشر مقالات أخرى...

ومما أوثره بالذكر في هذه العجاله ما لكتب الأستاذ في مجال الدعوة من أثر؛ خذ من ذلك ما نشرته مجلة «المسلمون» في عدد من أعدادها: صورة شخصية بلجيكية كانت تحمل بين يديها كتاب «أضواء على الإسلام» Clartés sur l'Islam أو الإسلام في منابعه للأستاذ، يقول: بفضل هذا الكتاب اعتنقت الإسلام أنا وثلة من زملائي فهنيئا لأستاذنا، ولأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك مما طلعت عليه الشمس...

ومهما قلته من شهادات في حق الأستاذ فلن تفي... وأكتفي في هذا المضمار بما ذكره أبو الحسن علي الحسني الندوي وهو كما تعلمون من كبار

علماء الهند وأقطاب الفكر الرسلامي المعاصر عن لقائه مع الأستاذ فكتب يقول في ص 87 من كتابه «أسبوعان في المغرب الأقصى» (والذي يحكي فيه عن رحلته إلى المغرب على شكل مذكرة وشهادات وانطباعات):

«13 مايو 1976،يوم الخميس... وزارنا اليوم في الصباح الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله رئيس مكتب التنسيق بين الأكاديميات التي تقوم بعمل التعريب والترجمة... وأردف قائلا بالحرف عن الأستاذ: وكان يشف حديثه عن إطلاعه الواسع، وعنايته الكبرى بالقضايا والأفكار الإسلامية وكان اللقاء ممتعا نافعا».

أما عن كفاحه الوطني فهذا مما يعرفه الجميع. لقد كان يشارك إبان الحماية في الصحافة الوطنية (العلم والاستقلال) فيوقذ الروح الوطنية ويلهب حماس الوطنيين بمقالاته وما تحمله من تحليلات سياسية ودعم للتضحية والفداء ومحاربة المستعمر الغاشم... ولن ينسى التاريخ ما أسداه لقضية الصحراء المغربية إذ بفضل دراسته وبحثه التاريخي القيم حول الصحراء أصدرت محكمة لاهاي الدولية حكمها.

ونشر كتاب للأستاذ تحت عنوان «الحقيقة حول الصحراء» بالفرنسية صدر عن مطبعة Horvath بفرنسا سنة 1977.

ولا يفوتني بعد هذه الارتسامات السريعة حول شخصية الأستاذ وقبل أن أختم كلمتي أن أذكر بإيجاز بعض مؤلفات الأستاذ المطبوع منها؛ فيمكن تقسيمها كما يلي:

1- من بين ما نشر بالفرنسية:

- أضواء على الإسلام
- الفكر الإسلامي والعالم المعاصر
- الحقيقة حول الصحراء
- الفن المغربي
- التيارات الكبرى للحضارة المغربية

2- ومن بين ما نشر باللغة العربية:

- الموسوعة المغربية للأعلام الحضارية والبشرية (أربعة أجزاء)

- معلمة المدن والقبائل
- معلمة الصحراء
- تاريخ المغرب في مجلدين
- تطور الفكر واللغة في المغرب الحديث

سلسلة محاضرات ألقاها الأستاذ بقسم البحوث والدراسات الأدبية واللغوية وتولى معهد البحوث والدراسات العربية التابعة لجامعة الدول العربية طبعها ونشرها على نفقته سنة 1969 بمصر.

- مستقبل اللغة العربية
- معلمة الفقه المالكي (350 ص)
- الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب أحرز على جائزة معهد الحسن الثاني
- مظاهر الحضارة المغربية (في مجلدين)
- الطب والأطباء بالمغرب
- تاريخ الحضارة المغربية (260 ص)
- شقراء الريف
- جغرافية المغرب
- نحو تفصيح العامية في الوطن العربي
- وله أزيد من 350 مقالا وبحثا في مختلف المجلات والدوريات بثلاث لغات (العربية - الفرنسية - الإنجليزية).

وله مؤلفات تحت الطبع باللغتين العربية والفرنسية تبلغ 18 يتراوح عدد صفحات كل واحد من 200 ص إلى 1800.

وله عضوية في عدة موسوعات ودوائر المعارف والدوريات العربية (بالقاهرة ودمشق ولبنان) والأجنبية (لأوروبا وأمريكا والصين).

وأخيرا وليس بالآخر: له عضوية الجمعيات العالمية والمجامع اللغوية نخص منها بالذكر أنه:

1- مستشار منظمة المؤتمر الإسلامي - جدة.

2- عضو الأكاديمية الملكية المغربية - الرباط.

3- عضو المجمع العلمي العراقي - بغداد.
4- عضو مجمع اللغة العربية الأردني - عمان.
5- عضو المجمع العلمي الهندي.
6- عضو مؤسس لجمعية الإسلام والغرب الدولية - جنيف.
7- عضو منظمة حقوق الإنسان العالمية - واشنطن.
8- عضو المجلس التنفيذي لاتحاد المترجمين الدولي - وارسو.
9- نائب رئيس البنك العالمي للكلمات (التابع لليونسكو).
10- وهو حاصل على جائزة استحقاق المغرب الكبرى سنة 1987.

لقد حذفت الكثير مما يمكن أن يقال لئلا أطيل عليكم...

أمد الله عمر أستاذنا في خدمة الإسلام والمسلمين.

والسلام عليكم ورحمة الله.

* * *

شهادة في الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بمناسبة يوم تكريمه

قاسم الزهيري(*)

سيداتي،
سادتي،
أيها الإخوة.

إن الرجال الذين يطبعون عصرهم، وتظل أسماؤهم عالقة بذاكرة شعوبهم قلة نادرة. إنهم بمثابة الجواهر الكريمة تتلألأ وسط الأصداف، ويظل بريقها يلمع على مر الأحقاب، يتمثل ذلك البريق في ما أبدعوه، وما قاموا به من جليل الأعمال وخلفوه من رائع الآثار. وحصيلة أعمالهم وآثارهم هذه، هي التي تميز عصرهم وما يحرزه مجتمعهم من رقي وتقدم. في طليعة هؤلاء رجال الثقافة والمعرفة بشتى صنوفها ممن تقوم أخبارهم وآثارهم شاهدة على إسهاماتهم المبدعة في تقدم أمتهم.

في مقدمة هؤلاء الرجال أخونا الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي يحتفي به هذا الجمع الكريم. ففي هذا اليوم الذي تكرم فيه جمعية رباط الفتح ابنا بارا من أبناء العاصمة الإدارية وعلما من أعلام هذه البلاد، نرى من حقه

(*) مدير جريدة العلم سابقا، ثم وزير التربية الوطنية والتعليم، ثم سفير المملكة المغربية في الصين.

على أخدانه الذين بلوه في مجال العمل أن يدلوا ببعض ما وقفوا عليه وشاهدوه من خصائص شخصيته المتميزة.

لقد بلوت الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أيام الكفاح الوطني على مر أزيد من عشر سنوات قبل الاستقلال ونحو سنتين بعد الاستقلال إلى أن تشعبت بنا طرائق العمل القومي وبقينا مع ذلك مرتبطين بصلات وثيقة. فما حاد أخونا الأستاذ عبد العزيز قيد شبر عن نجاحه من البحث الدؤوب عن دقائق الحضارة العربية الإسلامية بجميع مظاهرها وتجليتها باللغتين العربية والفرنسية. عرفته مؤمنا أشد ما يكون الإيمان بهذه الحضارة، لا يضاهي إيمانه هذا إلا بيقينه الثابت بالرسالة الأبدية الخالدة وتشبثه بتعاليمها وحرصه على اتباع أحكامها.

كان عطاؤه ثرا غزيرا على صفحات «العلم» ينفق من واسع معارفه بدون حساب. يأتي صباح مساء إلى مكتبه يغشاه في رفق ويشرع في أعماله الإبداعية بشتى أنواعها مما سبق أن فكر فيه بين الآونة والأخرى أثناء تهجده في الليل وتعبده أطراف النهار، وهو دائما من الذاكرين المتبتلين، أو مما يقترح عليه من المواضيع المتصلة بالظروف العصيبة التي كانت تجتازها البلاد، أو ما تقتضيه حاجة التحرير في شتى صنوف المعرفة. فيأخذ في الكتابة فاتحا خانة من خانات فكره الذي هو أشبه ما يكون بمكتبة تختزن من المعلومات ما تختزنه أوسع المكتبات. فماهي إلا بضع ساعات، وإذا عطاؤه جاهز للطبع. حتى إذا اقتضى الموضوع مزيدا من البحث والتدقيق عاد إلى جذاذاته في مكتبته التي أهداها اليوم إلى جمعية رباط الفتح مشكورا وكان من الأوائل الذين أدركوا فائدة الجذاذات وأخرج من بطونها ما سبق أن اختزنه من المعلومات أثناء تجواله العلمي والثقافي ليثري بها إبداعه. ولم يتفق أن تردد في طلب قدم إليه ويتعلق بصنوف المعرفة على اختلاف شعبها. أو أعجزه موضوع من الموضوعات التي تطرح يوميا على الصحافة وتتطلب رأيا سريعا يطمئن إليه القارئ.

ذلك أن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله من الموسوعيين الذين يجمعون بين ما اختزنته الذاكرة العربية الإسلامية بوجه خاص والذاكرة الإنسانية بوجه عام على مر الأحقاب والأجيال وبين ما وصلت إليه المعرفة في شتى المجالات

بعصرنا هذا. يساعده على ذلك فكر متفتح لكل جديد وذهن ثاقب متوقد ومتطلع لكل ما توصل إليه البحث العلمي، وذاكرة مستوعبة لكل ما يقع تحت حسها. لا يلهيه عن المطالعة والتثقيف والكتابة والإبداع أي من المغريات التي تجتذب باقي المثقفين. تراه إما في المحراب ذاكرا متعبدا وإما في المحيط الفكري مطالعا كاتبا مبدعا، يمارس كلتا الحالتين بروح المتبتلين الذين لا تلهيهم سفاسف الدنيا وسراب الأطماع وتهافت المتنافسين على الجاه والجدة.

يجد أخونا الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لذته وغاية مناه في كتاب يخرجه للناس أو قاموس يحققه أو جزء من معلمة ينجزها، أو قصة يكتبها، أو محاضرة تطلب منه ويسارع لإلقائها، ولم يتفق أن رد طالبها خائبا: فردا كان أو جماعة، فلا غرابة أن تكون ذخيرته اليوم هذا العديد من الكتب والأبحاث والمقالات القيمة من التاريخ والحضارة والاجتماع واللسانيات والترجمة مما أثرى به المكتبة العربية وتفخر به البلاد. رصيده فكر، وثروته ثقافة ومعرفة في وقت تطغى فيه المادة على ما سواها.

هكذا عرفته زميلا مبدعا في جريدة «العلم»، وهكذا عرفته حين تقلد مهام مكتب التعريب التابع للجامعة العربية فترة طويلة أغنى خلالها المكتبة العربية بفيض من أعماله الفكرية. وهكذا عرفته حين كان يتلطف بزيارتي من حين لآخر من بعض المناصب التي تقلدتها في الخارج مساعدا إياه ببعض إنتاجه الفكري المتجدد. وكلما كان ينفق من عمله يزداد علما ومعرفة ويغري المعجبين به بالمزيد. كل هذا مع تواضع يذكر بتواضع علماء السلف الصالح الذين يشبهون سنابل الزرع كلما ازدادت حبا ازدادت انحناء وتواضعا. وهكذا نعرف اليوم أخانا الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لا يني ولا يبخل بعلمه في إطار أكاديمية المملكة المغربية أو على صفحات الجرائد والمجلات في الداخل والخارج، أو فيما يطلب منه من محاضرات وأحاديث وما يدعى إليه من ندوات ومؤتمرات علمية داخلا وخارجا.

إنه بحق علم من أعلام هذه البلاد ثقافة وعطاء، زهدا وتبتلا. وإنه لمرجع من أوفى مراجع مجتمعنا فكرا وخصوبة وإبداعا. وإنه لموسوعة قائمة الذات علما ومعرفة ينهل الظامئ من معينها العذب مالذ وطاب.

هذه سيداتي، سادتي أيها الإخوة شهادة جاءت عفو الخاطر طلب مني في آخر ساعة أن أدلى بها. وعزيزنا الأستاذ عبد العزيز يستحق أكثر من وقفة قصيرة كهذه. فالله نسأل أن يطيل عمره ليزداد النفع به ويثيبه على ما بذل وما فتئ يبذل بدون حساب.

* * *

منهجية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في توحيد المصطلح العلمي العربي

الدكتور علي القاسمي(*)

الأستاذ الجليل عبد العزيز بنعبد الله عالم مشارك له إسهامات قيمة في عدد من العلوم أخص بالذكر منها اللسانيات، والتاريخ، وعلوم القرآن والحديث، والفلسفة والتصوف، والشريعة، والعمارة، وتاريخ الطب، والاجتماع، والسياسة، والصحافة، وغيرها، كما مارس كتابة القصة والرواية وإن إلقاء نظرة خاطفة على عناوين كتبه وأبحاثه ومقالاته يكفي لإثبات صحة ماذهبت إليه. غير أن اسم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله يرتبط في أذهان كثير من الناس بالتعريب، وتوحيد المصطلح العلمي العربي، وبمكتب تنسيق التعريب ومجلته (اللسان العربي).

لقد أنشئ مكتب تنسيق التعريب أول الأمر بعيد استقلال المغرب لمساعدة الأجهزة الحكومية المغربية على تعريب لغة الإدارة والتعليم في البلاد، ونتيجة لزيارة جلالة المغفور له الملك محمد الخامس لعدد من دول المشرق العربي تقرر أن تناط بالمكتب مهمة تنسيق التعريب في الوطن العربي وينضوي من ثم تحت إشراف جامعة الدول العربية عام 1961 إلى أن يصبح أحد أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عندما أسست عام 1972. وإنه لمن حسن الطالع

(*) مدير الثقافة والاتصال، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، (الإيسيسكو)، الرباط.

أن يكون الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله على رأس هذا المكتب عند تأسيسه.

وبعشق صوفي للغة القرآن الكريم، ومحبة صافية للحضارة العربية الإسلامية، ،نضال وطني عروبي صلب من أجل أن يردف استقلال البلاد العربية السياسي بالاستقلال الثقافي والاقتصادي، حمل الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله مشعل التعريب وراية توحيد المصطلح في الوطن العربي لمدة تناهز ربع قرن، حتى أضحت معاجمه وأبحاثه ومجلته (اللسان العربي) مصدرا لجميع المعجميين والمصطلحيين المشتغلين بلغة الضاد. وقد مكنه من ذلك تبحر لا مثيل له في علوم اللغة العربية، وإتقان عميق للغة الفرنسية، وقدرة هائلة على البحث المتأني، وإيمان صلب بسمو المهمة التي اضطلع بها.

ومن أجل توحيد المصطلح العربي وضع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله منهجية علمية مدروسة تنطلق أولا من تحديد الغرض والهدف والغاية، وتقوم أساسا على النظر في الموضع القائم لمعرفة أبعاد المشكلة واستيعاب الاحتياجات ومن ثم رسم خطة محكمة لمعالجة المشكلة القائمة وتلبية الاحتياجات الملحة وبلوغ الأهداف المتوخاة.

يميز الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بين الغرض والهدف، وفي الوقت نفسه يفرق بين الهدف والغاية، على الرغم من أن الغرض المحقق يصبح بدوره وسيلة للهدف المرسوم، وأن الهدف المنجز يضحي وسيلة للغاية التي نسعى إليها. فالغرض من إنشاء مكتب تنسيق التعريب هو توحيد المصطلح العلمي، والهدف من توحيد المصطلح العلمي هو توفير الأرضية اللازمة لإيجاد لغة علمية عربية تيسر نقل العلم والتكنولوجيا وتوطينهما وتنميتهما في الوطن العربي، والغاية من ذلك ولاشك هي تحقيق التنمية الاجتماعية والاقتصادية وتحسين نوعية الحياة للإنسان العربي لضمان حياة أفضل ومستقبل أسعد له ولأبنائه.

ومن دراسة المصطلحات المستعملة في الوطن العربي آنذاك تبين للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أن هنالك نوعين من المصطلحات: المصطلحات الحضارية والمصطلحات العلمية والتقنية. فالمصطلحات الحضارية هي تلك المصطلحات الحديثة المستعملة لتسمية ما أفرزته الحضارة الغربية من مخترعات وابتكارات أصبحت جزءا من الحياة اليومية للمواطن وتدور على ألسنة الجمهور، مثل

وسائل النقل: كالسيارة والقطار والطائرة، ومثل وسائل الإعلام كالمذياع، والتلفزيون، ومثل وسائل الاتصال: كالهاتف، والبرق، والتلكس، والفاكس إلخ. أما المصطلحات العلمية والتقنية فهي تلك المسميات التي تستعمل للتعبير عن مفاهيم علمية أو تكنولوجية متخصصة ولا يستخدمها إلا العلماء والتقنيون وطلبة العلم والتكنولوجيا مثل أسماء الفلزات في الفيزياء وأسماء العضلات أو أقسام المخ في الطب، وأسماء المركبات الكيماوية وغيرها.

وتوحيد المصطلحات، سواء الحضارية منها أم العلمية والتقنية، ضرورة لتملك الأمة العربية لغة تواصل واحدة تكون مقوما أساسيا للثقافة مشتركة يعمل العرب على اختلاف مشاربهم وتباين مواطنهم على تنميتها وتوارثها من جيل إلى جيل. أما إذا اختلفت تلك المصطلحات من بلاد إلى أخرى فإن ذلك سيؤدي حتما إلى ظهور لغات عربية متعددة أو على أحسن الفروض سينتج عنه صعوبة في التواصل وعقبة في التبادل الثقافي. إن الغرض من قيام مكتب تنسيق التعريب كما حدده الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هو توفير المصطلح الحضاري والعلمي والتقني الموحد وإشاعة استعماله في جميع البلاد العربية بهدف إيجاد لغة حضارية وعلمية مشتركة، تكون الغاية منها تنمية الثقافة العربية لخير الإنسان العربي ورفعته ورفاهيته.

ويتطلب تحقيق الأغراض وإنجاز الأهداف وبلوغ الغايات دراسة الأوضاع القائمة وتبين المشاكل الموجودة وتحديد الاحتياجات اللازمة، ثم وضع خطة شاملة للعمل تبين الوسائل المستعملة، وترسم الطرائق المتبعة، وتوضح البدائل المحتملة.

وبعد تمحيص الوضع المصطلحي القائم آنذاك في الوطن العربي خلص الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله إلى التأكد من وجود ازدواجية مصطلحية خطيرة تتبلور في صورتين رئيسيتين: أولاهما، التعبير عن المفهوم الواحد بأكثر من مصطلح وثانيهما، التعبير بمصطلح واحد عن أكثر من مفهوم في الحقل العلمي الواحد. ويسمى اللغويون الظاهرة (الترادف) الثانية (الاشتراك اللفظي).

وعند النظر إلى أسباب هذه الازدواجية المصطلحية العربية تبين أنها تنقسم إلى نوعين: أسباب تنظيمية وأسباب لغوية. وتتلخص الأسباب التنظيمية

في اضطلاع مؤسسات متعددة في وضع المصطلحات وتوليدها. فهناك المجامع اللغوية وهي: مجمع اللغة العربية بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العراقي وانضاف إليها فيما بعد مجمع اللغة العربية الأردني، وأكاديمية المملكة المغربية، ومجمع اللغة العربية في المملكة العربية السعودية. وكل هذه المؤسسات تقوم بتوليد المصطلحات إضافة إلى الجامعات ووزارات التربية والتعليم والمنظمات العربية المتخصصة وغيرها. وقد يعالج المفهوم الواحد في الحقل العلمي الواحد من قبل أكثر من واحدة من هذه المؤسسات ويوضع للتعبير عنه مصطلحات متعددة مختلفة.

أما الأسباب اللغوية الكامنة وراء الازدواجية اللغوية العربية فيمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- تنوع المصدر اللغوي للمصطلحات العربية الحديثة، فدول المشرق العربي تضع مصطلحاتها انطلاقا من اللغة الإنجليزية، ودول المغرب العربي تولد مصطلحاتها اعتمادا على اللغة الفرنسية، وهاتان اللغتان قد تعبران عن المفهوم الواحد بوحدات لغوية متباينة فينعكس هذا التباين على المصطلحات العربية المترجمة منها. ومن الأمثلة على ذلك تعريب المصطلح الإنجليزي «نتروجين» وتعريب المصطلح الفرنسي «آزوت» وكلاهما يعبر عن مفهوم واحد.

ب- الترادف في لغة المصدر، فحتى لو كانت لغة المصدر واحدة كالإنجليزية أو الفرنسية فإن احتمال الازدواجية المصطلحية فيها وارد بسبب الترادف اللفظي، سواء أكان هذا الترادف في اللهجة الواحدة نفسها أم في لهجتين مختلفتين من لهجات تلك اللغة، كاللهجة البريطانية واللهجة الأمريكية، ومن أمثلة هذا الترادف ما ترجم عن الأنجليزية البريطانية ب (أنبوب) Tube ومن الإنجليزية الأمريكية (صمام) Valve.

ج- الترادف في اللغة المتلقية، أي العربية، حتى لو كانت لغة المصدر واحدة واستخدمت مصطلحا واحدا، مثل Ordinateur في اللغة الفرنسية الذي ترجم في المملكة المغربية في آن واحد ولردح من الزمن ب (الرتابة) و(النظامة)، في حين ترجم اسم هذا الجهاز في المشرق العربي بكلمة (حاسب آلي) انطلاقا من الكلمة الإنجليزية Computer.

وبعد أن درس الأستاذ بنعبد الله هذه المشكلة وشخص أسبابها وأبعادها وضع خطته الشاملة لمعالجتها، وقد قدمت معالم هذه الخطة إلى المؤتمر الثاني للتعريب المنعقد بالجزائر عام 1972.

تستهدف خطة الأستاذ بنعبد الله بادئ ذي بدء توحيد المصطلحات المستعملة في المناهج المدرسية في التعليم العام، باعتبار أن التعليم هو أساس التنمية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية، ولا يقتصر توحيد مصطلحات التعليم العام عليها في الكتب المدرسية في الرياضيات والعلوم فحسب وإنما يتناول كذلك مصطلحات العلوم الإنسانية كالجغرافية والاقتصاد والاجتماع وغيرها. ثم تعمل الخطة على توحيد مصطلحات التعليم التقني والمهني.

وإذا كان التعليم العام والتعليم التقني والمهني يزودان الغالبية من أبناء الشعب المنخرطين فيه بالمصطلحات الموحدة، فإن التعليم العالي يهيئ العاملين في الإدارة والباحثين العلميين، ولا بد من توحيد المصطلحات العلمية المستخدمة في الكليات والمعاهد العالية، لكي تيسر توحيد المصطلحات المستعملة في البحوث العلمية والتقنية وفي الإدارات الحكومية. ولهذا فإن خطة التعريب اشتملت على تعريب المصطلحات المستعملة في مبادئ التعليم العالي المختلفة كالطب والهندسة والعلوم والفلسفة واللسانيات وغيرها.

وإذا كان تعريب التعليم ومصطلحاته وتوحيدها أمرا مقبولا من لدن جميع الأطراف المعنية فما هي الطريقة المثلى لتحقيق ذلك؟ وكيف يتفق العرب على المنهجية اللازمة؟

لقد اختار الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله، منهجية التوحيد التي تشتمل على الخطوات التالية:

أولا، اختيار الموضوع أو الحقل العلمي المراد توحيد مصطلحاته.

ثانيا، تجميع مصطلحات ذلك الحقل العلمي المستعملة في الكتب المدرسية في جميع البلاد العربية.

ثالثا، ترتيب هذه المصطلحات العربية في مسارد تشتمل على المصطلح الإنجليزي ومقابله الفرنسي والمقابلات العربية المستعملة في مختلف البلاد العربية.

رابعا، إرسال هذه المسادر إلى جهات الاختصاص والمجامع اللغوية في البلاد العربية لدراستها وإبداء الملاحظات عليها.

خامسا، تنسيق الملاحظات الواردة في الدول العربية وتعديل المسادر بناء عليها.

سادسا، عقد ندوة أو ندوتين تضم لغويين ومتخصصين في ذلك الحقل العلمي يمثلون مختلف البلاد العربية لدراسة المسادر والاتفاق علي مقابل عربي واحد من بين المقابلات العربية المدرجة إزاء المصطلح الإنجليزي ومقابله الفرنسي.

سابعا، عقد مؤتمر التعريب الذي يضم ممثلي الدول العربية والمجامع اللغوية والمؤسسات والمنظمات العربية المعنية لدراسة ما توصل إليه الخبراء في الندوتين، وإقرار المقابلات العربية المختارة بوصفها مصطلحات موحدة يلزم استعمالها في جميع أنحاء الوطن العربي.

ثامنا، طباعة المصطلحات الموحدة لكل حقل علمي في معجم خاص يحمل شعار جامعة الدول العربية وعنوان المعجم الموحد لمصطلحات كذا، ويوزع هذا المعجم على جميع الدول العربية ومؤسساتها المعنية.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسادر التي كانت تشتمل على المقابلات العربية للمصطلح الإنجليزي والفرنسي كانت تعزو كل مقابل إلى الدولة العربية التي تستعمله أو المؤسسة التي وضعته. غير أنه لوحظ أن هذه الطريقة تؤدي إلى تعصب المشاركين في الندوة كل للمقابِل المستعمل في بلده حتى لو لم يكن ذلك المقابل أفضل المقابلات وأدقها وتعبيراً عن المفهوم، ولهذا أخذ المكتب فيما بعد يدرج المقابلات العربية دون أن يعزوها إلى مصادرها.

وكان الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله يشارك في جميع الندوات التي يعقدها المكتب لاختيار أفضل المقابلات العربية في مختلف فروع المعرفة. وكان يرفد المشاركين فيها بتوجيهاته المصيبة التي تعينهم في عملهم، وعندما كان المشاركون يختلفون فيما بينهم حول المصطلح الأفضل كانت أنظارهم تتجه إلى الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله طالبين العون والقول الفصل لما كانوا يكنونه له من احترام وإكبار نابعين من إدراكهم عمق إخلاصه للغة القرآن الكريم وواسع

عمله ومصيب نظره.

لقد حظيت هذه المنهجية بقبول جميع المؤسسات المعنية في طول الوطن العربي وعرضه، وقامت المجامع اللغوية في بغداد ودمشق وغيرها بطباعة المعاجم الموحدة وقد بلغ مجموع المصطلحات الموحدة التي أقرتها مؤتمرات التعريب التي نظمها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ما يناهز مائة وعشرة آلاف مصطلح في مختلف فروع المعرفة. ومع ذلك فالحسناء لا تعدم ذاما، كما يقولون، فقد ارتفعت أصوات هنا وهناك مدعية أنه على الرغم من أن الطريقة المتبعة في الوصول إلى المصطلحات الموحدة جيدة ولكن هذه المصطلحات تبقى سجينة الرفوف ولا تجد طريقها إلى الكتب المدرسية أو الكتب العلمية التي يضعها المتخصصون، بل يظل هؤلاء على استخدام المصطلحات التي درجوا على استعمالها في بلادهم.

وإذا كان هذا النقد لا يخلو من نصيب من الصحة فإن مكتب تنسيق التعريب لا يمكن أن يلام على ذلك، فهو لا يمتلك سلطة إلزامية ما خلا السلطة الأدبية التي يتمتع بها بوصفه جهازا من أجهزة جامعة الدول العربية أنيطت به مهمة توحيد المصطلحات في الوطن العربي، إن اللوم على عدم الالتزام باستعمال المصطلحات الموحدة يوجه للدول ذاتها التي تلتزم عن طريق ممثليها في مؤتمرات التعريب بالمصطلحات الموحدة ولا تتخذ الإجراءات الكفيلة بوضع التزامها موضع التنفيذ.

غير أن هنالك وجها آخر لهذه القضية فإذا كانت المعاجم الموحدة لم تعمم بصورة إجبارية من طرف الدول العربية، فإننا لا نكاد نجد معجما عاما أو متخصصا صدر في البلاد العربية بعد تأسيس مكتب تنسيق التعريب دون أن يعتمد المصطلحات التي صدرت عنه أو يضيفها إلى المصطلحات التي يعتمدها بوصفها رديفا أو بديلا.

ومن ناحية أخرى أدرك الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بثاقب بصيرته أن منهجية التوحيد لا تغني عن منهجية التوليد. وعلى الرغم من أن مكتب تنسيق التعريب ليس مكلفا بتوليد المصطلحات وإنما بتوحيدها، فقد سعى الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لدى جميع المؤسسات المعنية للاتفاق على منهجية مشتركة

لتوليد المصطلحات العربية، لأن ذلك سييسر توحيدها فيما بعد، وهكذا عقدت ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي في مكتب تنسيق التعريب بالرباط في سنة (1980) حضرها ممثلو الدول العربية إضافة إلى المجامع اللغوية والمؤسسات المعنية مثل مجمع العربة الأردني ومعهد الدراسات للأبحاث والتعريب المغربي، وقسم المعاجم في مكتبة لبنان وغيرها.

وفي إطار الإعداد لهذه الندوة تلقى مكتب تنسيق التعريب تقريرا أو بحثا من كل مؤسسة مشاركة في الندوة تعرض فيها منهجيتها في توليد المصطلحات. وقام المكتب بدراسة تلك المنهجيات وتقدم بورقة عمل لمنهجية مشتركة لتوليد المصطلحات العربية تدارسها المشتركون في الندوة وأقروها بعد إضافات طفيفة لا تمس صلبها.

ولا تقتصر جهود الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في ميدان التعريب على توحيد المصطلح العلمي والعربي وإنما برز كذلك في ناحيتين من نواحي هذا الميدان هما القيام بالبحوث المصطلحية وتشجيعها، وتوليد المصطلحات العلمية العربية.

ففي الناحية الأولى يعتبر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله رائدا بارزا من رواد تشجيع البحث العلمي في اللسانيات والمصطلحية والمعجمية وذلك بإصداره بانتظام دورية نصف سنوية تحمل (اللسان العربي) وتكاد تكون هذه الدورية المجلة العربية الوحيدة المتخصصة في قضايا المصطلح والمعجم والتعريب، وبوعي كامل بالأهداف التي تسعى إلى تحقيقها هذه المجلة، وبإدراك عميق للرسالة التي تضطلع بحملها، قسم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هذه الدورية القيمة التي يقع كل عدد من أعدادها في حوالي 450 صفحة من القطع الكبير إلى أربعة أقسام:

1- القسم الأول، خاص بالأبحاث اللغوية، وعلى الخصوص الصرفية والدلالية منها، لما لهذه الأبحاث من أهمية بالغة في تهييء الأرضية الصلبة للعمل المعجمي والمصطلحي.

2- القسم الثاني، خاص بالأبحاث المعجمية والمصطلحية والتعريبية، وهو القسم الأكبر في المجلة.

3- القسم الثالث، مسارد مصطلحية يبعث بها أساتذة الجامعات والباحثون وغالبا ما تكون هذه المسادر خاصة بعلم من العلوم وبلغتين أو ثلاث إنجليزية عربية أو فرنسية عربية، وقد شجع نشر هذه المسارد عددا كبيرا من المعنيين على تجميع المصطلحات الأجنبية في ميدان نخصصهم واقتراح مقابلات عربية لها.

4- القسم الرابع، أخبار متنوعة عن المجامع اللغوية والمؤسسات المصطلحية والمعاجم التي تصدرها وغير ذلك من الأخبار التي تهم المشتغلين في الميدان.

ومن ناحية توليد المصطلحات العلمية العربية، أصدر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله عددا من المعاجم المتخصصة في مختلف الميادين. وقد كان الأستاذ يختار موضوع هذه المعاجم على أساسين: أولهما الحاجة إلى المعجم تشكل أساسا لغيره من المعاجم. وأضرب مثلا لمعجمين أصدرهما الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هما معجم الألوان، ومعجم تصنيف أكسفورد العشري للمصطلحات الزراعية والجراحية.

وقد كان بعضهم يخلط بين معاجم الأستاذ بنعبد الله، ومعاجم مكتب تنسيق التعريب، ولا ألومهم في ذلك، لأن معاجم تنسيق التعريب حتى ولو أسهم في إعدادها خبراء المكتب والمتخصصون، فإنها مطبوعة بمنهجية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي قام بالاطلاع عليها وأجرى عليها مداده حذفا وإضافة وتبديلا.

إن جمعية رباط الفتح بادرت مشكورة إلى الاحتفاء بالأستاذ بنعبد الله في إقامة هذه الندوة التي ستنشر أشغالها كذلك، غير أن ضرورة تكريم الأستاذ الجليل هو من واجب جميع المؤسسات الثقافية العربية الإسلامية وفي طليعتها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) التي أسهم الأستاذ بنعبد الله إسهاما مرموقا في تشييد صرحها وتطوير برامجها وإعلاء اسمها ويسعدني أن أقترح على هذه المنظمة الموقرة بعض الوسائل المعروفة في تكريم العلماء راجيا من ممثلها الكريم الموجود بيننا أن ينقل اقتراحي هذا إلى السيد مديرها العام، ومن أولى بتكريم أفذاذ العلماء ورجال الفكر وقادة الثقافة من

منظمة يتحلى اسمها بالتربية والعلوم والثقافة، ويسعدني بناء على ذلك اقتراح ما يلي:

- اقتراح أن تقيم الألكسو ندوة علمية احتفاءا بالأستاذ عبد العزيز بنعبد الله يساهم في أعمالها مفكرون من جميع البلاد العربية.

- أن يكتب على جميع أعداد مجلة اللسان العربي عبارة «أسسها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله».

- اقتراح أن تطلق المنظمة على مكتبة خزانة مكتب تنسيق التعريب الكائنة بالرباط اسم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله.

- اقتراح أن تنشىء الألكسو جائزة دورية للتعريب تحمل اسم المحتفى به وتمنح لأفضل الباحثين في قضايا التعريب.

- اقترح أن يصدر مكتب تنسيق التعريب ببليوغرافية لأعمال الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بما في ذلك كتبه ومعاجمه وأبحاثه ومقالاته.

وفي الختام أود أن أشكر جمعية رباط الفتح على مبادرتها المشكورة في الاحتفاء بهذا العلامة الجليل، وبدعوتها الكريمة إلى المشاركة في هذه الندوة الموقرة التي منحتني فرصة الإعراب عما أكنه من شكر وعرفان وما أضمره من محبة واحترام للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لما استفدت من عمله ولما غمرني به من جميل رعايته أيام عملي بمعيته في مكتب تنسيق التعريب لمدة أربع سنوات.

* * *

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله «خادم العربية والإسلام»

محمد بلبشير الحسني(*)

أيها السادة والسيدات،

كم أنا سعيد بالمشاركة في تكريم أحد أعلام مغربنا العزيز البحاثة والعلامة المشارك الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله الذي ملأ الساحة الثقافية طوال عقود متعددة بدراساته وكتاباته ومنشوراته ومعاجمه. إنه الموسوعي المعجمي الفذ، الذي قل نظيره في بلادنا في الوقت الراهن.

عرف الأستاذ بنعبد الله من وقت مبكر بوطنيته وجهاده في سبيل إعلاء لغة القرآن، وإبراز معالم الفكر الإسلامي ومظاهر الحضارة المغربية فقد عقد العزم على التفاني في خدمة العربية والإسلام فوفى، وتصدى للغز والثقافي الأجنبي الهادف إلى طمس المقومات الحضارية الإسلامية بالمغرب فأراد أن يذكر بأصالة هذه الحضارة ويوعي بها، كي تبقى بارزة للعيان، قابلة للذيوع والازدهار من جديد، وإذا تعهدها أهلها، ورضوا بالحياة في كنفها واطمأنوا بها، لأنها تعتمد على الجذور العميقة الراسخة، وتتوفر على الأصول الثابتة لقد اشتهر الأستاذ بنعبد الله كمؤرخ للحضارة ولغوي ومفكر إسلامي، وقد أهله لهذا التعدد في التخصصات تكوينه المزدوج الأدبي والقانوني، ومثابرته على

(*) عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سابقا، ثم أستاذ في شعبة الدراسات الإسلامية حاليا.

البحث والتنقيب، وإتقانه للغتين العربية والفرنسية.

من المعلوم أن اللغة العربية لم تعد بعد نزول القرآن لغة شعر وحكم فحسب، بل أصبحت أيضا لغة الفكر والحضارة لغة العلوم والفلسفة والتصوف والتشريع، فاتسعت قاعدتها لتستقبل ما عند غيرها، مستوعبة، هاضمة، مكيفة مبدعة.

لقد قضى الأستاذ بنعبد الله أكثر من عشرين سنة على رأس مكتب تنسيق التعريب عبأ نفسه خلالها لإنتاج غزير في مجال خدمة اللغة العربية من حيث السهر على توفير المصطلحات العلمية والحضارية والتقنية التي لا مناص من إيجادها لمواكبة الركب العلمي والحضاري العصري فألف وساهم في وضع ملا يقل عن ثلاثين معجما في مجالات علمية وحضارية مختلفة من معجم عن المفسرين والمحدثين بالمغرب الأقصى، إلى معجم تفصيح العامية في الوطن العربي، ومن معجم عن الفنون الجميلة والترفيه إلى معاجم عن المرأة وعن الملابس وعن الزهور وعن الألوان وعن الآلات والأدوات والأجهزة، ومن معجم عن التربية والوسائل السمعية البصرية، ومعجم عن أسماء العلوم والفنون والمذاهب والنظم إلى معاجم عن الحرف والمهن وعن البناء ومعجم عن الفقه المالكي وآخر عن الصوفية إلخ. وكثير من هذه المعاجم تصدر بلغتين أو ثلاث لغات عربية فرنيسة إنجليزية، ولم يكتف الأستاذ بنعبد الله بهذا العمل الخصب الطويل النفس، بل أضاف إليه مجهودا موسوعيا آخر، وهو كتابة معلمات كمعلمة الفقه المالكي، وموسوعة أعلام المغرب العربي، ومعلمات عن الفقه والحديث والقرآن وعن الصيادلة والأطباء، كما اهتم أيضا بموضوع تفصيح العامية المغربية وتصحيح الأخطاء اللغوية. ومعلوم أنه كان يركز في بحوثه ودراساته على المغرب وعلى الغرب الإسلامي عموما وهذا ما يشهد له أيضا بإخلاصه لهذه الأمة التي ينتسب إليها واعتزازه بحضارتها وإبداع أبنائها.

ومما امتاز به أستاذنا الجليل أنه لا يستأثر بغزارته العلمية بل يعمل على إشاعتها وتبليغها عن طريق ما ينشر من بحوث ودراسات وكتب ومعاجم وعن طريق الصحافة والتدريس في كل من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس ودار الحديث الحسنية بجامعة القرويين، بل تعدى صيته المغرب

فكان يلقي محاضرات بمعهد الدراسات العربية بالقاهرة.

والأستاذ بنعبد الله، فوق هذا وذاك عضو في كثير من الموسوعات العربية، بالقاهرة ولبنان ودمشق، وفي جمعيات علمية، ومجامع لغوية كالمجمع العلمي العراقي، ،مجمع اللغج العربية الأردني، والمجمع العلمي الهندي، وعضو المجلس التنفيذي لاتحاد المترجمين الدولي بهذا التفاني في خدمة اللغة العربية كي تعود لها مكانتها بين اللغات الحية الحاملة للإبداعات الفكرية والعلمية والتقنية، حمل الأستاذ بنعبد الله المشعل ورفع رأس المغرب عاليا بين من يسهم في إحلال اللغة العربية المكانة اللائقة بها.

أما في المجال الإسلامي، فإن الأستاذ بنعبد الله العضو في أكاديمية المملكة المغربية لم يأل جهدا في الدفاع عن الإسلام الصحيح وتبليغ رسالته، بكل ما أوتى من قوة مستعملا اللغتين العربية والفرنسية، فنشر عشرات من البحوث والمقالات، وألف كتبا من بينها كتابه «أضواء على الإسلام أو الإسلام في ينابيعه» أو كتابه «الفكر الإسلامي والعالم المعاصر» وكلاهما نشر باللغة الفرنسية وكلف بالإشراف على مجلة القدس التي مازالت تصدر إلى الآن وأنشأ حين كان مسؤولا عن مكتب تنسيق التعريب مكتبة علمية مزودة بكثير من الكتب العربية والإسلامية وضعها رهن إشارة الباحثين والطلاب وإن ضلاعته في علوم الإسلام ويقينه بأنه الحق من عند الله، واقتناعه بضرورة تبليغ رسالة الإسلام السلمية، سارع إلى المشاركة في المؤتمرات الإسلامية المسيحية التي تهدف إلى الحوار بين الديانات السماوية الإبراهيمية للرفع من كلمة الله في وجه الإلحاد والإشراك.

وقد أسعدني الحظ مرة في الاشتراك مع أستاذنا الجليل في ندوة أقيمت بمدينة فاس سنة 1979، وعقدتها جمعية فرنسية تدعى جمعية الكتاب المومنين، وطلب من وزير التربية آنذاك أن يعين شخصيتين مسلمتين من المغرب للمساهمة في هذه الندوة، وكان الموضوع يتعلق بالدين في مواجهة التقدم العلمي والفكري.

وأذكر من بين من شاركوا فيها، الأب لولون المكلف بسكرتارية العلاقات مع الديانات الأخرى والمفكر الفرنسي الكبير الأستاذ رجاء كارودي، عضو

أكاديمية المملكة المغربية، كما سعدت بالمشاركة معه في الندوة التي أقامتها أكاديمية المملكة المغربية حول الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية، أخذا وعطاء في شهر دسمبر من السنة الفارطة، في مدينة مكناس وقد كان عنوان بحثه دور الإسلام في نشر وبلورة العلوم الإنسانية، فكان البحث مساهمة قيمة في دحض الادعاء القائل بأن الإسلام لا صلة له بالعلوم الإنسانية لأن هذه العلوم كما يزعم الاتجاه العلماني، مجردة ولا تعتمد إلا على الموضوعية والمنهجية العلمية.

وجدير بالذكر أن الأستاذ بنعبد الله حضر عددا من المؤتمرات الإسلامية المختلفة التي انعقدت في بعض الدول العربية أو في البلاد الأسيوية أو الإفريقية أو الأوروبية، نذكر من بينها على الخصوص مؤتمرا عن المسجد وآخر عن السيرة النبوية وآخر عن حقوق الإنسان إلخ... كما أنه حاضر عن الإسلام في جامعات أجنبية متعددة.

هذه نبذة موجزة عن هذه الشخصية العلمية الممتازة، التي أدت للغة القرآن وللإسلام خدمات جليلة، تستحق عليها كل تنويه وتقدير، وأن نوفيها حقها اعترافا لها بالجميل قبل أن يوفيها ربها الثواب والأجر العميم.

كما لا يفوتني التنويه بجمعية رباط الفتح وغيرها من الجمعيات والمؤسسات الجامعية التي سارت على هذه السنة الطيبة سنة التكريم والتقدير لمن أدى رسالته العلمية والثقافية لأمتنا المغربية والإسلامية بكل ما أوتي من قوة وعزم، وفاء لهم وتشجيعا لغيرهم على الاقتداء بهم والسير على نهجهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

* * *

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
عطاء متنوع

عبد الغفور الناصر(*)

سيادة الرئيس، حضرات السادة والسيدات، السلام عليكم ورحمة الله،

تلقيت دعوة كريمة من جمعية رباط الفتح للمشاركة في المهرجان التكريمي للأستاذ الجليل السيد عبد العزيز بنعبد الله، تقديرا منها للدور القيادي الذي اكتسى عمله الثقافي، والذي استطاع به أن يلج ويطرق مجالات متعددة من أنواع المعرفة، خدمة للثقافة بمعناها الواسع، بحكم تكوينه الشمولي واستعداده الفطري وتجربته الرائدة على طول حياته المليئة بالأعمال الجليلة والأنشطة المتنوعة.

وإني إذ أشكر هذه الجمعية على هذه الدعوة الكريمة لما تتيحه لي من أداء حق وواجب نحو رائد كبير ومفكر ملتزم بالثوابت لهذا البلد العزيز التي تتمثل في عقيدته التي ضمنت له وحدة الصف وجمع الكلمة، ولغته التي استطاع بها أن يحافظ على هويته كأمة عربية في هذا الجناح الغربي من الإسلام تربطها مع باقي الدول العربية لغة التخاطب وحتمية المصير، ونظامه الذي به عرف هذا البلد استقرارا واستمرارية علي مدى تاريخه الحافل بالبطولات والملامح، أقول: إني إذ أشكر هذه الجمعية أنوه في نفس الوقت بها

(*) محافظ الخزانة العامة بتطوان، وأستاذ العلوم الإسلامية بكلية أصول الدين بتطوان.

وأكبر أعمالها ونشاطها في الميدان الثقافي والاجتماعي، وباقي الميادين الأخرى فهي لا تترك فرصة إلا وكانت حاضرة حضورا متميزا يضفي على وجودها وأعمالها طابع الجدية والفعالية والنفع العام الشامل الذي يرتجى من أمثالها من باقي الجمعيات النشيطة المتحركة علي كثير من الواجهات الأمر الذي ينبغي الإفصاح عنه، أن هذه الجمعية ومثيلاتها ممن أثبتوا وجودهم على الساحة الثقافية والاجتماعية ملأت فراغا كان يشعر به كل غيور على هذا البلد الذي حباه الله من المميزات والخصال والمحامد والانفتاح، مما يتطلب المزيد من اغتنام المناسبات وعقد الندوات وإقامة المهرجانات، مسايرة للركب الحضاري، وطرق كل باب من أبواب المعرفة، وإن ما تقوم به هذه الجمعية لهو من العمل المبرور والسعي المشكور خدمة لهذا البلد العزيز ولثوابته واستمرارياته. سدد الله خطاها ووفر جمعها وحيا الله مكتبها.

ولنرجع إلى موضوعنا وهو تكريم أستاذنا الجليل. بعدما استلمت الدعوة الكريمة، تأملت مليا شخصيته، واستعرضت مراحل حياته وتنوع إنتاجه فإذا بي أمام معطيات متعددة الجوانب، متكاملة فيما بينها، متناسقة في استيعابها وإدراكها، الشيء الذي يضعك أمام مثقف. والثقافة ماهي إلا استيعاب وتحصيل وملكات، يصبح بها المرء واعيا لما حوله، مدركا لما يمكن أن يقابله في مسيرته الثقافية.

وبالرغم مما أعرفه عن أستاذنا الكريم بحكم اتصالي به وسابق معرفتي التي تقترب من أربعين سنة، هذه الصلة التي تعددت أسبابها وتنوعت ارتباطاتها انطلاقا من كونه تطور في الأصل والمحتد، وتطوان لا تنسي أبناءها الأوفياء وإن نأوا عنها وبعدوا، مادام لهم سبب أو نسب بها. وتشاء الأقدار، أن يعاد هذا الاتصال بين هذه العائلة النبيلة وبين تطوان، وهذه المرة عن طريق المصاهرة بين هذه العائلة وعائلة آل المرابط صاحبة الفضل والدين والمروءة واليقين التي تجمع عائلتي بها أواصر المصاهرة من قديم، وبحكم هذه المصاهرة، كنت أشاهد الأستاذ الكريم يتردد على تطوان من حين لآخر. كما كنت أشاهده يتردد على الزاوية التيجانية، وتمكنت أواصر الروابط بيني وبينه يوم أصبح صديقا حميما وخلا وفيا لصهري وأستاذي العلامة المرحوم السيد

عبد السلام بلقات، مقدم الزاوية التيجانية بتطوان.

بعد ذلك تواصلت معرفتي بالأستاذ بحكم التحاقي بالتعليم الأصيل أولا، حيث كان مديرا للتعليم العالي والبحث العلمي، ومواكبتي لأعماله ونشاطاته وحضوره المتميز في كل منتدى أو لقاء.

من بين هذه اللقاءات التي شاركت فيها إلى جانبه، لقاء المناظرة الوطنية للتعليم بغابة المعمورة سنة 1964.

وإن الدور الذي اضطلع به في هذه المناظرة، مما يحفظ له بمداد الفخر والاعتزاز.

ومن المعلوم أن هذه المناظرة افتتح أعمالها رائد الأمة، والمحافظ على مقدساتها صاحب الجلالة الحسن الثاني حفظه الله وأعز أمره، بخطابه السامي، الذي ذكر بدور هذا البلد في نشر العقيدة الإسلامية شمالا إلى جنوب فرنسا، وجنوبا إلى وسط إفريقيا، مؤكدا أعزه الله على رسالة المغرب التاريخية نحو إفريقيا، داعيا أبقاه الله لكل مكرمة إلى العمل على استمرار تحمل هذا الإرث التاريخي والحضاري، بكل وعي وإدراك لمعطيات العصر، وإنتاج من شأنه أن يجعل هذا البلد حاضرا ومدركا لما حوله وهذا ما ألهب حماس المتدخلين في جلسات اللجن والجلسات العامة.

كما كنت حاضرا بجانبه في الأيام الوطنية للتعليم المنعقدة بإفران، واللجنة الوطنية المنبثقة عنها.

كما تشرفت بالأخذ عنه والدراسة عليه بدار الحديث الحسنية التي هي من أيادي سيدنا المنصور بالله، أدام الله عزها وبسطها.

وعليه، فالأستاذ الكريم بالنسبة إلي أستاذ ورفيق، يجمعني وإياه مشرب روحي سني سلفي، خال من كل مبالغة أو غلو، طارحا كل ما علق بهذا المشرب الأصيل من شطحات وإدعاءات لا تثبت أمام محك الشرع، متمثلا بقول العلامة المربي سيدي محمد الحراق.

ومكن بكف الشرع أمرك كله فدونك إن لم تفعل الباب سدت

هذا البيت الذي لم يتمالك العلامة السلفي سيدي محمد بن المدني كنون حين سمعه أن قال: لو أدركت قائل هذا البيت لأخذت عنه.

فبالرغم من هذا الاتصال وهذا الارتباط المتواصل ولله الحمد بالأستاذ، لم أرد أن تكون كلمتي هذه عبارة عن عواطف وذكريات دون أن أثبت هنا نماذج من إنتاجه الذي خلد به عمله ونضاله.

وإني أعتقد أن أفضل ما يكرم به المرء هو التذكير بهذه الأعمال الجليلة، لهذا قمت بجرد عام شامل لإنتاجه الغزير ولعطائه المتدفق، ولمشاركته وحضوره في كل مجال من مجال المعرفة، وإعداد ببليوغرافيا خاصة بالأستاذ المكرم من بين ما تشتمل عليه المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان، ويمكن لي أن أقول لا أن أدعي، أن ماهو موجود بهذه المكتبة فيما يرجع لإنتاج الأستاذ وغيره من الأساتذة والمفكرين والباحثين الذين لهم حضور متميز على الساحة الفكرية والثقافية في هذا البلد، لا يمكن أن تجده في أية مكتبة عامة أو خاصة في مجموع المغرب هكذا مبوبا مرتبا، ذلك أننا في هذه المكتبة نهجنا من بين أعمالنا على أن نسير في هذا الاتجاه الذي نرى فيه خدمة للثقافة، وتيسيرا للباحثين، وبرورا بعمل السادة المثقفين.

أضف إلى ذلك ما تزخر به هذه المكتبة من تراث إنساني متنوع، قد تنفرد ببعضه من بين باقي المكتبات والمؤسسات الثقافية.

وضعت بين يدي إنتاج الأستاذ، فإذا به إنتاج متنوع، وعطاء واسع، بدءا بالتاريخ واللغة والأدب والفن والعلوم والقضاء والحديث، منتهيا إلى مساهمته البارزة في التصوف، الذي أصبح له خلقا، وبه متميزا، ولأوراده ووظائفه ملتزما، لهذا أحببت أن أثبت هنا فيما أثبته من نماذج ما كتبه في هذا الباب، وهو عبارة عن دراسة وافية صدرها بعنوان «الفكر الصوفي والإنتحالية بالمغرب».

سبق أن قلت: إن إنتاج أستاذنا المكرم غزير، ومشاركته واسعة، وقد استطعت بعد البحث والاستقراء أن أحدد أبواب المعرفة التي تناولها على اختلاف علومها وفنونها في ستة عشر بابا، وهذا مقصور على ما نشر في المجلات والصحف، أما مؤلفاته ودورياته ونشراته وبالأخص فيما يتعلق بمنشورات مكتب التنسيق والتعريب، فهي وحدها تكون موسوعة علمية ومرجعا ثقافيا لكل باحث، ويمكن الاطلاع عليها بسهولة.

لقد اخترت ثلاثة نماذج من دراسته وأبحاثه، لأهميتها وتاريخها.

1- دراسة حول اللغة العربية وتاريخها ودورها الحضاري. يرجع تاريخها إلى يوليوز سنة 1957. ونشرت بصحيفة العلم عدد 2596 ص 2.

2- دراسة في ثلاث حلقات حول وحدة المغرب العربي، يرجع تاريخها إلى يونيه سنة 1957 نشرت بصحيفة العلم عدد 2569-2570-2573.

3- دراسة حول التصوف في ثلاث حلقات يرجع تاريخها إلى غشت سنة 1962، ونشرت بمجلة البينة عدد: 4-6-7.

وفي الأخير أثبت ببليوغرافيا لإنتاجه الموجود بقسم الصحافة بهذه الخزانة.

وقبل أن أختم عرضي هذا، أقرأ على حضراتكم بعض ما ورد في هذه الدراسات.

1- فيما يتعلق بدراسته حول اللغة العربية، يقول حفظه الله: كانت العربية لغة أدب وشعر منذ أعرق العصور الجاهلية، ولكن سرعة انتشارها يرجع في نظر م. فتنجو مؤلف «المعجزة العربية» إلى الثمار المادية والروحية التي جنتها من الإسلام أكثر منها إلى القرار الذي اتخذه الأمويون بجعل العربية إجبارية في الوثائق الرسمية.

وخلال القرن الثاني الهجري بدأ ظهور مراكز الثقافة اليونانية في الشرق الأدنى، وتمخض هذا الانحلال عن أكبر فوضى في اللغات والأديان، فقد بدأت شعوب عريقة في الحضارة كالمصريين والهنود تتحلل من تراثها الخاص لتعتنق على إثر احتكاكها بالغرب معتقداتهم وأعرافهم وعوائدهم.

إن اللغة العربية التي بلغت مبلغا كبيرا من المرونة والثروة في العهد الجاهلي، أدركت في القرن الرابع الهجري أي في عنفوان العصر العباسي أوج كمالها، وقد وصف (زكي مبارك) روعة النثر الفني العربي في هذا القرن، ووصف فيكتور بيرار اللغة العربية في ذلك العصر بأنها أغنى وأبسط وأقوى وأرق وأمتن وأكثر اللهجات الإنسانية مرونة وروعة. فهي كنز يزخر بالمفاتن، ويفيض بسحر الخيال وعجيب المجاز. رقيق الحاشية، مهذب الجوانب، رائع التصوير، وأعجب مافي الأمر وهو شيء لا نظير له عند الشعوب الأخرى، أن

البدو كانوا هم سدنة هذه الذخائر، وجها بذة النثر العربي جبلة وطبعا، ومنهم استمد كل الشعراء تراثهم اللغوي وعبقريتهم في القريض.

إن نفوذ اللغة العربية أصبح بعيد المدى، حتى إن جانبا من أوروبا الجنوبية أيقن بأن العربية هي الأداة الوحيدة لنقل العلوم والآداب كما يقول «جورج ريفوار» الذي أوضح أن رجال الكنيسة اضطروا إلى تعريب مجاميعهم القانونية لتسهيل قراءتها في الكنائس الإسبانية وأن «جان سيفيل» وجد نفسه مضطرا إلى أن يحرر بالعربية محاضر الكتب المقدسة ليفهمها الناس.

ثم يقول: ومعلوم أن الجامعات الأوروبية كانت عاملا مهما في ذيوع اللغة العربية التي أصبحت في العصور الوسطى لغة الفلسفة والطب ومختلف العلوم والفنون، بل أصبحت لغة دولية للحضارة.

ففي عام 1207م. لوحظ وجود معهد في جنوة لتعليم اللغة العربية ثم نظم المجمع المسيحي العالمي بعد ذلك تعليمها في أوروبا، وذلك بإحداث كراسي في كبريات الجامعات العربية، وفي القرن السابع عشر اهتمت أوروبا الشمالية الشرقية اهتماما خاصا بتدريس اللغة العربية ونشرها، ففي سنة 1636 قررت حكومة السويد تعليم العربية في بلادها ومنذ ذلك انصرفت السويد إلى طبع ونشر المصنفات الإسلامية، وبدأت روسيا تعتني بالدراسات الشرقية والعربية على الخصوص في عهد (البطرس الأكبر) الذي أوفد إلى الشرق خمسة من الطلبة الروسيين، وفي عام 1769 قررت الملكة (كاترينا) إجبارية اللغة العربية، وفي 1816 أحدث قسم اللغات السامية في جامعة بتروكراد.

وقد دعا «فولنيس» في كتابه: «تاريخ اللغات السامية» المشارقة المتكلمين بلغة الضاد إلى درس فقه اللغات السامية للاقتناع بعظمة أجدادهم بالدور الذي قاموا به في حضارة العالم القديم. ثم أكد أن المستشرقين الذين نددوا بالعروبة وبالإشعاع العربي لم يهدفوا إلا لغايات دينية واستعمارية.

وقد عبر الأستاذ «ماسينيون» عن نفس الفكرة قائلا: إن المنهاج العلمي قد انطلق أول ما انطلق باللغة العربية، ومن خلال العربية في الحضارة الأوروبية استطاع أن يضفي سربال الفتوة علي التفكير الغربي، كما انعشت «ألف ليلة وليلة» في القرن السابع عشر الميلادي ذهنية أوروبا التي اتخمتها أساطير

الإغريق والرومان، ثم يواصل ما سينيون وصفه الرائع قائلا: وإن اللغة العربية أداة خالصة لنقل بدائع الفكر في الميدان الدولي، وأن استمرار حياة اللغة العربية دوليا لهو العنصر الجوهري للسلام بين الأمم في المستقبل». أما الدراسة الخاصة بوحدة المغرب العربي، فهي دراسة وافية جامعة تعرض فيها الأستاذ الكريم لتاريخ هذه المنطقة، وأصول سكانها والظواهر الجغرافية والاقتصادية والاجتماعية التي تحتم وحدتها كقوة فاعلة في شمال إفريقيا، وإن أهمية هذه الدراسة تكمن في التاريخ الذي أنجزت فيه ونشرت، وهو سنة 1957. ولا تخفى أهمية هذه الحقبة بالنسبة لتاريخ هذه المنطقة.

وقد ختم هذه الدراسة بقوله: وخلاصة القول: إن إفريقيا الشمالية واحدة في جميع مظاهر حياتها الماضية والحاضرة، يقول الكولونيل «برطس» في كتيبه عن إفريقيا الشمالية (ص. 55) فهي «كتلة متراصة لا يمكن تجزئتها للحياة في المغرب الإسلامي «الوحدة بين أجزاء جزيرة هائلة عاش سكناها منطوين حول أنفسهم آلاف السنين، في حين هيأت لهم الوضعية الجغرافية الخاصة أسباب التواصل فتيسرت في جميع العصور عوامل التبادل من أقصى المغرب إلى أقصاه بين عناصر، تجمعها أرومة واحدة، سلسلة من المسالك السهلة تمتد من تونس عبر ممر تيسة إلى هضاب وهران، ومن ممر تازة إلى المحيط الأطلسي، هذه الطريق التي عبرها عقبة بن نافع منذ أزيد من ألف عام لتوطيد قدم العروبة والإسلام، وهي التي وصفها «ويليام مارسي» بأنها الخط الأكبر. وهذه الطريق تتخلل الأطالس الثلاثة لتضفي على المغرب العربي وحدة جغرافية خاصة تجعل هذا الجزء من القارة الإفريقية فريدا في بابه لاسيما إذا أضفنا إلى ذلك وحدة الطقس التي تنشر على الكل سربالها الدافئ المشع بنوره الأزرق اللماع. والمغرب العربي يعتبر من الوجهة الاقتصادية قطرا فتيا فلاحيا في جوهره، ينطوي على قابلية ذاتية للتصنيع، نظرا لوفرة المواد الخاصة واليد العاملة، ولا تزيد التطورات الحديثة هذه المغارب الثلاثة إلا تقاربا أبلغ وأمتن.

وهذه الوحدة الخاصة التي تجعل من المغرب العربي وصحرائه كتلة من جميع الوجوه، لا تتنافى مع الوحدة العامة التي تربط المغرب بالعالم العربي والتي تتجلى مظاهرها في وحدة اللغة والحضارة والدين والعواطف، وكذلك

التاريخ، فالقطر الليبي هو امتداد طبيعي للمغرب العربي نحو الكنانة وباقي أقطار الشرق، تجمعه بالمغرب جغرافيا واقتصاديا، لأن الأطالس تمتد إلى تونس فقط، ولأن الصحراء تمتد في ليبيا إلى الشواطئ نفسها.

ولا يختلف وضع مصر عن وضع ليبيا بالنسبة للمغرب إلا قليلا، إذا اعتبرنا أن الأقباط ينتمون إلى نفس الفصيلة اللغوية التي ينتمي إليها البربر، وأن مصر كانت دائما معبرا بين الشرق والمغرب العربيين وصلة وصل حية بينهما.

فعن طريق مصر دخل إلى المغرب الفاتح العربي، ثم تدفقت بعد خمسة قرون موجة العرب الهلاليين والسلميين الذين تواردوا على الصعيد المصري من جزيرة العرب التي تصلها بالمغرب زيادة على هذه النفثة الجنسية التي كان لها أعمق الأثر في التاريخ أسباب أخرى لا تقل عن الأسباب التي ترتبطها بباقي العالم العربي.

وبلد الشام التي كانت مهد الخلافة الإسلامية في العصر الأموي والتي كانت حدودها السياسية والجغرافية والحضارية تتغلغل بين دجلة والفرات والأردن إلى صحراء فلسطين، كانت أيضا مهد الفنيقيين الذين نشروا في جناحي العروبة الشرقي والمغربي نفس الحضارة فيها من أبسط المظاهر حتى الاقتصادية منها حيث إن الفينيقيين هم الذين حملوا من الشام إلى المغرب للمرة الأولى الزيتون والتين والكرم والرمان (الكولونيل بوطس ص 28).

ومن هذا العرض الموجز، تتجلى لنا في أعمق مظاهرها وأبهى مجاليها تلك الوحدة العريقة التي تجعل من المغرب العربي مجموعة متراصة ينتظر أن تقوم بدور هام في حوض البحر المتوسط خصوصا والعالم الحر عموما مع شقيقاتها العربيات.

3- أما الدراسة الثالثة التي انتقيتها من بين أبحاثه ودراساته، فهي تتعلق بالتصوف، وقد نشرها تحت عنوان: «الفكر الصوفي والانتحالية بالمغرب».

والأستاذ الجليل كما هو معلوم ووالده العلامة المرحوم سيدي عبد الواحد ينتسبان إلى منزع صوفي معين، ونسبة صادقة خالصة في الطريقة التيجانية. وهذه الطريقة كتب عنها الكثير ما بين منتقد ومتفان، وكنت شاركت في ندوة

التصوف التي نظمتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمدينة فاس ببحث عن الطريقة التيجانية وحاولت في هذا البحث أن أخفف من حدة المنتقدين بما أثبته من أصول هذه الطريقة ومن بعض الرسائل التي كتبها الشيخ سيدي أحمد رحمه الله بنفسه، والتي تتضمن وصاياه، وتوجيهاته فيما يمكن أن يقف المريد من بعض الشطحات المنسوبة إلى بعض الشيوخ، وهذه الرسائل اعتبرها مهمة جدا لحل بعض الألغاز ولرد بعض الشبهات التي تكون عادة أساسا للنقد والإعراض عن هؤلاء الشيوخ، كما أثبت كلاما مفيدا للعلامة المرحوم ابن خلدون في مقدمته حيث تكلم على الوارد والكشف والشطحات. وانتهيت في الأخير إلى أن هذه الشطحات والرؤى والكشوفات - عملا بتوصية بعض الشيوخ ومنهم الشيخ سيدي أحمد - لا ينبغي الاحتفال بها ولا ذكرها أو ترادها، ولا يبقى بعد طرح هذا وذاك، إلا الأوراد المعلومة والوظائف المطبوعة من المريد، وهذه في مجموعها عبارة عن استغفار وتسبيح وتحميد وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا شيء له أصوله وقواعده في الناحية الشرعية ولا مجال لإنكاره، لأن الله سبحانه وتعالى يقول: «وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى»[1] ثم إن التصوف في أصله ينتهي إلى مقام الإحسان، والإحسان كما هو معلوم أحد أركان الدين التي هي الإسلام والإيمان والإحسان، ومقام الإحسان هو مقام المراقبة، مراقبة الله وخشيته في كل وقت وحين، ودليله من القرآن قوله تعالى: «والذين يوتون ما أتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون»[2] وقد فسره النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

فإذن التصوف له أصوله وقواعده وقد أوردت مستدلا على مذهب الصوفية كلاما للعلامة السلفي الإمام أحمد بن تيمية حيث قال: والحق أن القوم مجتهدون كغيرهم يقصد الفقهاء والمحدثين فمنهم المصيب، ومنهم المخطيء الذي له أجر الاجتهاد... إلخ كلامه رحمه الله والبحث منشور في العدد الأول من مجلة القرويين، وقد كان لهذا البحث المتواضع نظرا لجديته وتجرده صدى طيب، وحقق ولله الحمد فائدة كانت مرجوة منه، إذ حدثني الأستاذ الجليل،

والداعية الكبير الأخ إبراهيم جوب، أنه قام بنشره وتوزيعه على الزوايا.

ولنرجع إلى الدراسة الوافية التي خص بها أستاذنا الجليل هذا الميدان، فإنها والحق يقال دراسة معمقة تناول فيها نشأة التصوف وتطوره وموقف العلماء منه، وتطور الطرقية وموقف الملوك منها وقد وضعت هذا البحث بين يدي حضراتكم.

حضرات السادة والسيدات.

إن الكلام على إنتاج أستاذنا يستلزم منا وقتا أوسع ولقاء متكررا وندوات متخصصة.

أجدد شكري على هذه الدعوة الكريمة التي أتاحت لي المشاركة في هذا المهرجان التكريمي لأستاذي الجليل والسلام عليكم ورحمة الله.

---

(1) سورة طه، رقم 128

(2) سورة المؤمنون، رقم 61-62.

الأركان الثلاثية للتفكير
عند الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

أحمد الفاسي الفهري(*)

من الصعوبة بمكان، تحديد ملامح شخصية تتسم بالشمولية والموسوعية، إضافة إلى أبعادها الإنسانية على صعيد علاقاتها الخاصة، التي يطبعها حس معرفي حاد يهتم بالتفاصيل والجزئيات، أو على صعيد مميزاتها الخلقية والوطنية، ووفائها الصوفي الذي كاد يبلغ مرتبة المرض لمعالم حضارتنا الإسلامية، العربية المغربية، التي رغم لمعانها التاريخي، كادت تتحول إلى مجاهيل ميئوس من معرفتها لو لا أن قيض الله لها عددا من العلماء الأفذاذ، من أمثال سيدي الفاضل الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أطال الله عمره، وأمده بعونه.

أجد نفسي في حيرة من أمري، وهي حيرة يصاب بها كل باحث يتصدى لمقاربة الجوانب اللامعة من حياة هذه الشخصية الوطنية الإنسانية، التي طبقت شهرتها الآفاق، واعترف بعلمها وفضلها القاصي والداني، وسجل لها التاريخ الوطني من المكرمات والأفضال ما يعجز الإنسان عن الإحاطة به في جلسة كهذه. وقديما قيل «ما لا يدرك كله لا يترك بعضه». لهذا سلكت، من أجل بلورة مشاعري نحو الرجل الواسع الاهتمامات، منهجا يقربني من جهوده، ولا يُخل

(*) مدير المركز الوطني للتوثيق.

بمميزاته، وأنا في نفس الوقت متأكد أن غيري لن يخرج عن هذا النطاق، محاولين جميعا أن نقترب من هذه المنارة التي أضاءت الجوانب المظلمة من مجالات معرفية، مؤدية بذلك فضلا لا ينسى لهذه الأمة.

ومع ذلك. فإنني – سواء كنت مخطأ أو مصيبا فيما أراه – أجد شمولية أستاذي وموسوعيته بسيطة وأكاد أقول محددة. فكل النقط والأبعاد، مهما كانت تبدو لديه غريبة عن بعضها البعض، ومهما ألح المتمعنون فيها على إرجاعها إلى علوم متفرقة متباعدة، هذه الأبعاد، أو المساهمات الفكرية أراها من وجهة نظري نابعة من ثالوث واضح، يسهل وضع عالم أستاذنا بين أضلاعه، وتأويل مساهماته من داخل هذا الثالوث. ولا ينقص هذا التحديد شيئا من قيمة الرجل، بل ربما كان العكس هو الصحيح، فهو من قبيل السهل الممتنع، الذي يهبه الله لفئة من العلماء دون غيرهم.

ينحصر هذا الثالوث في: اللغة ثم الوحدة ثم الحضارة. لا ندري لأيها السبق والصدارة، وأيها الغاية. وأغلب الظن أننا ندور في حلقة مترابطة نكاد نبقى رهائن في إطارها المثلث لا نبرحه ولا نراوحه، مهما كان الموضوع الذي يعالجه الأستاذ، وكيفما كانت المصداقية العلمية للمنهج الذي يسلكه في هذه المعالجة. وعلى طول مساهماته الفكرية، التي مرر عبرها معارف شاملة، تاريخية، فلسفية، اجتماعية، فقهية، أدبية، إنسانية، وفي كل المرافق والبلدان التي زارها الأستاذ الجليل، وحاضر فيها أو اشتغل بها، لم يبتعد عن هذا الثالوث فكأنه ظل حبيس إيمانه باللغة ومجالاتها المتعددة، والوحدة العربية كتاريخ أو كهدف دون ابتعاد عن دائرة اهتماماته اللغوية، وأخيرا يأتي السجن الثالث وهو حرصه على الارتباط بالمجال الحضاري، الذي نلاحظ أحيانا أنه لا يفرق فيه بين الانتساب إلى الأمة الإسلامية، أو العربية، أو المغرب.

وحتى حينما يتذكر الإنسانية، فهو يسارع بقلبه الواسع، بنفس فكري وحدس لغوي دقيق، إلى التأكيد على الوحدة الإنسانية بين كل الأمم، وهي وحدة عريقة، فأما دليله الوحيد دائما فهو الأصل الموحد لكل اللغات، وقد يركب المناهج المقارنة الصعبة للتدليل على هذه الوحدة اللغوية، فتنمحي أمام ناظريه كل معالم الفرقة، وتختفي الحروب والخلافات. كما تختفي أوجه المخالفة

الطبيعية، ولا يتركز ويتضخم عنده إلا الأدلة اللغوية التي يبنيها على اجتهادات لغوية، وملاحظات حول مخارج الحروف أو كتابتها، أو رموزها في هذه اللغة أو تلك، وسيان في ذلك بين الصين والهند والسويد والأمازيغ، وبين القديم أو الجديد. يغفر له هذا الاندفاع المحبوب، رغبته الإنسانية في تجاوز الواقع الراهن للبشرية المعذبة بصراعاتها السياسية والمادية، وابتعادها المتزايد عن عالم روحي كانت القيم الدينية واللغوية والحضارية فيه تجعل الدنيا موحدة في العمق، وأن اختلفت في الظاهر. (مقالة الوحدة الأصلية بين اللغات مظهر لوحدة إنسانية عريقة. اللسان العربي المجلد السابع (1970 ص 5).

على أننا يجب أن نعترف، بأن الأستاذ لا يعتبر لدى الباحثين من المنظرين المحترفين للوحدة العربية. ومع ذلك نراه مهتما بها، ساعيا إليها كلما سمحت الفرصة، مذكرا بأمجاد الأمة حين أتيح لها حظ من التوحيد. مستخلصا العبر والدروس من أوضاع الحاضر، الذي لم يتحمس مطلقا لانتقاده أو ذكره بسوء فيما عرفناه من كتاباته المتعددة. والسهل الممتنع، أو الغريب المستحب هو هذا الربط بين الوحدة وبين ضلعي الثالوث المذكور، فهو ينتقل بقارئه أو سامعه من موضوع ضمني هو الوحدة، أساس القوة العربية في مرحلة سابقة إلى اللغة كسبب وكنتيجة في آن واحد، إلى نشر معالم الحضارة فيما وراء البحار (اللغة العربية وآثارها وراء المحيط الأطلنطكي (اللسان العربي المجلد 17 الجزء الأول (1979 ص 5).

وحكى لي أحد طلبته، القدماء عن سعة خاطره، ورحابة صدره في كل شيء ماعدا ما يؤدي إلى الكفر. فهو يقبل المعارضة والنقد حتى من طلبته، لكنه ينغلق على نفسه إذا تعلق الأمر بالإسلام. فقد حدث ذات مرة وهو يلقي درسا في الحضارة العربية أن بدأ يتحدث عن إيران والصين، فأوقفه أحد طلبته سائلا عن العلاقة بين الموضوعين. فسلك الأستاذ طريقا متعسفا للربط بينهما لم يقنع الطالب، فلما أعيته لجاجة الطالب، غادر صبره إلى الحجة الإسلامية وبين أنه لا تنازل وأن الأولى أن يطلق على الدرس تاريخ الحضارة الإسلامية.

وكثيرا ما كان هذا الدرس يفضي به إلى جزء من معالم هذه الحضارة التي يمتزج فيها الدين والعروبة والوطنية المغربية، فتراه متحدثا عن النقوش

والمعمار، مذكرا بالأرقام الغبارية ودورها في استحداث هذا العلم أو ذلك، وعن الجبر والهندسة، ثم سرعان ما يعود إلى اللغة ودورها، أو إلى الترجمة وفوائدها في نشر المعارف بين شعوب الإسلام قاطبة، ونقل اجتهادات مختلف الأطراف إلى الإنسانية جمعاء.

تحس أن بحثه في اللغة، واهتماماته بالمعاجم قديمها وحديثها، وبالقواميس المزدوجة أو الثلاثية أو الوحيدة اللغة، هو بحث في جوهر التاريخ والحضارة، فجميع مقالاته تعبر عن حياة اللغة من خلال الحضارة التي تعكس مستوى تاريخيا للأمة وأنه إجلاء لكنوز هذه الحضارة، وتجليات العبقرية التي يمتزج فيها الدين باللغة بالوحدة لتوليد التفاعلات والنتائج، أي لتوليد الحضارة.

لكنه لم ينغلق في حدود الماضي، وكل اهتماماته بالتعريب والترجمة، رغم إسناداتها ومراجعها وارتباطاتها التاريخية، فهي تتوجه إلى المستقبل عبر مساهماته في مجال المصطلحات توليدها، وتوحيدها. لا يمكن أن يفهم من تركيزه على كل ما يتعلق بالمصطلحات المختلفة، واجتهاداته في نطاقها إلا

محاولة استقبالية لاستشراف آفاق الأمة، وسعيا منه لإسقاط الماضي على المستقبل، الذي يراه مشرقا من خلال إحياء اللغة، وفتح المجالات المسدودة أمامها. ليرتاد العلم والحضارة واللغة العربية. من خلال هذا التجديد، آفاقها القديمة، وتعود الأمة كما كانت.

وهو يتسلح من أجل هذه الغايات النبيلة، ليس بالإيمان الروحي فقط ولا بإيمانه بقيم حضارية واجتماعية وخلقية أصيلة فقط، ولا بإحلال اللغة بصفتها رمز ذلك كله منزلة فوق مراتب العلوم الأخرى، وإنما يضيف إلى هذا كله قدرة تكاد تكون صوفية على استدماج ماهو مغربي. فالبعد الحضاري الخاص بالمغرب حاضر في معظم مساهماته، وهو صارخ بحضوره عبر سلوك الرجل وتشبثه ودفاعه في المجامع الأكاديمية، وفي المنظمات، والمحافل الدولية عن كل ماهو عربي مغربي، وكثيرا ما نجده متحمسا للتأثير المغربي أو للمشاركة المغربية، سواء تعلق الأمر باللغة، أو الحضارة، أو الأداب والفقه، والاجتهادات العلمية بصورة عامة.

هذه في نظري، معادلة منهجية للإحاطة بجهود أستاذنا الجليل، فيغفر لي إن كنت تعسفت في بعض جوانبها لحصر مساهماته العديدة، وإن كنت أصبت فيها فإني أرجو أن يقبلها مني، عربونا على شهادتي له بإنسانيته وعروبته ووطنيته وعلمه.

* * *

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
صاحب الرسالة العلمية

الدكتور عبد الحق المريني(*)

عرفت أستاذنا المكرم عبد العزيز بنعبد الله وأنا مازلت في طور الصبا من بعيد، رغم أنني تربطني وإياه علاقة دموية من جهة جدتي لأبي خناثة العبدلاوية رحمها الله، تم تعززت هذه الصلة الأسروية بزواج ابن عمي بإحدى كريماته. وكنت أصادفه غير ما مرة في طريقه إلى سيدي العربي بن السائح لآداء فرض من فرائض الصلاة أو لقراءة «الوظيفة» إذ أعرف عنه أنه انخرط في سلك الطريقة التيجانية منذ يفاعته. وكان أستاذنا من عادته مسرعا في خطواته ولا يلتفت لا يمينا ولا شمالا.

وكنت أتابع وأنا في طور الدراسة الثانوية بعض بحوثه عن الحضارة المغربية ومظاهرها التي كان ينشرها بمجلة «رسالة المغرب» الصادرة في الخمسينات. ،كان غالبا ما تتصدر صورته الفوتوغرافية بالبذلة الأوروبية أبحاثه ومقالاته.

وقد وقع اتصالي المباشر به لما كنت أحضر دروسه في الحضارة المغربية بكلية الآداب في الرباط، وأنا طالب بها في أوائل الستينات، وكذلك لما كنت أتلقى عنه دروسا في تاريخ المغرب أنا وزميل ثاني لا ثالث لنا، عند تهييئنا معا لشهادة إضافية كانت تدعى آنذاك شهادة تاريخ المغرب.

(*) أستاذ باحث عضو بالتشريفات الملكية والأوسمة.

يرجع الفضل للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أحد مربي أجيال الاستقلال في إلقاء كثير من الأضواء على مناحي مهمة من أوجه حضارتنا انكب على استخلاصها من كتب التاريخ ومن مراجع متباينة بين مطبوع ومخطوط. فكان له قصب السبق في هذا الإنجاز التاريخي الهام الذي كشف من مكونات حضارتنا المغربية ومختلف تياراتها وأوجهها المتعددة، وعرف شباب المغرب وناشئته في عهد الاستقلال بأصناف هذه الحضارة التي امتد تيارها خارج المغرب من عملة مغربية، وتقاليد ديبلوماسية، وهندسة معمارية، وبطولة عسكرية، وحياة اجتماعية، ونهضة اقتصادية، وفنون جميلة، وحركات فكرية، وعادات مغربية أصيلة، وصناعات تقليدية وحديثة وعلوم إنسانية كعلم الطب الذي خصص له مؤلفا أصدره بعنوان: «الطب والأطباء بالمغرب» رسم فيه صورة مكبرة عن النشاط الطبي المغربي في مختلف مراحل التاريخ الإسلامي بالمغرب. وعلى غرار كتابه عن تاريخ الطب المغربي ألف كتاب «السفارة والسفراء بالمغرب عبر التاريخ» و«الجيش المغربي عبر العصور» نشرهما المعهد الوطني للدراسات القضائية ضمن سلسلة الدراسات الدبلوماسية، وقد جمع المؤلف في مؤلفه عن الجيش جميع بحوثه وعروضه التي كتبها عن الجيش المغربي، مضيفا إليها معجما عسكريا لجميع الوقائع والمعارك والقلاع والأبراج والحصون والمخازن وأنواع الأسلحة والتجهيزات العسكرية التي عرفها الجيش المغربي منذ نشأة الدولة الإدريسية حتى العهد الإسماعيلي.

وقد مكن اهتمام أستاذنا بتاريخ الحضارة المغربية حسب ما صرح به في استجواباته الصحفية من إنجاز موسوعات مغربية للأعلام الحضرية والبشرية ومعلمات متعددة كمعلمة المدن والقبائل في المغرب، ومعلمة الفقه المالكي، ومعلمة العلوم، ومعلمة الأدوات المنزلية، ومعلمة أدوات الهندسة المعمارية، ومعلمة المغرب الكبير، ومعلمة اللهجات المغربية ومعلمة الصحراء. وعلى ذكر الصحراء فقد ساهم بقلمه في مسيرة الصحراء المغربية بكتاب أنجزه باللغة الفرنسية تحت عنوان: الحقيقة حول الصحراء، Vérité sur le Sahara.

كما شجع أستاذنا البحث في معالم الحضارة المغربية على التعمق في دراسة تطور الفكر المغربي عبر العصور. وقد جمع محاضراته التي ألقاها في

هذا الموضوع على طلبة معهد البحوث والدراسات العربية بمصر في كتاب طبعه تحت عنوان: «تطورات الفكر واللغة في المغرب الحديث» كشف فيه فيما كشف عن جوانب غامضة من المقومات الحضارية للجناح الغربي الإسلامي.

وعندما كان أستاذنا يدرس تاريخ المغرب في كلية الآداب بالرباط ويشرف على قسم التاريخ الحديث والوسيط والقديم كان يتحرى الاستناد على نصوص يأتي بها المؤرخون الفرنسيون، بل كان دائما يربط بين تاريخ الحضارة الإسلامية وتأثيرها في بلورة الحضارة المغربية من جهة أولى كما ذكر في إحدى حواراته الثقافية وأبعاد هذه الحضارة في إفريقيا والبحر الأبيض المتوسط والمحيط الأطلسي من جهة ثانية وكانت تنشر له جريدة «الاستقلال» الاستقلالية الصادرة باللغة الفرنسية دراسات أسبوعية باللغة الفرنسية جمعها في كتاب عنوانه: «التيارات الكبرى في حضارة المغرب» les Grands Courants de la Civilisation du Maghreb فند فيه جميع المزاعم التي صدرت عن المؤرخ الفرنسي «هانري تيراس» في مؤلفه عن تاريخ المغرب الذي كتبه بطلب من «الإقامة العامة» بعد مطالبة المغرب بالاستقلال سنة 1944م وحمل فيه حملة شعواء على الإسلام والمغرب للنيل من الوحدة المغربية وبث الشقاق بين أبناء المغرب.

وليعطي أستاذنا دليلا آخر على تمسك المغاربة بوحدة بلادهم وعقيدتهم واستمرارية دولتهم عبر العصور دون الخضوع لأي تيار خارجي سياسي أو ديني كتب كتابا من 400 صفحة عنوانه «العرش المغربي أقدم العروش» غير مهمل في نفس المسار للناحية الفكرية حيث ألف بإزائه كتابا عن «الشعر والشعراء» أدرج فيه لائحة شعراء المغرب من عهد الأدارسة إلى العصر الحديث. كما قام أستاذنا بتأليف مصنف هام باللغة الفرنسية بعنوان: la thèse Hassanienne, ses preceptes et ses consepts «الأطروحة الحسنية مبادئها ومفاهيمها» حلل فيه الفكر الحسني منذ ثلاثين سنة خلت من خلال خطب العرش والاستجوابات الصحفية الملكية التي لمس عبرها كيف أن الفكر الحسني استطاع أن يطفر بالمغرب طفرة عملاقة جعلته مهيأ لمواجهة لوازم القرن الواحد والعشرين ومتطلباته. وقد صدر هذا الكتاب ضمن مجلة «القدس» في أحد

أعدادها الممتازة باللغة الفرنسية التي أسند إليه جلالة الملك الحسن الثاني والرئيس ياسر عرفات إدارتها.

وتمتاز هذه المجلة ببحوثها ودراساتها حول الإسلاميات في العالم الغربي وفي القارة الإفريقية وفي المغرب العربي.

ولم يفت أستاذنا في باب كتابة التاريخ أن يتحف مسقط رأيه رباط الفتح والخير بكتاب تاريخي هام: «رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة منذ ألف عام» قامت بطبعه ونشره جمعية رباط الفتح.

وإزاء تخصص الأستاذ في دراسة الحضارة المغربية والتيارات الفكرية المغربية والتاريخ المغربي بصفة عامة، فقد اتجه أيضا إلى دراسة الكتب الصوفية وجوامع الأحاديث النبوية والتفاسير القرآنية للتوفيق بين الفلسفة الإسلامية والمعطيات المعاصرة وقد ساعده في هذا الاتجاه دراسته للقرآن مبكرا وحفظه لمآت من الأحاديث النبوية ومطالعته للكتب الصوفية. بحكم أنه ابن عالم وفقيه ومحدث وحافظ. وكان من بواكير دراسته الفلسفية كتاب «الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب» ومحاضرات عن الفلسفة الإسلامية، منها محاضرة ألقاها في مدينة آسفي عن تجربته الجامعية منذ ثلاثين سنة، حلل فيها تطور الفكر الجامعي حيث لاحظ أنه بدأ في الستينات بالعقلانية والارتكاز عليها ثم تحول هذا الفكر إلى الحركة الشيوعية بشكلها اللاديني ثم بدأ يعود إلى الإسلام انطلاقا من الصحوة الإسلامية التي حدت بكثير من المفكرين الأوروبيين إلى اعتناق الإسلام: دين العقل والعلم والأخلاق، والعمل.

ولا يخفى على طلاب دار الحديث الحسنية كيف كان أستاذنا يحاول في محاضراته عن الأصالة الإسلامية والطرق الصوفية أن يعرفهم بالفكر الإسلامي الصحيح ويقنعهم «بضرورة تعزيزه بمميزات السلف الصالح» و«إعطاء الوجه العصري للإسلام الذي شوهته كثير من النظريات الطائفية. «فالإسلام دين كل العصور ولا يمكن يقول - أستاذنا المكرم - أن نحقق تطورا ولا رقيا في الإسلام إلا إذا عززناه وطعمناه بالمعطيات الحضارية المعاصرة».

وقد أصدر الأستاذ دراسات بالفرنسية عن هذا الموضوع جمعها في كتاب تحت عنوان: «أضواء على الإسلام أو الإسلام في ينابيعه»

Clartés sur l'Islam ou l'Islam dans ses sources

كما صدر له كتاب آخر باللغة الفرنسية تحت عنوان: «الفكر الإسلامي والعصر الحديث»»، وبحكم دراسته لعلوم اللغة العربية وتمكنه منها، وبحكم إيمانه العميق بأن العلم انطلق في أوروبا من خلال اللغة العربية فإنه يعتبر أن المقولة بأن اللغة العربية قاصرة أمر غير مطابق للواقع. إذ القصور ليس في اللغة العربية بل في جهل أهلها بها. وقد درس أستاذنا هذا الموضوع بعمق عندما استخلص عشرات الآلاف من المصطلحات القديمة ووضعها مقابل مصطلحات حديثة وأنجز أربعين معجما بثلاث لغات العربية والفرنسية والإنجليزية في مختلف العلوم والفنون، مما أهله ليكون عضوا في عدة مجامع لغوية عربية بالقاهرة وبغداد وعمان والهند ومديرا لمعهد التعريب ومديرا عاما لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي، التابع للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مدة من الزمان لا يستهان بها.

ولابد أن نشير في هذه العجالة إلى المكانة التي تحتلها المرأة المغربية (وهو موضوع الساعة) عند أستاذنا. فقد خصص لها بحثا قيما في كتابه المظاهر تحدث فيه عن عالمات المغرب وأديباته وفقيهاته ومجاهداته وأصدر «معجما لأعلام النساء بالمغرب» وأنجز بحثا عن «المرأة المراكشية في الحقل الفكري «استند فيه على كتاب (شهيرات نساء المغرب) للكانوني، ونشره بمجلة «المعهد المصري للدراسات الإسلامية». وجعل أستاذنا كاتبا للقصة أيضا، كل قصصه التاريخية والوطنية التي دبجها تدور حول المرأة المغربية مثل: غادة أصيلا، والرومية الشقراء، والجاسوسة السمراء، والجاسوسة المقنعة، والكاهنة...

هذا غيض من فيض، فلا غرو أن يكون عالمنا الموسوعي عضوا في عدة منظمات فكرية وثقافية دولية. ولا غرو أن يحاضر في عشرين جامعة من مختلف القارات في مجالات اختصاصه المتعدد المناحي.

ولا غرو أن يتبوأ مكانة علمية مرموقة في العالم العربي لم تتوفر لغيره من العلماء. ولا غرو أن يكون «رجل المهمات العلمية» موضع اهتمام واعتناء وتكريم من طرف مريديه فقد أدى «رسالته العلمية» ومازال خير أداء.

جزاه الله عن هذا الجيل خيرا وأثابه وأحسن إليه، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

ذكريات مع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله

أحمد زياد(*)

الصديق العزيز الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لابد وأن يحتار الكاتب في انتقاء جانب معين من مسيرته الفكرية الطويلة والثرية في نفس الوقت فهو موسوعي في تكوينه، وموسوعي في إنتاجه الضخم وهو يواكب المعاصرة ثم يوصف بالمحافظة، ففي مسيرته الكثير والكثير جدا من عوامل قد يبدو للملاحظ أن البعض منها يناقض البعض الآخر ومع ذلك فإنها جميعها عايشت وتتعايش في سيرة الصديق العزيز ومسيرته، وصدقوني إن قلت إنني قد خشيت أن أتيه في مجاهل هذه العوامل التي ربما يستطيع غيري أن يحولها إلى محاور في البحث والتقصي، ولذا آثرت أن أقصر في هذه المناسبة حديثي على ذكريات عشتها وعايشتها مع الصديق العزيز وهي ذكريات قد تكون بعيدة أو على الأقل ليست من الدراسات المنهجية بالمدلول الأكاديمي، إلا أنها وكما أتمنى ذلك لا تخلو من فوائد وعلامات وقوف في حياة المحتفى به.

تعرفت على الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله داخل تحرير صحيفة «العلم» في أواخر الأربعينات وهي يومئذ في أول بزوغ لفجرها الساطع أي أن عمر معرفتي به تكاد أن تشرف على نصف القرن، وأذكر فيما أذكره أنني وهذا سر أفشيه لأول مرة كنت قد جعلت منه ما يشبه حصة رمضان، إذ أنني كلما رأيته

(*) كاتب، وصحفي. أحد رجالات الحركة الوطنية.

مساء كل يوم وهو يغادر مكتبه إلا وعرفت أن آذان المغرب للرباط وسلا وما جاورهما قد حان وهو بهذا التوقيت يتجاهل بل ولا يبالي بما يسمى بالسبق الصحفي أو بالانضباط الوقتي ولكأنه صوت بلال يناديه من وراء الغيب ومن وراء السنوات، وأنه لا مفر من تلبيته ولينتظر السبق الصحفي إن شاء.

كما أنني كنت ألاحظه وهو يشتغل كيف أنه متوفر على ما يشبه رقاص الساعة ذهابا وإيابا قيما بين السطور وهو يكتب إما إنشاء وإما ترجمة لا يرفع رأسه ولا ينصت إلى من هم حواليه، وهم يتحاورون ويدردشون ومن مومئذ سجلت فيما سجلته من مميزات سيرته الضبط والانضباط في الوقت الزمني خصوصا حينما يتعلق الأمر بالآذان وهذه العفوية الفورية فيما يكتبه أو يترجمه كما أنني أذكر في هذا الصدد أن المرحوم عبد الرحمان السايح وكان من الأوائل في أسرة صحيفة «العلم» قال لي مرة أن السي عبد العزيز يترجم من الفرنسية إلى العربية بدون أن يستشير قاموس بيلو الشهير فأجبته أن الأستاذ عبد العزيز يمكنه أن يعلم مؤلف ذلك القاموس، والواقع أن الأستاذ عبد العزيز كان يمثل في ذلك الوقت سلوكا فريدا من نوعه جعل الكثير منا في ذلك الوقت يقيمونه بما يشبه الأعجوبة فهو مزدوج الثقافة أي أنه كان أقرب إلى ما يسمى بالعصرانية من غيره، ومع ذلك فقد كان حريصا وعلى أشد ما يكون عليه الحرص على أن يتفرغ لصلاته وأذكاره في الوقت المحدد، وهي أعجوبة أظنها لا تتكرر في هذا الزمان الذي أصبح فيه الانتماء إلى العصرانية ولو بالمظهر عبارة عن باب بدون بواب، وكثيرا ما كان يقترن الأستاذ عبد العزيز باسم والده الذي كنا نؤرخ في ذلك الزمان يوم اعتقاله من طرف الإدارة الاستعمارية.

ثم امتدت هذه العشرة من الزمانة الصحفية والنشاط في إدارة العلم وهي يومئذ ما تزال فوق حمام، إلى المعاشرة والتساكن في عمارة بديور الجامع في ملك رجل صالح ومتواضع هو السيد عبد اللطيف التازي، الذي آوانا وناصرنا وكان لزاما علي وأنا أشير إلى معايشتي ومعاشرتي للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أن أخص هذا الرجل الصالح بالذكر وأكرر له شخصيا شكري وامتناني واعتذاري كذلك إن كنت قد تسببت له في بعض المصاعب

عندما عرضته لإجراء مسطرة وكيل الغياب.

ففي هذه العمارة كنا نتساكن نحن جماعة من المناضلين أذكر من بينهم الإخوان عبد الرحمن بادو والمرحوم عمر بناصر والإخوة محمد بوزيان شفاه الله وقاسم الزهيري وعبد الله إبراهيم، فكان هذا التجاور ساعدنا على الاجتماع والتحاور وخصوصا لما أخذت تشتد الأزمة وظهر في الأفق الوحش الاستعماري وهو يومئذ يكشر أنيابه أو هو على استعداد لتكشيرها لينقض على فريسته طبق رزمانة لا أشك في أنها كانت مخططة منذ أواخر الأربعينات ولا أكون مبالغا بل إنني سأكون منصفا وأمينا في ذات الوقت إن أطلقت على تلك العمارة التاريخية اسم دار الندوة، فلقد كانت شقة الأخ عبد الرحمان بادو التي جعل منها مكتبا ومسكنا دائبة الحركة ليلا ونهارا، وخصوصا حينما أخذت أزمة الخمسينات تحتد حتى إذا كان شهر دجنبر من سنة 1952 وكان ما كان من تلك الحملة القمعية الشرسة بقيت دار الندوة وبأغلبية أعضائها الذين كانوا لم يتعرضوا إلى منجل الحصاد القمعي وظلت هذه الخلية تمسك برأس الخيوط فيما تبقى من اتصالات ووسائل الاتصالات في نطاق ذلك الحصار المحكم وفي كثافة من سحب أرهاب رهيب ولما تيقنا من أن الواقعة واقعة وأن المرحوم محمد الخامس سيبعد لا محالة قررنا أن نتوزع على الأقاليم وبالبلدان التي يسعى إليها كا واحد منا ونقتحم باب الاجتهاد فيما يخص مواجهة مستقبل مجهول.

ومن جهتي فقد كنت تركت ورائي قبل رحيلي إلى الدار البيضاء في سيارة كان المرحوم عبد القادر بن بركة ينفرد بها في ذلك الزمان الذي كان فيه امتلاك السيارة من مواطن مغربي حدثا لابد وأن يكون ملفتا للأنظار أما اليوم فإن في كل حي عبد الحي، غادرت الرباط بعد أن تركت كلمة «السر» عند حارس العمارة وكان اسمه بامحمد الذي لم يسلم فيما بعد من الاعتقال والاستنطاق، وفي ذلك الزمان كان حراس العمارات بل وحتى حراس الحدائق العمومية مناضلين ومن أجود المناضلين داخل الحركة الوطنية، فآه على ذلك الزمان الذي كان حلوا بإيمان المناضلين الأحرار بقدر ما كان مرا بفعل المستعمرين الأشرار، واعذروني إن كنت قد قلت وأطلت في شأن زمن مضى

وانقضى، إلا أنني وددت أولا أن أذكر به الأخ المحتفى به وثانيا لأنني اعتبره وبالنسبة لي على الأقل بمثابة غرفة الانعاش المركز الازمها وتلازمني حتى لا أصاب باختناق من جراء ما أصبحنا نعيشه ونعايشه من تلوث هو قبل كل شيء وبعد كل شيء تلوث للقيم والمبادئ والأخلاق تلك هي المرحلة الأولى التي تعرفت فيها على الأخ الأستاذ وعاشرته وحاورته فيها وعملنا سويا في الميدان الصحفي كما في الميدان الثقافي وفي الحقل الوطني قبل ذلك.

أما المرحلة الثانية فهي هذه التي بدأت مع عهد الاستقلال وكما تعلمون فإن عهد الاستقلال ولا أدري هل هذه من مزاياه أم من عيوبه أن الفتنة فيه كانت أشد من القتل، ولذا فإن كلا منا ذهب في سبيله فتباعدت مساكننا وقلت اتصالاتنا إلا أنني ما فتئت أرصد أنشطة الأخ الأستاذ عبد العزيز وهي أنشطة فيها من كل فاكهة زوجان أو أكثر من ذلك ومخزونها مخزون دائما يتميز بفائض أتمناه لميزاننا التجاري ومن ثم فإنه يكون من الأكيد أن كلمة معطاء بالنسبة لتلك الأنشطة المتعددة الجوانب والمتعددة الاختصاص أيضا قد لا يستطيع مدلولها اللغوي أن يفي بالمراد حينما نجعل منها نعتا أو حالا لكل ما أنتجه وأصدره صديقنا العزيز عبد العزيز، وبما أنني لست من ذوي الاختصاص فإنني أترك مهمة تقييم تلك الثروة التي واكبت الأستاذ عبد العزيز وواكبها إلى أصحاب الاختصاص والذين قد يكون من بينهم أكاديميون يتقنون مهمة التقديم الأكاديمي على أن هذا لا يحول فيما بيني وبين الوقوف وقفة ولو قصيرة في إحدى محطات مسيرة المحتفل به، أمد الله في عمره وأعنى بها محطة التعريب، هذا التعريب الذي هو وكما نعلم جميعا ما يزال في بلدنا العربي المسلم يشكل مسلسلا طويلا حارت وتحار في حل ألغازه وعقده وتعقيده الألباب والعقول مع أن أمر توثيقه وتخطيطه كان من الممكن جدا أن يأخذ مجراه الطبيعي ومنذ بداية عهد الاستقلال إلا أنه وبكل مرير فإن رسالة التعريب ولا أقول مهمة التعريب كان من الممكن أن تؤدي مهمتها وفي كثير من السير لولا أنها اصطدمت بعائق هو ما يزال قائما حتى الآن إن لم أقل عنه أنه قد تعملق واستطال وطال، وهذا العائق يتلخص فيما يصح تسميته بالعجمة العقلية ذلك أننا اكتشفنا وتبين لنا أن مهمة تعريب النصوص كان ولابد من أن

تسبقها عملية تعريب بعض العقول بالغسل والتشحيم حتى تستطيع شاحنات التعريب من سبق الطريق بدون خلل واعتذر من هذا التعبير المكانيكي الذي لم أر بدا من استعارته لتوضيح مدلول العجمة العقلية، ومع ذلك فإن الصديق العزيز الأستاذ عبد العزيز كان في فترة من فترات مسيرته قد حول مكتب التعريب يوم كان يديره إلى قيادة عليا باشر منها عمليات للتعريب جمعت فيما بين الكمية والكيفية ولم هذا المكتب خلال توليه مسؤولية تيسره عن إصدار سلسلة من الموسوعات أثبت فيها وبالدليل القاطع صحة مقولة شاعر النيل حافظ إبراهيم المأثورة والتي قال فيها:

وسعت كتاب الله لفظا وغاية فكيف أضيق اليوم عن مستجدات

والواقع أن الأستاذ عبد العزيز لم يغادر هذه المؤسسة إلا بعد أن أغنى وأثرى الخزانة العربية بمجلدات تركزت في معظمها على إثبات أصالة اللغة العربية من جهة وعلى مقدرتها من حيث التفتح والاستيعاب من جهة ثانية وما على المرء إلا أن يسع ويلاحظ مدى هذه القدرة والمقدرة في كل بلدان المشرق العربي التي ما تزال ولله الحمد وعلى الأقل في قضية اللغة متمسكة بهويتها اللغوية ومبلورة إياها في جميع مرافق الحياة بما فيها ميدان المعاملات وكما أن هنالك صحفا ومجلات ودوريات متخصصة في مختلف شعب العلوم تقدم إيحاءات ودراسات ذات طابع تقني متطور باللغة العربية بل وبمنتهى السهولة مع استمرارية في المتابعة والمواكبة بكل ما يجد على الساحة من مصطلحات وأعتقد أن إدارة مكتب التعريب على عهد صديقنا العزيز الأستاذ عبد العزيز كانت حريصة على مثل هذه المواكبة وتلك المتابعة.

أيها السادة:

أستسمحكم فى أن أعود إلى ما سبق وأن قلته في مطلع هذه الكلمة وهو أنني غير قادر على الإحاطة بكافة العناصر التي من شأنها أن تكتسي من طباعة صورة مكتملة لشخصية الصديق العزيز الأستاذ عبد العزيز.

ولذا فإنني اكتفيت في هذه الكلمة بالسير على قاعدة أشار فأشار حول المدار، فالمحتفل به يعتبر شخصية ثقافية من الوزن الثقيل، وأنى لي أن أستطيع حمل الوزن الثقيل وأنا وكما ترون مصنف وإن جسمانيا في الوزن

الخفيف، فليتول هذه المهمة أقرانه وأنداده من أبطال حمل الأثقال بلغة الواصفين الرياضيين.

وبعد،

فيا أيها الصديق العزيز عبد العزيز هذا جهد مقل أرجو أن تقبله كهدية متواضعة وكعربون لوفاء صداقتنا التي نشأت وتوطدت في حقل الوطنية والكفاح والثقافة والإصلاح، فأدام الله عليك نعمة الصحة والعافية وثبتنا جميعا على القول الثابت، وتلك القيم العليا التي انضوينا تحت رايتها منذ أن تعارفنا داخل أسرة وطنية هي وإن كانت قد أصبحت تعاني من حالة الغربة فستظل هي العروة الوثقى التي لا انفصام لها فيما بين الملتزمين الصادقين الأوفياء فيما بينهم في السراء والضراء.

«بسم الله الرحمن الرحيم ألف لام ميم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين».

اللهم اجعلنا من الصادقين ولا تحشرنا مع الآخرين بفضلك وكرمك يا أرحم الراحمين يا رب العالمين.

* * *

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ومواجهة الدس والتحريف في التاريخ المغربي

عبد الكريم كريم(*)

تميزت الأربعينات في المغرب:

– بالتفاف النخبة من الرعيل الأول للحركة الوطنية حول المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه.

– وبتأسيس المدارس الوطنية (المدارس الحرة) ودعوة الشعب إلى الإقبال عليها لتعليم الأبناء ولرفع أمية الكبار.

– وبالعمل المتواصل على توحيد الصف الداخلي لمواجهة المستعمر الدخيل.

من المدارس الوطنية الأولى في الرباط خلال هذه الفترة:

• كتاتيب تحولت إلى مدارس: كتاب المرحوم الصديق الشدادي...

• زوايا أصبحت مدارس: الغازية – الرحمانية – المعطاوية...

• مدارس بنيت: المحمدية (بالسويقة) – مدارس محمد الخامس (بباب شالة)...

كما تميزت الفترة نفسها بالرحلات الملكية إلى مناطق خاصة:

• تافيلالت والصحراء المغربي عام 1941.

(*) أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب، الرباط. ورئيس جمعية المؤرخين المغاربة.

• وجدة والمغرب الشرقي عام 1943.
• أكادير وبلاد سوس عام 1945.
• طنجة الدولية عام 1947.

وقد كان الهدف من هذه الرحلات:

– إحياء السنة التي سار عليها ملوك المغرب والعلويون خاصة كالمولى الحسن الذي جعل عرشه فوق صهوة جواده.

– تدعيم الصلات مع الطبقات الشعبية والوقوف على أحوالها وآمالها.

– التأكيد على وحدة المملكة رغم مكائد الاستعمار ودسائسه.

– إيقاظ العزائم والدعوة إلى توحيد الصف الداخلي.

– تهيئ الجو لتقديم (وثيقة 11 يناير 1944) والجهر بالمطالبة بالاستقلال في (طنجة 10 أبريل 1947).

وعن طريق المدرسة الوطنية وبفضل تطور الحركة الوطنية الملتفة حول ملك البلاد بدأ الإنسان المغربي يعي نفسه ويتعرف على وطنه ويدرك هويته ويقف على واقع بلاده.

من شباب الرعيل الأول للحركة الوطنية خلال الأربعينات الذين حملوا رسالة العلم وأدركوا أهمية تأليف الكتاب المدرسي للمدارس الوطنية أستاذنا الجليل عبد العزيز بنعبد الله، وقد كانت فاتحة مؤلفاته كتاب (دروس في جغرافية المغرب) الذي صدر عام 1944 وأصبح من مقررات قسم الشهادة الابتدائية التي نظمت لأول مرة في المغرب عام 1945.

جاء في مقدمة كتاب (دروس في جغرافية المغرب):

1– تعليل لأسباب التأليف (لقد حدا بنا إلى ولوج ميدان تأليف الكتب المدرسية ما لاحظناه لدى الطلبة المغاربة من احتياج ملح إلى مؤلفات مدرسية تمتاز بالطابع المغربي والروح القومية).

2– اقتراح تكوين لجان تهتم بتأليف الكتب المدرسية (فهلا عملنا على تأليف لجان يقوم أعضاؤها بتحرير كتب في الحساب وعلوم الطبيعة والرياضيات وغيرها مما تحتاج إليه المدارس العربية).

3– التأكيد على أن معرفة الوطن أرضا وتاريخا واجب وفرض عين (ها

نحن نقدم اليوم للطلبة المغاربة... كتابنا هذا الذي هو باكورة تصانيفنا الدراسية الذي سميناه (دروس في جغرافية المغرب) كما نقدمه لجميع أفراد الشعب المغربي... لأن معرفة جغرافية البلاد واجب عام وفرض عيني شامل).

من أهم موضوعات كتاب (دروس في جغرافية المغرب):

- الدراسة الطبيعية لجغرافية المغرب.
- الجانب التاريخي وقد ركز الأستاذ بنعبد الله على:
  - التنظيم السياسي للمغرب قبل الحماية،
  - العمران وأحوال السكان،
  - واقع البلاد تحت الحماية الأجنبية،

وهذه الدراسة المختصرة والمركزة كانت من ردود الفعل الوطنية الأولى:

1- ضد المخططات الاستعمارية الهادفة إلى:

- محاربة اللغة العربية باعتبارها (روح الأمة)
- تشويه التاريخ المغربي باعتباره (ذاكرة الأمة).
- بث التفرقة بين عناصر السكان والتركيز على العنصر البربري والتشكيك في إسلامه وماضيه.

2- وضد الادعاءات المغرضة القائلة بأن (الهوية المغربية غامضة بسبب تاريخ المغرب المظلم وانعدام مظاهره الحضرية).

من الأمثلة التي تستوقفنا ما جاء في وصفه لبعض المدن المغربية:

- فاس (عاصمة العلم ومأوى الفن ومهد الحرف... ولا تزال رمزا ناصعا وشاهدا بليغا لذلك الماضي الأثيل الذي هو عنوان التمدن الإسلامي والحضارة العربية) ص. 68.
- مراكش (كانت مزدهرة في عهد المرابطين والموحدين... وهي نقطة ارتباط بين المغرب والسودان) ص. 70.
- (مدينة القصر الكبير نموذج المقاومة لكل تسرب أجنبي) ص. 70.

والمقصود معركة وادي المخازن التي وضعت حدا للامبراطورية االبرتغالية أواخر القرن 16.

- أما مدينة الرباط مسقط رأسه فقد أورد في وصفها بيتين لشيخ الرباط

العلامة المدني بن الحسني رحمه الله:

وأما رباط الفتح مسقط رأسنا فثدي العلوم في رباه تسلسلا

بناه لنا المنصور يعقوب فازدهى وزاد بهاء في عيون ذوي العلا

هكذا واجه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في مؤلفه الأول (دروس في جغرافية المغرب) الذي أصدره عام 1944 ادعاءات المستعمرين ومحاولات الدس والتحريف في التاريخ المغربي بلسان عربي مبين، وذكر بالأمجاد والبطولات في التاريخ المغربي وبمظاهره الحضارية المغربية التي عم إشعاعها الأندلس شمالا والسودان جنوبا، وأكد بأن الهوية المغربية متميزة ومتألقة بفضل ما خلده الأجداد من أمجاد وما أقاموه من حضارة وعمران.

* * *

مع الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في المركز الوطني للتعريب

أحمد الشاوني بنعبد الله(*)

من دواعي الغبطة والسرور أن أكون ممن دعت جمعية رباط الفتح إلى المشاركة في تكريم الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله. وجمعية رباط الفتح ذات أصالة في الكرم والمكرمات. أما أستاذنا الجليل فهو أهل لكل تعظيم وتكريم.

لقد عرفت أستاذي بنعبد الله مدرسا للحضارة الإسلامية في كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط في أواخر الخمسينات وبداية الستينات فعرفت فيه العلامة المؤمن الذي تنبعث محاضراته من ثقافته الواسعة وصوفيته العميقة. كان الطالب يحلق معه في أجواء التعاليم القرآنية والسنة النبوية والبطولات الإسلامية، وكان يعيش معه بين الصحابة والتابعين وعموم المسلمين وهم يجاهدون في الله ويحاربون الشرك والجهالة ويعلنون كلمة الله عن طريق الدعوة والعبادة وتوسيع دائرة المعارف البشرية، ويشهد معه بزوغ حضارة إسلامية العقيدة، عربية اللغة، إنسانية السعي والطموح، عالمية الأثر بوأها دعاة وقادة ومترجمون وفلاسفة وأطباء وعلماء من مختلف الأجناس والتخصصات أعلى مراتب المجد، وأفاد من إشعاعها فيما بعد علماء وباحثون أجانب

(*) خبير في شؤون التعريب بمعهد الدراسات والتعريب بالرباط التابع لجامعة محمد الخامس.

استخلصوا من مناهجها ومكوناتها نواة ومنطلقا للحضارة العصرية العلمية والتقنية.

ثم سنحت لي الفرصة، سنة 1963، للمزيد من الاتصال بالأستاذ عبد العزيز، فقد أصبح مديرا لمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب مع الاحتفاظ بمديرية المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي.

وتجدر الإشارة هنا أمانة للتاريخ إلى أن تأسيس معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، في يناير 1960، يرجع الفضل فيه إلى الأستاذ أحمد الأخضر غزال الذي تسلم مقاليده منذ تأسيسه. وقد عمل الأستاذ أحمد الأخضر على جمع ممثلين للدول العربية لدراسة مشاكل التعريب وطرق معالجتها والتغلب عليها، فانعقد مؤتمر التعريب (الأول) في أبريل 1961 بمقر المعهد. ومن هذا المؤتمر انبثق المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العالم العربي، أو مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي حسب التسمية التي منحت له بعد أن أصبح، سنة 1974، جهازا من أجهزة المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

وبمجيء الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله مع الأستاذ خليل في بداية الأمر تحول كل شيء بالمعهد، فقد أصبح يعرف باسم «المركز الوطني للتعريب»[1]، وصار يضم في بنايته، وتحت إشراف نفس المدير، مؤسستين إحداهما معهد من معاهد جامعة محمد الخامس التابعة لوزارة التربية الوطنية المغربية والثانية مكتب عروبي يعمل في نطاق جامعة الدول العربية.

وقد ظهرت حينذاك ضرورة لتنسيق التدبير وتسيير الشؤون الإدارية والتربوية للمركز فدعيت للقيام بهذه المهمة والاتصال المباشر بالأستاذ عبد العزيز بنعبد الله وهو يزاول نشاطاته الثقافية والعلمية.

وهكذا أصبح للمكتب الذي كان موظفوه يعدون على رؤوس الأصابع ملحق ثقافي وآخر صحفي ورئيس للتوزيع والنشر. وأصبح المركز الوطني للتعريب عمليا وبإمكاناته المالية والعلمية والبشرية، مع المكتب الدائم لتنسيق

(1) جاء في هامش الصفحة 15 من العدد الثالث من «اللسان العربي»: «أحيل هذا المعهد إلى مركز وطني للتعريب ليشمل نشاطه كل مرافق الدولة في حقل التعريب».

التعريب، خلية دائبة الحركة، تتحول فيها الخواطر والأفكار إلى مشاريع وأعمال جاهزة، وتتجسد المنجزات حية طليقة.

فقد تبع توزيع المهام تنظيم للمشاريع والأعمال، وأصبح للمكتب مراسلون في العالم العربي والمغربي، وتكونت له شعب في الدول العربية كانت من بينها شعبة المغرب التي كان يضطلع بها المركز للتعريب. وتعززت إنجازات المكتب بمساعدة خبراء أجانب عن المكتب، منبثون في أنحاء متفرقة من العالم، كان من بينهم الأستاذ أحمد الأخضر غزال مدير المعهد السابق.[2]

ودعت الضرورة إلى خلق وسيلة للاتصال وتبادل الخبرات والتجارب والمعلومات في مجال التعريب والثقافة العربية بصفة عامة فحدد الأستاذ بنعبد الله «الخطوط الرئيسية لمجلة خاصة باللغة والترجمة والتعريب»، ثم أخرج في يونيو 1964 العدد الأول من مجلة «اللسان العربي»، وكان يشتمل على 159 صفحة من بينها 89 صفحة، أي ما يقرب من 56، من إنتاج المكتب نفسه، وكان فيها 37 صفحة، أي ما يزيد على 23، مخصصة لمقالات الأستاذ وتقديمه للمجلة التي كان المدير المسؤول عنها، ورئيس تحريرها، بل وكل شيء بالنسبة إليها.

وكان العدد الأول صورة مصغرة لما يمكن أن تكون على شاكلته الدراسات التي تتناول أوجه نشاط الترجمة والتعريب. ففيه لمحة عن المشاكل التي واجهت النهضة العربية، ودعوة إلى البحث عن المصطلحات في بطون الأسفار العربية، وأخرى إلى وضع معجم للغة العربية يجمع ألفاظها مرتبة حسب معانيها، وتحذير من منزلقات التعريب وتحريف الدلالة، ومحاولة لتفصيح العامية، وتقييم لبعض المعاجم وكتب المصطلحات، وتعريف بنشاط المجامع ومؤتمر التعريب (الأول)، وبالمنجزات ومختلف المشاريع الموجودة قيد الدراسة والإنجاز بما فيها من عقد للندوات ووضع كتاب مدرسي وتعريب إداري وحملة لهجر الكلمات الأجنبية وإقامة أسبوع التعريب وتعاون المكتب لإقامة أسبوع الكتاب المدرسي إلخ. إنها مجموعة أعمال ومشاريع متزاحمة تعبر عن طاقة

(2) لقد عاد الأستاذ الأخضر غزال ليشرف على معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بعد أن استعاد تسميته القديمة هذه في مستهل السبعينات.

الأستاذ بنعبد الله في الخلق ونفخ الحياة والفتوة فيما يمارسه أو يلامسه من أعمال نشاطات. وتزايد الزخم بحول الله بمرور الأيام، فقد أخذت أعداد مجلة «اللسان العربي»، بعد العدد الأول الذي كان أقلها صفحات، تزداد تضخما في الحجم، وتنوعا في المادة، حيث صارت بعض الأعداد، مثل المجلد الثامن، تتكون من ثلاثة أجزاء وتشتمل على أكثر من 1900 صفحة. وفتحت المجلة صدرها لتشمل في مقالاتها كتابات باللغتين الإنجليزية والفرنسية.

ومع ذلك لم تكن مجلة اللسان العربي تمثل إلا جانبا من جوانب نشاط أستاذنا الكبير. فقد كان يوجه الإنجازات في مكتب تنسيق التعريب وفي المركز الوطني للتعريب ويشارك فيها، وكان يعقد الاجتماعات والمحاضرات والندوات، وكان يقوم بالبحث والتأليف في مختلف مجالات الثقافة من لغوية وإسلامية، وتاريخية وحضارية، وكان يكتب باللغة العربية والفرنسية، وكان يملأ بالعبادة وقته: عبادة الله وتعاطي العلوم التي تنفع الناس وترفع صاحبها درجات عند العليم الذي علم بالقلم علم الإنسان مالم يعلم، وكفى بالله هاديا ونصيرا. وهكذا كان أستاذنا يشاهد أحيانا وهو بجانب سيارته، أوداخلها، وهو يطالع كتابا أو يبحث في معجم، أو يحرر جذاذة.

وكان من جراء هذا النشاط الفياض أن أصبح مكتب تنسيق التعريب، حتى داخل المغرب، أكثر شهرة واستشارة من المركز الوطني للتعريب الذي تم إنشاؤه بهدف القيام بالدراسات والأبحاث من أجل إنعاش التعريب وترويج مصطلحاته في الأوساط المغربية.

ذلكم أن أستاذنا الكريم لم يكتف بتنسيق المصطلحات التي كان من المفروض أن ترد عليه من الهيئات العلمية القائمة في البلدان العربية وكانت قليلة الورود. بل أخذ، منذ البداية، يبحث عن المصطلحات ويولدها وينشرها ويؤلف بها المعاجم ويرصع بها اللوحات الإيضاحية التعليمية ويقيم من أجل التعريف بها المحاضرات والمعارض والندوات والأسابيع والمهرجانات الثقافية والتآليف المبسطة الموضوعية التي كان يتعاون أحيانا في شأنها والأطعمة، والألبسة، والسيارات، والطحانة والخبارة[3] وغيرها من الإنتاجات التي أصبح بعضها من المعاجم التي تناولتها مؤتمرات التعريب بالدراسة والمصادقة وقامت

بعض الدول العربية بطبعها وتوزيعها بصفتها موحدة المصطلحات على صعيد الوطن العربي.

وقد أوضح أستاذنا عبد العزيز، عمليا أن التعريب دراسة وممارسة، فكان في نطاق مقاومته للألفاظ يدعو إلى تفصيح اللهجات ويقيم حملات ثقافية واسعة بمشاركة الجرائد والمجلات والمعلقات ووسائل الإعلام المنطوقة والمرئية، وذلك من أجل تطهير العربية الدارجة والفصيحة من الألفاظ الأجنبية الدخيلة. وكان له ركن في بعض الجرائد والمجلات يحمل عنوان: «قل ولا تقل». وكان يدعونا نحن العاملين معه إلى المساهمة في هذه الحملات التي أخرج لها كتيبات وأعد لها مهرجانات خاصة.

وفي نطاق محاربة الاستعمالات الدخيلة، والكلمات والعبارات العربية غير السليمة، كان أستاذنا مدير المؤسستين المغربية والعروبية للتعريب يدعو إلى إصلاح لغة اللافتات الإشهارية والمعلقات البيانية والكتابات المثبتة على الواجهات والمحلات التجارية والصناعية والحرفية. وقد استطاع الحصول على تعاون السلطات المحلية التي كانت تستشيره في الترخيصات المتعلقة بالكتابات الإعلانية والإشهارية وكثيرا ما تأخذ برأيه قبل إعطاء موافقتها الرسمية. وبطبيعة الحال كانت مصالح المركز والمكتب تلبي طلب ترجمة كلمة أو عنوان أو كتابة حائطية.

وكان نشاط أستاذنا عبد العزيز متنوعا فياضا بحيث لم يعقه انشغاله بالتعريب عن الدعوة إلى تأليف موسوعات عديدة شارك في إعدادها مثل موسوعة ألفاظ القرآن الكريم وموسوعات تاريخية تتحدث عن رجالات الفكر ونسائه. وقد كتب عن الرياضيين والأطباء والعربيات المشهورات... واهتم، في نفس الوقت، بالقضايا غير اللغوية التي كانت تفرض نفسها على العرب مثل القضية الفلسطينية، كما كتب عن الشؤون العربية والإسلامية بالعربية وبغير العربية رغبة في إعطائها مزيدا من التعريف واقتحام أوساط أكثر اتساعا ومردودية.

---

(3) ليس الغرض من ذكر هذه العناوين إعطاء جرد شامل لإنتاجات الأستاذ الغزيرة، بل المقصود هو لفت الانتباه إلى غزارة هذا الإنتاج وإلى تنوعه.

وبعد، هذه ذكريات عرضت لي وأنا أستعرض ما يمكن ذكره بمناسبة تكريم أستاذنا الكريم عبد العزيز بنعبد الله. والواقع أن حياة الأستاذ ونشاطه في مجالات العلم والمعرفة صفحات مشرقة ناصعة لعل من أبرزها قيام مكتب تنسيق التعريب وبلوغه مرتبة سامية بين الهيئات الدولية المرموقة.

فتحية صادقة إلى من حنا على هذا المكتب وهو جنين بين طيات التوصيات والتنميات فنفحه من روحه ووهبه من توقده ورعى نموه صبيا ويافعا وأخرجه للناس هيئة عروبية تطبق شهرتها الآفاق[4] وتفرض التعريب وضرورة توحيد المصطلحات على بلدان عربية وأوساط إدارية وطنية كان بعضها قبله ينكر وجود مشكلة تحمل اسم التعريب.

إنه الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله العلامة الصوفي الموهوب الذي ما تناول فكرة أو موضوعا أو دراسة إلا ووهبها الدفء والحياة والرعاية، فهنيئا له الكرامة، وأطال الله عمره متمتعا بالصحة والعافية والتوفيق. والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

* * *

(4) اتخذت موضوعا لأطروحة الدولة في جامعة باريسية عريقة بعنوان: «مكتب تنسيق التعريب في العالم العربي بالرباط» (أطروحة قدمها السيد منجي السيادي يوم 30 يونيو 1976 أمام لجنة امتحان لجامعة باريس 3 الصربون).

العلامة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله
كيف عرفته وكيف تكونت بيني وبينه صداقة عميقة

عابد الوزاني(*)

في سنة 1952 عينت أستاذا مكلفا بإلقاء دروس العلوم في مدرسة سيدي محمد بن يوسف بالدار البيضاء، التي أحدثت فيها أقسام ثانوية تلقى فيها الدروس العلمية والأدبية والتاريخية والدينية من طرف أساتذة كبار (كالسادة بوشتى الجامعي والهاشمي الفيلالي وعبد الله إبراهيم ورشيد الدرقاوي ومصطفى العلوي وعبد السلام الوزاني وأحمد الوزاني وإدريس عمور وإدريس المرنيسي وعبد ربه وآخرين لم أتذكر أسماءهم.

،في شهر أكتوبر من سنة 1953 بعد نفي جلالة الملك محمد الخامس إلى جزيرة مدغشقر وانتفاضة الشعب بواسطة المظاهرات والمقاومة السرية تحت قيادة الزعماء الوطنيين والسياسيين، قرر أرباب الاستعمار آنذاك إلقاء القبض على سائر الوطنين البارزين ومن بينهم السادة بوشتى الجامعي والهاشمي الفيلالي وعبد الله إبراهيم ورشيد الدرقاوي ومصطفى العلوي... إلخ فبإلقاء القبض على هؤلاء الأساتذة توقفت الدروس الثانوية التي كانت تلقي بمدرسة سيدي محمد بن يوسف، فأصبحت نتيجة لذلك، أحد الأساتذة العاطلين الذين لم يشملهم القبض والسجن.

وفي يوم من الأيام خلال شهر نونبر 1953 لقيت السيد محمد لحلو ولد

(*) رئيس قسم التخطيط الفلاحي بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية سابقا.

المرحوم عبد الكريم لحلو المؤسس للمدرسة التي تحمل اسمه فألقى علي هذا السؤال ماذا تعمل الآن؟ فأجبته: بدون شغل، فقال لي: هل تعرف الأستاذ العلامة السيد عبد العزيز بنعبد الله، فأجبته: لا، ثم زاد: هل تريد الاشتغال معه كنائب المدير أو حارس عام. قلت: نعم، فأشار علي بالذهاب إلى مدرسته وطلب مقابلة مديرها الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله. وقبل الالتحاق بهذه المدرسة استشرت الأستاذ امحمد بنيس مدير مدرسة سيدي محمد بن يوسف حول شخصية الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله فأجابني فورا ستكون سعيدا إذا قبل مدير مدرسة عبد الكريم لحلو الاشتغال معه كحارس عام أو نائب المدير فسوف تعمل مع عالم كبير، مؤلف ماهر وشهير، محرر لامع لجريدة العلم، قد صدرت عنه عدة مؤلفات تتعلق بالفلسفة والتاريخ والقانون والأدب والشريعة الإسلامية واللغة العربية والفرنسية والإنجليزية إلخ... فاقتنعت بما جاء في كلام الأستاذ امحمد بنيس والتحق فورا بمؤسسة عبد الكريم لحلو ذات البناء الضخم والعصري، وطلبت مقابلة المدير العظيم وأنا أبحث عن أسلوب الكلام الذي يليق بحضرته وكيف كانت دهشتي لما دخلت عليه فاستقبلني بالترحيب والتواضع وأصدر أوامره بتعييني كحارس عام. وفي نفس اليوم بدأت الاشتغال معه دون أن أشعر ولو لحظة واحدة بشيء من التكبر المعروف عند بعض المديرين الذين تعودوا إبراز شخصيتهم بأسلوب التفوق المصطنع والرامي إلى جعل العزيز بنعبد الله عكس ذلك. وبعد بضعة أشهر أصدر تعليماته بأن أعين نائبا له وكلفني بالدخول يوميا إلى الأقسام الدراسية لمراقبة الأساتذة خلال إلقاء دروسهم (في مدة الاشتغال معه). لقد كان يعاملني كصديق حميم فيبوح لي ببعض أسراره المهنية وحتى العائلية. وكان يرافقني خارج المؤسسة (لأجل الاستراحة) بالتجول داخل مدينة الدار البيضاء أو في ضواحيها (وفي بعض الأحيان كان يرافقنا الأستاذ امحمد بنيس أو الدكتور محمد حصار). وحيث إنه كان يسكن داخل المدرسة المشتملة على أقسام داخلية يأتيها التلاميذ من سائر أنحاء المغرب، وحيث إنني كنت أتوفر على غرفة قريبة من داره كنا نجتمع كل مساء لنتذاكر رفقة الأساتذة الذين كانوا يسكنون أيضا داخل المؤسسة، فهذه المذاكرات بالإضافة إلى الأساليب التعليمية وتجارب بعض الدول في هذا

الميدان والنتائج التي تسفر عنها التجارب المتبعة بالمؤسسة. كنا نتناول مواضيع الأحداث الحالية في المغرب وبالأخص في مدينة الدار البيضاء التي كانت عبارة عن زوبعة تسمع في شوارعها طلقات نيران الرشاشات والمسدسات فيسقط فيها عدد كبير من الخونة الذين يقع عليهم الهجوم من طرف المقاومين الأبرار.

وأما موضوع نفي جلالة الملك محمد الخامس إلى جزيرة مدغشقر فتقع إثارته كل يوم وحينما يرى الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أن آثار الألم والأسى والحزن بدأ يخيم على الحاضرين يبتسم ويقول: هل تشكون في عودة جلالة الملك محمد الخامس إلى وطنه المغرب؟ كونوا متيقنين أنه سيرجع عن قريب وتذكروا ما أقوله لكم. فكان لهذه الكلمات والصفات تأثير عظيم على سلوك الأساتذة العاملين معه وعلى الإقبال الكبير الذي عرفته مؤسسة عبد الكريم لحلو خلال سنوات 53 و54 و55 إلى أن بزغ فجر الاستقلال برجوع جلالة الملك محمد الخامس إلى عرش أسلافه الكرام فانتقل الأستاذ عبد العزيز بنبعد الله من الدار البيضاء إلى الرباط حيث عين مدير ديوان الفقيه العلامة السيد المختار السوسي الوزير الأول للأحباس في عهد الاستقلال فنظرا لحسن السلوك والمعاملة التي تلقيتها من الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله تكونت بيني وبينه صداقة متينة أدت إلى الاشتغال معه في وزارة الأوقاف كرئيس قسم الشؤون الفلاحية حيث أسند إلي إحصاء واستثمار الأراضي الوقفية باعتبار الدراسة والتداريب التي قمت بها بفرنسا وألمانية في الميدان الزراعي خلال سنوات 46 و47 و48 و49 و50، ولما عين مديرا للمحافظة العقارية بقيت أزاول مهامي بوزارة الأوقاف بدون انقطاع مدة إحدى وثلاثين سنة. فخلال هذه المدة عرفت وزارة الأوقاف ازدهارا منقطع النظير في الميدان الفلاحي حيث أنشئت مئات الضيعات النموذجية المجهزة بالآبار والمحركات والجرارات... إلخ... وتم تشجير أكثر من ثلاثة عشر ألف هكتار بجميع أنواع الأشجار. وكنت دائما أخبر الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله بهذه النتائج ليطمئن عن وجودي في وزارة الأوقاف وعدم الاشتغال معه في المؤسسات التي مر بها كالمحافظة العقارية والتعليم العالي ومكتب التعريب والمكتب الدائم للتعريب التابع للجامعة العربية.

وعندما اكتملت جميع المشاريع الفلاحية بعون الله وإرادته، اقتضت

المصلحة العامة أن أعين مديرا للأوقاف، فانكب اهتمامي على المشاريع العمرانية الرامية إلى بناء المساجد والمدارس القرآنية والعمارات السكنية وإحداث تجزئات الإسكان للمواطنين وزادت الصداقة التي نشأت بيننا متانة بعد القران الذي وقع بيني وبين أخت زوجته رحمة الله عليها وأسكنها فسيح جناته.

وقد استمرت روابط الصداقة منذ أربعين سنة إلى حد الآن ومازلنا نتبادل الزيارات المنزلية ونتذاكر كثيرا وفي كل مرة تمتاز المذاكرة بالجدية والكلام الطيب والأفكار العالية المتعلقة بالدين الإسلامي والمجتمع والتاريخ والفلسفة والأدب.... إلخ.

وقد استفدنا في الماضي من الأسفار العديدة التي قمنا بها داخل المغرب وخارجه وأتذكر علي سبيل المثال الزيارات التي قمنا بها لجنوب المغرب والأطلس المتوسط وناحية سائس والشمال إلخ... وعبر مدن أوروبا كإسبانيا وفرنسا وإيطاليا وسويسرا وألمانيا إلخ...

والذي يثير الانتباه والإعجاب هو أنني لم أسمع منه منذ عرفته إلى حد الآن أية كلمة قبيحة، ولا معاملة سيئة فهو دائما مبتسم نشيط حسن الاقتبال مساعد في كافة الميادين.

والمعروف عنه أنه يقضي كثيرا من أوقاته في عبادة الله سبحانه وتعالى، وباتباع هذه الطريقة المستقيمة اكتسب حصانة روحية تتجلى في النشاط الفكري وفي سهولة التعبير والتحرير باللغتين العربية والفرنسية، وفي إحداث نظام للعمل يرتكز على جمع المعلومات في جذاذات تعد بربع مليون استطاع بواسطتها عدم اللجوء عند تحرير المقالات إلى الكتب أو المجلات أو الجرائد التي سبق له أن قرأها. فهذا الاختراع يغنيه عن استعمال (الأردياطور) بحيث يستطيع الاطلاع في بعض ثوان أو دقائق على أي موضوع طرأ بباله أو سئل عنه.

ولم تنحصر نتائج هذه العبادة في الجانب الفكري فقط بل تعدته وشملت كذلك الجانب الجسمي فلم تسمع عن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله أنه زار الطبيب واستعمل الدواء ونتمنى له دوام الصحة والعافية وطول العمر ومازلت

إلى حد الآن أقرأ بنشاط واستفادة مؤلفاته ومقالاته القيمة التي تعد بالمئات ولا شكل أن السادة العلماء الذين يشاركون في هذا الحفل التكريمي سيتعرضون إليها بإسهاب وسوف أكتفي في عرضي هذا بتلخيص بعض المواضيع التي أثارت انتباهي.

لقد لعب دورا عظيما في ميدان التعريب بعدما أنشئ وسير خلال مدة طويلة المكتب الوطني للتعريب والمكتب الدائم للتعريب التابع للجامعة العربية.

فالغاية التي كان يرمي إليها والتي يتشوق إليها كافة العرب الغيورين على لغتهم وثقافتهم الجيدة والمتنوعة والمتينة والتي طبعت تاريخ الحضارة الإنسانية منذ عشرات القرون.

فهذه الغاية ترتكز على توحيد الألفاظ والمعاني بين سائر الدول العربية حتى لا تبقى إلا لغة واحدة رسمية تستعمل في الكتابة وفي الكلام وذلك على غرار ما وصلت إليه الدول الأوروبية والأمريكية بعد كفاح مرير.

وللوصول إلى هذا الهدف المنشود أصدر (مجلة اللسان العربي) ومعاجم عديدة مترجمة إلى اللغتين الفرنسية والإنجليزية حيث عرفت إقبالا لا مثيل له سواء في المغرب أو في سائر الدول العربية والإسلامية وغيرها.

فبالإضافة إلى الجهود التي بذلها لإبراز اللغة العربية وتوسيع نشرها وتوحيد ألفاظها فقد ساهم مساهمة فعالة وعظيمة، في الدفاع عن حقوق دولة عربية تكافح منذ أكثر من أربعين سنة من أجل الحصول على استقلالها وجعلها في صف الدول العربية الأخرى ألا وهي فلسطين الحبيبة. فبتعليمات من طرف جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله وأيده وباتفاق مع الرئيس ياسر عرفات أصدر (مجلة القدس) التي تنشر منذ خمس عشرة سنة باللغة الفرنسية مقالات عديدة ومتنوعة لا تنحصر فقط فيما يهم فلسطين والقدس الشريف بل يتعدى نشاطها ذلك، حيث تصدر فيها مقالات تهتم بمصالح كافة العرب والمسلمين سواء الشرق الأوسط أو إفريقيا أو آسيا أو أوروبا أو أمريكا.

وبما أنه يطبق القواعد الإسلامية على حقيقتها أراد أن يساهم في نشر مبادئ الإسلام في جميع الأوساط متبعا في ذلك منهج الوضوح وأسلوب الإقناع. وهكذا فقد صدرت عنه عدة كتب في هذا المضمار كأضواء على

الإسلام والفكر الإسلامي إلخ...

وبصفته مؤرخا لامعا فقد ألف عدة كتب في التاريخ المغربي تمتاز بالوضوح والدقة والنظام في الأسلوب.

فيمكن للقارئ المهتم بهذا الموضوع أن يطلع عليها في النشرة الخاصة بلائحة الكتب والمجلات الصادرة عن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله ومن بين الأهداف الأخرى التي يرمي إليها نشاط الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هي المتمثلة في إبراز مظاهر الحضارة المغربية فصدرت عنه عدة كتب في هذا الميدان وقد ألقى محاضرات كثيرة سواء داخل جامعة محمد الخامس بالرباط أو في بعض الكليات في المغرب أو خارجه وبالمدرسة الإدارية وفي مؤسسات أخرى يطول الحديث عنها.

وبصفته عضوا في أكاديمية المملكة المغربية فمن حين لآخر يلقي محاضرات حول الموضوع الآنف الذكر، ومواضيع أخرى متنوعة. فهذا ملخص بعض الذكريات التي بقيت محفوظة في ذهني ولا أستطيع أن أعبر عن كل ما أعرفه عن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله لأن ذلك سيتطلب وقتا طويلا، واجتماع اليوم لا يسمح بذلك.

وخلاصة القول إن شخصية العلامة الكبير الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله تعتبر من بين ألمع الشخصيات المشهورة سواء داخل المغرب أو خارجه. وسيبقى مثالا عالميا يجب الاقتداء به في التفكير والتعبير والتأليف وحسن الخلق والنشاط الدائم والتقوى فجزاه الله أحسن الجزاء عما أسداه لصالح المغرب والعالم العربي والإفريقي والأسيوي والأوروبي في الميادين الآنفة الذكر وغيرها.

فنتمني أن يكثر أمثاله في بلادنا وفي سائر الدول المذكورة وأن تستفيد شعوب هذه الأقطار من إنتاجه القيم كما نتمنى أن يساهم نشاطه العلمي والأدبي والديني في تدعيم أسس الحضارة والتقدم في بلادنا تحت ظل جلالة الملك الحسن الثاني حفظه الله ونصره، الساهر على وحدة البلاد وتقدمها وازدهارها والسلام.

* * *

عبد العزيز بنعبد الله خريج مدرسة عبد الواحد بنعبد الله

عبد الرحيم بنعبد الله(*)

الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله من أولئك الرجال القلائل الذين يجرون وراءهم رصيدا حافلا بالأعمال والأنشطة المختلفة في شتى الميادين وعلى صعيد كثير منها الثقافية وغير الثقافية، من نضال في الحقل السياسي والوطني ونشاط صحافي وعمل إداري وتدريس وبحث وتأليف في التاريخ والجغرافية والفلسفة والفقه والحديث والتشريع والتصوف واللغة وغيرها من المواضيع الدقيقة وذلك بالعربية والفرنسية وسواهما. وقد بوأه ذلك مكانة مرموقة بين رجال العلم والثقافة والبحث سواء داخل الوطن أو خارجه. كما جعله يحظى بالثقة الغالية لصاحب الجلالة الملك المعظم الحسن الثاني أيده الله التي أنعم عليه مما أنعم عليه به بالعضوية في أكاديمية ذات المكانة الرفيعة بين الأكاديميات العالمية التي هو عضو في بعضها، هذا التعيين الذي توج تألقا متواليا بناه المحتفى به بخطى حثيثة، إذ لمع نجمه وهو في عنفوان الشباب. وقد تأتى كل ذلك بفضل تعليمه وثقافته المزدوجين وبفضل تكوينه الصحيح والمتين، هذا التكوين الذي يرجع الفضل فيه أولا إلى الله الفاعل المختار، وثانية إلى

(*) خبير موثق وباحث ومدير بنك للقرض.

والده فقيد العلم والعلماء العلامة الجليل المرحوم بكرم الله السيد عبد الواحد ابن علي بنعبد الله الذي هو أحد أساتذته وولي نعمته ولذلك أعتبر أنا شخصيا أن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هو خريج مدرسة العلامة عبد الواحد بنعبد الله رحمه الله.

نعم كانت للأستاذ عبد العزيز بنعبد الله مؤهلات شخصية ساعدته على الوصول إلى ما وصل إليه الآن من مكانة رفيعة بين رجالات العلم في المعمور، ربما لم تتوفر لغيره من أفراد عائلته، كذكائه الثاقب وفكره الصائب وحافظته العجيبة وملكته القوية ونجابته المدهشة. لكن ذلك لم يكن العامل الوحيد في نجاحه. بل هناك عوامل أخرى لها تأثير قوي في تكوين شخصيته. وقد كان من بين هذه العوامل المحيط الذي وجد وكبر وترعرع فيه، إذ تأثير المحيط على هذا الصعيد شيء بديهي وحقيقة قررتها الفلسفة كذلك ولا سيما إذا كان هذا المحيط المعني هو محيط الوالدين. ألم يقل النبي صلوات الله وسلامه عليه: «أن الولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه». والمحيط الذي وجد أستاذنا فيه هو بالضرورة أسرته التي كان يغطيها سقف واحد والتي كانت تتألف في صباه من أربعة أشخاص على رأسهم والده المذكور الذي من فضائله عليه أنه كان بعد الله تعالى سببا في وجوده من العدم. ثم كان له قدوة ومثالا في الحياة لأنه هو الشخص الثاني بعد أمه، عمتي المرأة الفاضلة، الذي فتح فيه عينيه. فهو الذي ربى فيه الروح والأخلاق الإسلامية قبل كل شيء آخر، ولا عجب فيه ذلك لأن الأستاذ عبد الواحد بنعبد الله كان نفسه عالما سلفيا بما في الكلمتين من معنى.

ومن فضائله عليه كذلك أنه أدخله المدارس والمعاهد والكليات العصرية لينهل من مشاربها المعارف التي لم تكن متداولة آنذاك في غيرها، تلك المؤسسات التي كان يطوي فيها المراحل بتفوق وفي بعض الأحيان بسير غير مألوف، إذ في ذالك الوقت كان تخطي الأقسام شيئا مسموحا به لاكما في وقتنا اليوم حيث نرى العبقريات تطمس. وقد حقق له رغبته في الاستفادة من هذا النوع من التعليم من دون حرمانه من الحصول أيضا على المعارف الأصيلة، إذ لقنه بنفسه أمهات المتن سواء ما كان يتعلق منها بالتوحيد والفقه

وسائر العلوم الدينية أو ماكان يختص منها باللغة والنحو والصرف والأدب. وكان يتابع أيضا عن كثب مساره حين أخذ يتضلع من هذه العلوم التي قليلا ما تستهوي طلاب المعاهد العصرية، ويشجعه ويبارك خطواته على درب تحصيلها، ويتداول الرأي والأفكار معه حول ما أشكل فيها من مسائل ونازلات لكي يتمكن منها تمكنا شموليا وسليما. وبقي الشأن كذلك إلى أن حصل هذا التمكن بالفعل.

ثم ربى فيه روح الوطنية أيضا، وغرس عنده محبة الأوطان، وشحن عزيمته على النضال ومقاومة الاستعمار والفساد مما حداه على الدخول مبكرا في حلبة الصراع السياسي والانخراط في صفوف حزب الاستقلال والجهاد بالقلم بالكتابة على أعمدة جريدة العلم الغراء الناطقة باسم هذا الحزب وبتأليفه الكتب المثبتة مظاهر حضارة بلادنا وأصالتها، وكتب أيضا في مجلة (الرسالة) التي كان يصدرها نفس الحزب.

كما سقاه من ينابيع الصبوفية ومن مدامة الطريقة التجانية خاصة ما غذى به روحه وجعله قادرا على الرفل في عالم الروحانيات وعلى معرفة عين الحق معرفة اطمأن لها قلبه وتيقن بفضله أن:

قلوب العارفين لها عيون ترى مالا يرى للناظرين

وأجنحة تطير بغير ريش إلى ملكوت رب العالمين

وذلك ما أشرت إليه في رثائي ابن عمي والده المحدث الوفي المرحوم بكرم الله عبد الواحد بنعبد الله حين قلت في أحد أبيات قصيدة الرثاء المقصود:

أعني التجاني تاج من على هدى الشيخ أحمد نوروا الأبناء

وإذا كان الشيخ عبد الواحد بنعبد الله قد تصرف هذا التصرف معه دون غيره من الأبناء فلأنه لاحظ فيه استعدادا كبيرا ومؤهلات قد تساعده على تلقي المعرفة كيفما كانت وبالتضحيات الضرورية.

ولا حاجة للتأكد هنا أن هذا التصرف كان في الحقيقة منهاجه في معاملته مع أولاده.

فلقد لقن ابنه الثاني محمد الموسيقى الأندلسية عندما لاحظ استعداده لتعلمها. وفعلا صار هذا الإبن من العازفين المبرزين المؤدين لها. وتجدر

الإشارة إلى أن الشيخ كان يحفظ الإحدى عشرة نوبة المشهورة. وكان يعلمها كذلك السجناء حين سجنه الاستعمار الفرنسي.

فإذن، الأستاذ عبد العزيز هو خريج مدرسة الشيخ عبد الواحد بنعبد الله. لكن هذا ليس معناه أن شخصية الإبن غير مخالفة لشخصية الأب. فهناك في الواقع فروق بينهما يرجع السبب فيها أساسا لعاملين اثنين وهما:

- أن ثقافة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله كما قلت مزدوجة، بل أكثر من مزدوجة لأنه قد درس في المرحلة الثانوية بالإضافة إلى الإنكليزية، اللاتينية واليونانية، فلذلك يلاحظ أن تعبيره بالفرنسية صقيل.

- وأن معرفته بحكم ذلك أوسع نظرا لاطلاعه على مصادر من موارد غير التي شرب منها الشيخ وخاصة ماهو مؤلف بالفرنسية على المستوى العالمي من طرف أساتذة دهاة من مستشرقين وغيرهم. وهذا الأمر ظاهر في كتابتهما ولا حاجة للتعرض هنا لذلك لأنه ليس المقصود بالذات. ويكفي أن أشير إلى شيء واحد على هذا الصعيد وهو أن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله يتسم ببعض المرونة في استنتاج واستنباط الأحكام الفقهية كما يشم ذلك أيضا من مقاله حول مفهوم الربا في المعاملات المنشور على أعمدة جريدة العلم. أما الشيخ فيتميز بالبساطة في كل شيء. ولا غرابة في ذلك لأن من مبادئه الإيمان بما جاء في مقولة إبن عجيبة في البيت الآتي:

تحقق بوصف الفقر في كل لحظة فما أسرع الغنا إذا صحح الفقر

وبما قاله كذلك في الأبيات الآتية:

تحقق بعلم الله في كل وجـهة ففي كل لحظة عليك رقيب

وإياك أن تنسى الشهود لشاهد عظيم بسر الله منك قريب

وجانب الروحانيات والتصوف عند الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هو الجانب الذي لحقه تأثير الشيخ عبد الواحد بنعبد الله أكثر من غيره، وإن كان الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله قد تأثر كثيرا فيه كذلك بقراءته الغزيرة ودراسته الواسعة في الفلسفة الإسلامية والتصوف وخاصة ما يتعلق بالطريقة التجانية التي ينتمي إليها آل بنعبد الله بصفة عامة والتي أصبح هو من المدركين لأصولها وفصولها الذين لا يدعون فيها قولا لقائل:

وصدق ربنا تعالى حين قال: «ذرية بعضها من بعض».

إذن الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله هو خريج مدرسة العلامة سيدي عبد الواحد بنعبد الله قبل أن يصير خريج كلية الحقوق والآداب التابعة لجامعة الجزائر.

عبد العزيز فضلكم على الورى ... حقيقة، بين السطور يسطع
كتب حوت أخبار ماضينا المجيـ ... ـد، والبحوث في سواها تمتع
معاجم أثرت كلامنا بما ... قد أرجع الحياة فيه ويرجع
جزاك ربنا على معارف ... رفعتها إلى السهى وسترفع
مخافة الله شعارك الذي ... عليه تحيا دائما وتخشع
وحبك الرسول محمدا ... ينجيك حاضرا وبعد يشفع
دم للرباطيين والمثقفيـ ... ـن منارة بهدى علوم تلمع
دم لابن خالك رمز ود، والوفا ... على مدى حياتنا يتضوع

* * *

العلامة الجليل عبد الواحد بنعبد الله والد الأستاذ المكرم

عبد الكريم كريم(*)

بعد الإعلان عن استقلال ليبيا يوم 5 ربيع الأول 1371 الموافق 24 دجنبر 1951. هنأ بعض خطباء الجمعة في الرباط (29 ربيع الأول 28/1371 دجنبر 1951) الشعب الليبي الشقيق على نعمة الحرية وأعربوا عن أمانيهم بأن يشمل نورها بقية أقطار المغرب العربي، هؤلاء الخطباء هم:

العلامة الصديق الشدادي خطيب جامعة القصبة.

العلامة محمد بنعبد الله خطيب الزاوية الناصرية.

العلامة أحمد بلغازي خطيب الجامع الكبير.

ألقت سلطات الحماية القبض عليهم وتم استنطاقهم بمحكمة الباشا، وعندما شاع الخبر امتلأت ساحة المحكمة المتظاهرين وأرسلت العرائض إلى القصر الملكي، ومن ذلك العريضة المؤرخة بيوم فاتح ربيع الثاني عام 30/1371 دجنبر 1951 التي جاء فيها:

«إننا سكان الرباط قاطبة... نرفع إلى شريف الأعتاب هذه العريضة معبرين لجلالتكم عن استيائنا العميق لما قامت به السلطات المحلية حيث اعتقلت نخبة من رجال الدين القائمين بتعمير بيوت الله وإرشاد المومنين لتعاليم دينهم الحنيف».

وفي يوم الجمعة الموالي (6 ربيع الثاني 4/1371 يناير 1952) ألقى العلامة

(*) أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب، الرباط

عبد الواحد بنعبد الله درسه المعتاد في جامع المولى سليمان بالرباط بعد صلاة العصر وحصل ما كان سببا في إلقاء القبض عليه واستنطاقه.

جاء في محضر المحاكمة جوابا عن (موضوع الدرس):

«بأنه لا يترك أي فرصة تضيع دون أن ينبه إليه الناس بما فيه مصلحتهم الدنيوية والأخوية بما في ذلك استقلال البلاد واسترجاعها كامل سيادتها في أقرب وقت ممكن وهذا أمر طبيعي وضروري لحياة ورفاهية البلاد والعباد... وللاحراز على الاستقلال لابد من وسيلة، وتوجد أربع وسائل يمكن الحصول عليه بواحدة منها أو بها جميعها... ومن تلك الوسائل سلاحا اللسان والقلم من احتجاجات وبعث مذكرات... ثم سلاح الحديد والنار».

– وعن سبب ذكره جان دارك أثناء الدرس أجاب:

«بأنه كان يتكلم على نساء المسلمين وشجاعتهن ومثل لجانب المسيحيين بالبطلة جان دارك لما قامت به من الدفاع عن وطنها».

– وهل طلب من سعادة الباشا أن يبلغ احتجاجه للحكومة أجاب:

«بأنه طلب منه أن يحتج على الحكومة التي تتدخل في شان تدريس الحديث وتفسير القرآن وأن يبلغها ذلك).

– وهل كان يقوم بتفسير الآية والحديث بالطريقة السالفة الذكر بدافع من نفسه أم بإيعاز من الغير أجاب:

«بأنه عالم لا يحتاج إلى من يلقي إليه أمرا كيفما كان».

– وهل في نيته متابعة دروسه على هذا النحو أجاب:

«بنعم سأتابع دروسي على هذا المنوال».

جاء في حيثيات الحكم: «حيث اعترف بما نسب إليه من حضه على المطالبة بالاستقلال بغاية السرعة ومنتهى التأكيد وحيث مثل أثناء عرضه بما قامت به البطلة جان دارك وهي القوة والشجاعة وحيث أصر على أنه سيتابع دروسه على هذه الكيفية... حكم عليه... بعام ونصف سجنا».

وذلك يوم الخميس 12 ربيع الثاني 10/1371 يناير 1962.

من العرائض التي أرسلت إلى القصر الملكي من مختلف المدن المغربية نقف على ما يلي:

- عريضة الرباط (12 ربيع الثاني 10/71 يناير 52):

«إننا علماء الرباط... نحتج على ما قامت به السلطات المحلية... حيث أودعت في غيابات السجون عالما جليلا ومرشدا أصيلا امتاز بالورع والتقوى... وأوقف حياته لإرشاد الناس لما فيه مصلحتهم دنيا وأخرى» ويلتمسون من جلالة الملك (أن يصدر أمره المطاع بإعادة النظر في عالمنا الغيور السيد عبد الواحد بنعبد الله).

- عريضة الدار البيضاء (14 ربيع الثاني 12 يناير).

«إننا علماء الدار البيضاء ساءنا جد الإساءة ما طرق سمعنا من إلقاء القبض على العالم الواعظ السيد عبد الواحد بنعبد الله... لذلك نعلن لكم يا مولانا استياءنا وتضامننا مع علماء الرباط طالبين من جلالتكم التدخل في هذه القضية والإفراج العاجل عن العالم المعتقل).

- عريضة سلا (16 ربيع الثاني 14 يناير)

«كنا نعتقد... أن مظاهر القداسة ستشاهد مضاعفة في هذا العصر الذي تقدر فيه الأمم علماءها فساء فالنا لما لاح لنا عهد محاكم التفتيش في العصور المظلمة يعود إلى الظهور فإن آلاف المدارس والمساجد التي شيدها هذا الشعب المؤمن في مداشره وقراه قد ضايقها من أقلق راحته سماع صوت العلم فيها وأفسد عليه خطته بقاء لغة العلم والقرآن في دروسها... لقد دلت الحوادث يا مولانا أن شريط التآمر على رجال الدين لا يزال طويلا... فقد أصبحنا في كل يوم ننتظر حادثا جديدا... إن شخصية الأسبوع هو الفقيه السيد عبد الواحد بنعبد الله... هذا العالم الذي عرف بتقواه قد سيق بدوره إلى المحكمة التي حكمت عليها بثمانية عشر شهرا».

- عريضة فاس (17 ربيع الثاني 15 يناير).

«... لذلك قر رأينا نحن معشر علماء جامعة القرويين على تحرير مكتوب إلى جنابكم العالي نستنكر فيه بكل قوة ما نقع فيه من الأزمات وما نلاقي في سبيل ديننا من الإهانات طالبين أن تؤلف لجنة خاصة باختيار جلالتكم من العارفين بقيم العلماء للنظر في قضاياهم».

- عريضة مكناس (20 ربيع الثاني 18 يناير).

«نظرا لما حل بأخينا في الميدان العلمي الفقيه العلامة سيدي عبد الواحد بنعبد الله من الظلم والاضطهاد من أجل أفكاره الحسنة... فنحن علماء العاصمة الإسماعلية وخطباءها نستنكر المعاملة القاسية التي عومل بها».

– عريضة طلبة ابن يوسف في مراكش (20 ربيع الثاني 18 يناير).

«لقد عمدت الإدارة الفرنسية إلى إعطاء أقسى مثال في التحدي وذلك بحكمها على عالم جليل ألا وهو سيدي عبد الواحد بنعبد الله بسبب قيامه بأداء الرسالة الدينية».

– عريضة علماء مراكش (23 ربيع الثاني 21 يناير).

«إننا علماء كلية ابن يوسف بالحضرة المراكشية نعبر لجلالتكم عما يساورنا من القلق والارتياب من جراء المعاملة الشاذة التي يلقاها علماؤنا في سبيل نشر العلم والقيام بالواجب كالإجراء القاسي الذي أجري على العلامة السيد عبد الواحد بنعبد الله».

– عريضة آسفي (24 ربيع الثاني 22 يناير).

«نستنكر ونحتج علي المعاملة القاسية السيئة والمحاكمة الجائرة التي عاملت بها الإدارة المحلية الرباطية ذلك العالم الجليل النزيه السيد عبد الواحد بنعبد الله... مؤيدين ومتضامنين مع سائر البلدان المغربية التي رفع علماؤها ورجالها عرائضهم مؤيدين إخوانهم الرباطيين بما قاموا به تجاه ذلك العالم الجليل».

والعلامة السيد عبد الواحد بنعبد الله... كان موظفا بالإدارة الشريفة ثم بالاستيناف الشرعي... يدرس في مسجد الرباط وحصر دروسه في الجامع السليماني بعد عصر كل جمعة.

ووالده هو الفقيه علي بنعبد الله (العدل المتقلب في خدمة كثير من المراسي تفقه عن صهره القاضي السيد أحمد بناني وتصوف عن شيخه في الطريقة الاحمدية التيجانية سيدي العربي بن السايح وهو الذي قدمه على الزاوية بالرباط وأجازه بسائر الوظائف واذكار الطريق ولم يزل قائما بمراسمها ومن أقطابها المعدودين إلى أن توفي في رمضان عام اثنين وأربعين (1342 هـ/1923) (الاغتباط. ص 448).

تكريم

إدريس بن الحسن العلمي(*)

عبد العزيز أيا بنعبد الله قد ... حزت الفضائل والمكارم والنهى
ورقيت معراج العلا بشهامة ... فبلغت من أوج المعالي المنتهى
ردت العلوم فصرت بحرا زاخرا ... بتمام الدر السنيات البها
زفت إليك عرائسا من حورها ... خشع الجمال لنورها وتولها
في موكب حفت كرائمها به ... الفكر إجلالا لها بك قد زها
أهدتك تيجان البلاغة والهدى ... والحكمة اللدونية الموحى بها
لغة الأعاجم نازعت لغة العرو ... بة فحلها لما ادعتك ابنا لها
كيف الجحود مع الشهود بمحضر ... لك من كتاب قيم لك عندها
بروائع من عبقريتك لحتفى ... فكر الأعاجم والعروبة كلها
ما شرفتك الجامعات ولا المجا ... مع إنما أنت الذي شرفتها
وتنافست فيك المواهب غيرة ... كضرائر يشكين ضرا ما انتهى
بيغين منك تحيرا وتعسفا ... لكن عدلك ما استزل ولا وهى
حكت البلاغة أن عندك سرها ... يسبي العقول فتجتلي به رشدها
كم من ضليل اهتدى متأثرا ... ببيانك العذب السني المشتهى
إن قلت كانت للمقالة روعة ... وإذا كتبت فللكتابة سحرها
شاركت في جل العلوم فطأطأت ... وحنت رؤوسا فانحنت أحبارها
إن كان نكرك في البلاغة سائرا ... سير المثال فلا تنسى غيرها

(*) الأستاذ الشاعر الخبير في شؤون التعريب.

إن يذكر التعريب تذكر ضمنه ... علما عليه فإنما بك قد بها
قد كان قبلك أخرسا فإذا به ... فصح بفضل جهادك الأسنى ازدهى
قد كنت قائده المظفر حين تشـ ... ـتد الملاحم في وغى أصليتها
إني على حسن القيادة شاهد ... إذ كنت في كل المعجم جندها
فأنا جهينتها الخبير بكنهها ... الله وحده قادر بجزائها
إذ شدت للتعريب صرحا أرسلت ... من قطرنا شمس العروبة ضوءها
شرفت مفرينا العزيز بمكتب ... عمت مآثره الشعوب وأهلها
أثنت على أعماله كل المجا ... مع والمعاهد والمحافل جهدها
في كل مكتبة وكل خزانة ... كنز من الآثار يعلى قدرها
أتحفت فضلا قومنا بمجلة ... لم تحظ قط مجلة بمقامها
فيها لسان العرب أطلق حبسه ... من تهمة منها اشتكى وتأوها
أضحى يتيما بعدها التعريب مشـ ... ـلول الخطى في حالة يرثى لها
من ذا الذي يقوى على أعباء سيـ ... ـر في طريق كنت أنت نهجتها
لكن نشاطك بعده لم ينقطع ... كالسيل من قمم الجبال لسفحها
أوشال سيلك في حقول تفرقت ... تروي مزارع كنت قبل زرعتها
«القدس» من إبداع صنعك قوتها ... نفحات فكرها أطعمت صفحاتها
برزت لسان القدس تشرح حاله ... وتنود عن حرماته من داسها
الرأي رأيك في مقام مشورة ... رأي المخالف كان دوما أكمها
إن أنس لا أنس الجهاد لمغرب ... وضعت عليه يد الأجانب نيرها
في ثورة التحرير كنت مناضلا ... ببسالة عجز العدا عن كبحها
فإذا قضى أود الجهاد فأنت في ... كل المعارك والحروب تخوضها
أنت الصحافي القدير إذا قضى ... ترمي القنابل في السطور تخطها
أو مرشد الأبطال تقرأ شارحا ... نشرات الاستقلال أو أخواتها
لقضية الوطن العزيز وثائق ... أمية أنت الذي حررتها
فقضية الصحراء أوفى بحوثها ... بحث كتبته في حقيقة أصلها
وإذا قضى أمر الجهاد تباهيا ... بحضارة الإسلام كنت منوها
وإذا قضى كنت المدير لمعهد ... وإدارة تعلي وتصلح شأنها
أستاذ جامعة سفير ثقافة ... مندوب مصلحة تدبر أمرها
مندوب مؤتمر، رئيس محافل ... عضو المجامع في العلوم تنزها
مهما قضى الإصلاح أنت وليه ... أنت الغيور على البلاد تعزها
فإذا الشعوب تفاخرت برجالها ... وطني بشخصك قد تباهى وازدهى

إن أنس لا أنسى الولاية إنها ... تاج على رأس المواهب كلها
فبها انتصار جهادها والسر في ... إبداعها والسر في بركاتها
إني لأعلم أنني لك محرج ... ومضايق لما أبوح بسرها
كيف السكوت وقد سئلت شهادة ... إن الشهادة ليس حلا كتمها
كيف السبيل إلى السكوت تكتما ... بعد الذي قد ذقته من نفحها
حدث بنعمة ربك الأعلى الذي ... شرع الحديث وعده من شكرها
كيف السكوت وقد رأيت خوارقا ... لو قيل لي عنها لكنت مسفها
فكرامة البحرين خير شهادة ... أن العناية لاحظتك عيونها
فاتتك طائرة تعذر حطها ... لم يكتمل إلا وأنت بمتنها
ما كان من عجب تنال كرامة ... عجب عجيب أن تجنب نيلها
إني عرفتك واعظا ومذكرا ... ولسان صدق ذا خصال صنتها
ومؤدبا ومربيا في الله لا ... يثنيك حال مكابر عانيتها
متفانيا في حب أهل الله لا ... تخشى سوى الله العظيم منزها
تعفو وتصفح قادرا ذا مروءة ... الحلم فيك سجية أعطيتها
إني على العهد الموثق قائم ... أرجو الرضى من ربنا دون انتها
فعسى أكون قضيت حقا واجبا ... لأخوة ولصحبة وثقتها
عبد الكريم أخا المكارم إنني ... لك شاكر أبيات مدح صغتها
أبقاك ربي للمكارم والندى ... في ظل عرش مفاخر مترفها
ورعى الإله مليكنا المحبوب في ... نشوات نصر دائم هو أهلها
ورعى الإله ولي عهد ماجد ... وأخاه في أسنى نعيم يشتهى
رحماك ربي للعبيد الناظم ... أنعم عليه بجنة يصبو لها
وارحم جميع المسلمين ووافهم ... بالنصر والفرج المزيل لما دهى
فبجاه خير الأنبياء توسلي ... طه الذي هو رحمة أهديتها
صلى عليه الله والآل الكرا ... م وصحبه الغر الهداة ذوي النهى

* * *

كلمة الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله في نهاية حفل التكريم

أيها الإخوة والزملاء،

إني جد متأثر بهذه الالتفاتة الكريمة من جمعيتنا الفتية (جمعية رباط الفتح) وجد ممتن لما أسبغه على شخصي المتواضع ثلة من الزملاء والأساتذة الأعزاء من أوصاف، وأعتقد من صميمي أنني غير مستحق لها وإن حسن تقبلي بصدر رحب لهذا التكريم الأخوي راجع لفكرة غامرتني منذ اللحظة الأولى وهي أن هذا الحفل الكريم هو في الحقيقة إشادة إلى جانب والدي الشيخ عبد الواحد بنعبد الله بذكرى رجل فذ رعاني منذ صباي وتولى توجيهي وتثقيفي منذ اللحظة الأولى من حياتي النضالية والدراسية ذلك الرجل هو مفخرة الرباط بل والمغرب وسائر العالم العربي والإسلامي الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج.

نعم تخللت حياتي منذ بداية انطلاقها العلمي فترات صنعها الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج ضمن ما صنع من بنيات وهياكل شكلت أسيسة مثلى في كيان المسار الحضاري للمغرب الحديث.

لقد كان عام 1943 موعد انعقاد مؤتمر أنفا بالدار البيضاء حيث بادر صاحب الجلالة محمد الخامس قدس الله روحه وولي عهده، آنذاك جلالة الحسن الثاني فطالب باستقلال المغرب الذي كان الدولة الوحيدة التي احتفظت ضمن أقطار العالم الإسلامي والعربي باستقلالها طوال أزيد من ألف عام، وبعد

شهور انبرى الحاج أحمد بلا فريج ليرفع في يناير 1944 عريضة المطالبة بالاستقلال إلى جلالته على رأس ثلة من رجالات الحركة الوطنية. وكان الأستاذ بلا فريج قد تزعم منذ 1937 في حواضر أوروبية وعربية مختلفة تجمعات وندوات ومؤتمرات لدعم النضال السياسي الذي أعقب آخر مقاومة مسلحة عام 1936 وكان صدور الظهير البربري عام 1930 فرصة لفضح المؤامرة الاستعمارية عززت اللحمة بين عناصر الشعب المغربي في سهوله وجباله وصحرائه. وكان لجامعة القرويين وبطلها الفذ الزعيم علال الفاسي اليد الطولى في دعم الحركة الوطنية التي انطلقت من حاضرتي الرباط وفاس وكانت الصلة وثيقة منذ البداية بجلالة محمد الخامس وصاحب السمو الملكي ولي عهده آنذاك، جلالة الحسن الثاني حفظه الله. وهما يكنان لشخص الأستاذ بلا فريج حبا خالصا وتقديرا يعيد المدى حذا العرش الخالد إلى اعتبار الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج مستشارا خاصا لجلالته.

كنت آنذاك طالبا في كليتي الحقوق والآداب بالجزائر الشقيقة أتابع دروسي من خلال (معهد الدراسات العليا المغربية) ضمن ثلة من زملائي طردنا جميعا من رحاب المعهد لمشاركتنا في المظاهرات التي شبت بعد حادي عشر يناير 1944 فبقينا ثلاث سنوات نتابع الدراسة في الخفاء بمساندة موصولة من الأخ الحاج أحمد بلا فريج إلى شهر أكتوبر 1946 حيث كللت جهودنا الدراسية بإحراز شهادة الليسانس في الحقوق والآداب رغم الضغوط الاستعمارية. وبعد مرور شهر واحد على تخرجي، وإنهاء دراستي الجامعية وانكبابي من جديد على ملء الفراغ في حياتي العلمية دخلت الحركة الوطنية بزعامة أحد قادتها البارزين الحاج أحمد بلا فريج في مرحلة جديدة تبلورت في صدور جريدة (العلم) التي كنت من بين المعبأين لتحريرها فكان القادة كلهم يتناوبون على منتداها حيث أصبحت اللسان المعبر عن السياسة الاستقلالية الجديدة.

وهنا تفضل الأستاذ الحاج أحمد بلا فريج فكلفني بالإشراف خاصة على تحرير الدراسات البنيوية في الجريدة وأحاديث اليوم والأسبوع فكان الأستاذ بلا فريج يبادر في صحبة الأخ الجليل محمد اليزيدي كل صباح بل وإلى الساعة الثانية ليلا حيث كنت أواصل عملي بانتظام بالجلوس في مكتبي لنتفق

على انتقاء الموضوع الأهم الذي يشغل الفكر العام في ذلك اليوم مع تحليل عناصر الحديث عنه وكان حديث الأسبوع فذلكة تتمحور حول الاتجاه العام للسياسة والماجريات العالمية ضمن متابعة موصولة لعلاقتها بوضع المغرب في حظيرة الواقع العالمي وكنت آنذاك مزجي البضاعة في السياسة فأفدت الكثير من احتكاكي اليومي بالأستاذ بلا فريج الذي ظل يرعاني بعناية فائقة وأذكر أن سلطة الحماية حاولت في نفس السنة تنحيتي عن جريدة (العلم) فدعاني المقيم العام (ايريك لابون) إلى تناول طعام الغداء على مائدته فاستشرت الأخ الأستاذ بلا فريج فأذن لي بتلبية الدعوة وكانت الغاية الظاهرة لها تكريمي بسبب نجاحي كأول رباطي أحرز ليسانس الحقوق وكان باطن التكريم ترشيحي للعضوية في محكمة الجنايات العليا بالبلاط الملكي فكان جوابي الاستعداد بشرط أن أعين من طرف رئيس الدولة الشرعي جلالة محمد الخامس دون المرور بالإقامة العامة التي ألحت في عرضها وتشبثت برفضي ولعلها كانت من شاب مثلي لم يتجاوز عمره الثالثة والعشرين أولى نقطة سوداء في ملفي السياسي لدى سلطات الحماية.

وكان هنالك عامل آخر يحظى بعناية الأخ الأستاذ بلا فريج وهو دعم التعليم الحر والارتكاز على الأصالة الإسلامية من خلال لغة القرآن مع رعاية الأنساق المعاصرة في مناهجها ولغاتها المختلفة فتعزز (معهد جسوس) و(مدارس محمد الخامس) بالرباط ومعهد النهضة بسلا للأخ الأستاذ المجاهد أبي بكر القادري بمعهد عبد الكريم لحلو بالدار البيضاء حيث تفضل الأخ الكريم فاختارني عام 1949 مديرا له - مع العمل كراع أول لمعاهد كانت منطلقا للأطر المغربية العليا - في صحيفة وطنية جديدة بدأت تصدر بالفرنسية هي (جريدة الاستقلال) التي أشرف عليها الأخ عبد الرحيم بوعبيد فكنت أحرر الصحيفة الثقافية وقد أوعز إلي الأخ بلا فريج تحرير دراسات نقدية أسبوعية بالجريدة تفنيذا للكتاب الذي كان الأستاذ (هنري طراس) مدير المعهد العالي للدراسات المغربية قد صنعه حول تاريخ المغرب بطلب من الإقامة كجواب عن مطالبة المغرب بالاستقلال لبربرة الأصالة المغربية والنيل من الفكر الإسلامي والحضارة العربية فقمت بإعداد مقالات نشرت موصولة طوال

سنوات في صفحات (جريدة الاستقلال) جمعتها بعد ذلك في كتاب صدر بعنوان (التيارات الكبرى للحضارة المغربية) بتقديم من الزعيم الأستاذ الكبير علال الفاسي وقد كان نشر الكتاب قد تأخر بضع سنوات حيث طلب مني الأخ بلا فريج عام 1951 أن أوثق عناصر البحث بعدد أكثر من النصوص المغربية والأجنبية حداني إلى توسيع نطاق الدراسات المدرجة في هذا الكتاب بإضافة صور شتى لمختلف التيارات التي كان لها نوع من التأثير في الحضارة المغربية والتي حاول الاستعمار تشويهها.

وظل الأخ بلا فريج يتابع نشاطه المزدوج في حنان الأب وما لبث سيادته أن أعادني بعد فترة تمكنت خلالها من تركيز أسس الدروس العلمية المعربة في (مدرسة عبد الكريم لحلو) إلى مسقط رأسي بالرباط لأبقى رهن إشارته عن كثب لتحرير ما كان المغرب في حاجة إليه من مذكرات بالفرنسية أو ترجمات إلى العربية في شتى المجالات التي كيفت آنذاك مسار الحركة الوطنية وأذكر أنه أحال علي تعريب نص مذكرة من خمسمائة صفحة ضمن أجل محدد خمسة أيام نظرا لضرورة التعجيل برفعها إلى هيئة الأمم المتحدة تعزيزا لخطاب صاحب الجلالة عاهل المغرب في زيارته الميمونة لطنجة عام 1947 حيث نادى قدس الله روحه باستقلال المغرب ومساندة جامعة الدول العربية التي كانت قريبة عهد بالتأسيس وبإزائها (مكتب المغرب العربي) بالقاهرة وكانت الحركات الوطنية المختلفة تعمل في طول المغرب وعرضه فكان الأخ الأستاذ محمد بن الحسن الوزاني يعمل بفاس معززا من طرف ثلاثة أصدقاء عرفتهم منذ ريعان شبابي وهم الأساتذة أحمد بنسودة وعبد الهادي بوطالب ومحمد الشرقاوي زميلي في الدراسة العليا والذي كان معي ثاني أنيس في الحصول على شهادة الليسانس في الحقوق عام 1946 وكان الأستاذ عبد الخالق الطريس يعمل في تطوان والشيخ المكي الناصري بطنجة واستمر هذا النشاط الغامر متأرجحا في تصاعد أقض مضاجع الاستعمار وقد تساوق العمل السياسي مع العمل الاقتصادي والاجتماعي فشكل الأخ بلا فريج لجنة اقتصادية عليا ضمت ستة أعضاء كنت مقررها غير أن وطأة القمع الاستعماري لم يسمح لها بأن تجتمع أكثر من مرة إذ جرؤ الاستعمار الغاشم

على اعتقال أقطاب الحركة الوطنية عام 1952 ونفي جلالة محمد الخامس وصاحب السمو الملكي الحسن الثاني والأسرة الملكية الكريمة في غشت 1953 وكانت سلطة الحماية قد أصدرت حكما باعتقال والدي العلامة عبد الواحد بنعبد الله مدة سنة ونصف بسبب ما كان يبثه في دروسه بمسجد مولاي سليمان بالرباط من انتقادات مرة ضد الاستعمار مع إبراز عمل المرأة في الحقل الوطني بمثال جاندارك. وكان والدي قد استقال من منصبه أواخر الثلاثينات كعضو في الاستيناف الشرعي للتفرغ لنشر الإسلام الصحيح على منابر جوامع المغرب ومساجده. وكان الأخ بلا فريج قد تسلل إلى الخارج لا فرارا من السجن ولكن لمواصلة تسيير دولاب الحركة من بعيد بما عرف عنه من تؤدة وحكمة وبقيت ثلة من الوطنيين تعمل في الخفاء باتصال مع الأخ أحمد بلا فريج ضمن حركة عارمة امتد أوارها إلى الجبال والصحراء علاوة على الحواضر في ثورة ضد المستعمر الباغي فكانت امتدادا لثورة جلالة الملك وانطلاقا لثورة الشعب كللت بعودة عاهل البلاد إلى عرشه حاملا وثيقة الاستقلال والحرية.

وكان الأخ الأستاذ بلا فريج مستشارا أمينا بجانب صاحب الجلالة في فترة مخاض انتهت بإشرافه على الوزارة الأولى ثم تعيينه ممثلا خاصا لجلالته وقد تأرجحت في هذه الفترة بين مناصب سامية في الأوقاف الإسلامية والمحافظة العقارية والتعليم العالي والبحث العلمي تخللها ترشيحي من طرف الأخ بلا فريج كوزير للعدل عام 1958 وترشيح صاحب الجلالة لي كسفير متنقل لجلالته في القارة الإفريقية وكان الأخ أحمد العلوي الذي ربطتني به علاقة وثيقة بباريس منذ 1945 هو الذي حمل إلي خبر ترشيح الملك محمد الخامس فاعتذرت بسبب مرض عاقني عن ممارسة الأسفار البعيدة عبر القارة، وكان الأستاذ بلا فريج يعرف ظروفي حق المعرفة وخاصة ضعفي آنذاك عن تحمل هزات الأسفار النائية ومع ذلك حداني إلى تجربة المسافات القارية فرشحني لأكون خبيرا في الشؤون الإفريقية لدى هيئة الأمم المتحدة لفترة الدورة الأخيرة لعام 1960 حيث كانت قضية (موريطانيا) مطروحة فتوجهت إلى (نيويورك) أنا والأخ أحمد عصمان كخبيرين في الشؤون الإفريقية بإشراف

وزير الخارجية إدريس المحمدي الذي نقل إلي أوامر صاحب الجلالة لوضع الكتاب الأبيض بالفرنسية في هذا الصدد وتوزيعه على أعضاء الجمعية العمومية وكان صاحب السمو الملكي ولي العهد المحبوب الحسن الثاني هو الرئيس للوفد المغربي ارتجل باسم جلالة والده خطابا كان له وقع عميق حيث أتيح للمنتظم الدولي أن يتعرف على مكانة الأمير الشاب في الحقل الفكري والسياسي وبعد نظر جلالته في القضايا الدولية.

ولم يمهلني الأخ بلا فريج بل دفعني من جديد بعد عودتي وأنا مدير التعليم العالي والبحث العلمي إلى عمل أخر في إطار دولي ضمن جامعة الدول العربية فتفضل صاحب الجلالة طيب الله ثراه فرشحني لدى جامعة الدول العربية مديرا عاما لمكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي أعقبه جلالة الحسن الثاني بالإشراف على أول مؤتمر للتعريب في المغرب مكن الشعب من التعرف على قدرة لغة الضاد على ولوج معمعة الصراع السياسي وكان لتعريب القضاء وفروعه أبعد الأثر في محو رواسب استعمارية كأولى خطوة في سبيل تحرير المغرب من الاستعمار الفكري وكان رائد هذه الحركة ولا يزال هو صاحب الجلالة الحسن الثاني الذي واصل نهج والده الأمثل معززا بمستشاره الخاص الحاج أحمد بلا فريج لضمان الأصالة المغربية في نطاق الروح العربية الإسلامية مع مواكبة ركب الحضارة الإنسانية في نسق رائع ضرب فيه جلالة الحسن الثاني أروع مثال للتكيف في إطار الذاتية المغربية الأصيلة.

وختاما أجدد شكري لجمعيتنا النشيطة والأساتذة الكرام على تحملهم عناء المشاركة في هذا الحفل البهيج ومع بقية الإخوان الذين أتحفونا بحضورهم فلجميعهم كامل التقدير.

البرقية المرفوعة إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره في نهاية أعمال الندوة

بسم الله الرحمان الرحيم

نعم سيدي أعزك الله

سيدي ومولاي صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني
أعز الله أمركم وخلد في الصالحات أعمالكم، وأسدل
عليكم رداء العافية والتمكين والنصر المبين.

وبعد:

في يوم بهيج عابق بالفكر، احتفلت اللغة العربية بأحد روادها وأمجادها ومفاخرها وباعثيها، وغطت سماءه أرواح الأعلام من مشايخ ومفكرين وعلماء وشعراء وأدباء، أولئك الذين أعادهم إلى الحياة من أزال الغبار والنسيان عن روائعهم وثقافتهم. في اليوم أصبح الماضي حاضرا والحاضر يناجي المستقبل لأمة عربية إسلامية مازال تاريخها وحضارتها مصدر إلهام وانبعاث.

وفي لحظات ماجدة لشخصية مجيدة، احتفلت جمعية رباط الفتح يوم 24 جمادى الثاني 1413 الموافق لـ 19 دجنبر 1992 بالأستاذ الجليل عبد العزيز بنعبد الله العالم الموسوعي الذي كان لعطاءاته وتنوع معارفه وغزارة علمه مصدر بعث للغة والحضارة العربية والإسلامية، وكان بحق رمزا من رموز أمتكم الذين ألبستهم جلباب عطفكم ورعايتكم وسديد نصحكم وإرشادكم.

إن رصيده الفكري أصبح يملأ اليوم جنبات عريضة من أمهات الخزانات في العالم، وكانت تشجيعات جلالتكم مصدر إلهام له، أعطته النفس الطويل في الكتابة والتأليف للعديد من الكتب والمعاجم والمساهمات في المجامع العربية واللقاءات الدولية مما أعطاه مكانا عاليا ورضى رفيعا؛ فاستحق بذلك العضوية في أكاديمية المملكة المغربية التي حظي بشرف الانتساب إليها بظهير شريف سام.

مولاي صاحب الجلالة،

إن جمعية رباط الفتح، وقد آلت على نفسها أن تنظم مناسبات التكريم للنخبة المثقفة من رعاياكم، فلأنها تعلم مدى ما يحظى به العلم وأهله والفكر وقادته من عظيم التقدير والاعتزاز لديكم.

لقد انتدبني الأستاذ المحتفى به والأساتذة المشاركون في هذا اللقاء، مغاربة ومن أقطار شقيقة وصديقة، وكافة أعضاء الجمعية، أن أعبر لجنابكم العالي بالله عن شديد تعلقهم بشخصكم الكريم، فأنتم المعلم الأول والمفكر الذي حباه الله الرأي السديد والنظر الثاقب.

وإن حرصكم الشديد والمتواصل من أجل البعث الحضاري والتقدم، وهو الطاقة الثمينة التي يعتز بها المفكرون ستظل إن شاء الله نبراسا يهتدى به للمزيد من الإبداعات والتنوع في العطاءات.

حفظكم الله يا مولاي، وسدد خطاكم، وزاد في توفيقكم، ومتعكم بالصحة التامة حتى تتحقق آمالكم والغايات والأهداف التي تسطرونها للمغرب وللعروبة والإسلام وللبشرية جمعاء، والتنافس من أجل العلم والثقافة والفنون والآداب.

مع الدعاء الخالص بأن يحفظ الله جلالتكم، ويقر عينكم بصاحب السمو الملكي ولي العهد الأمير الجليل سيدي محمد وصنوه صاحب السمو الملكي الأمير المجيد مولاي الرشيد، وكافة الأسرة الملكية الشريفة.

والسلام على مقامكم العالي بالله.

وحرر بالرباط في 24 جمادى الثانية 1413 موافق 19 دجنبر 1992.

خديم الأعتاب الشريفة
رئيس جمعية رباط الفتح
عبد الفتاح فرج